بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

الإسلام والتاريخ

المقدمه:

الهدف الدراسي:

التعريف بالتأريخ و أهميته.

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماهو موقف الإسلام و القرآن من التأريخ؟

٢. ما هي مستويات البحث التأريخي في القرآن الكريم؟

٣. ما هو المقصود من مصطلح تأريخ الإسلام؟

٤. ما هي عصور التأريخ الإسلامي؟

المحتوى العلمى

الإسلام والتاريخ

١ ـــ القرآن الكريم والتاريخ

١ ـــ من الواضح جدا أن التأريخ علم من العلوم الإنسانية المهمة و القرآن الكريم قد تعرض للتأريخ كمصدر معرفي و بما أن القرآن الكريم هو هدي الله للبشرية و قد أنعم به عليها ليهديها إلي الصراط المستقيم و للتي هي أقوم[١]، ففيه تبيان كلّ شيء[٢] وتفصيله[٣]. و لم يترك القرآن شيئاً يحتاج إليه العباد إلاّ وبيّنه لهم[٤]، ففيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما يكون وخبر ما هو كائن[٥].

٢ ـــ التاريخ: هو مجموعة التجارب البشرية الماضية. وقد اعتبره القرآن الكريم مصدراً من مصادر المعرفة فحثّ البشريّة على التعرّف عليه والاستفادة منه قائلاً: (**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـــقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**)[٦]، وقال أيضاً مخاطباً الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): (**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)[٧].

٣ ـــ وللقرآن منهج كامل وواضح في التعامل مع التاريخ الإنساني بشتّى فروعه ومجالاته ومستوياته.

---

١ . الإسراء: ٩.

٢ . النحل: ٨٩ .

٣ . يوسف: ١١١.

٤ . بحارالأنوار ٩٢ : ٨٤ .

٥ . بحارالأنوار ٩٢ : ٨٤ .

٦ . آل عمران: ١٣٧.

٧ . الأعراف: ١٧٦.

٤ ــ لقد تضمّن القرآن الكريم حقائق تاريخيّة ممتعة، وبلغ اعتناؤه بالتاريخ حدّاً جعله يكرّر بعض هذه الحقائق ويفصّل في بعضها وكأنّه كتاب تاريخ، حتّى قيل: إنّ ثلث القرآن قصص وتاريخ.

٥ ــ إنّ المعرفة التي يحصل عليها الإنسان من خلال التاريخ تمتاز على المعرفة النظريّة التي لم تصل إلى محكّ التجربة والتطبيق من حيث درجة الإقناع والاعتماد عليها. قال تعالى: (**كُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**)[1].

٦ ــ ويترتّب على هذه المعرفة إمكان التأسّي والاقتداء بالذين نجحوا في حياتهم العملية، ومن هنا اعتَبَر القرآنُ الأنبياءَ الذين أفلحوا في سلوك الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا اُسوةً وقدوةً لغيرهم.

٧ ــ ويتميز هذا المصدر عن غيره من المصادر التاريخية بكونه وحياً إلهياً صادراً من مصدر العلم المحيط بحقائق الأشياء وبكيفية تحقّقها بشكل كامل.

كما يتميّز بالدقّة والصّدق والواقعيّة والاستيعاب لكل مراحل تاريخ الإنسانية.

ويتميّز أيضاً بقدرته المعجزة على توظيف حقائق التاريخ لهداية الإنسان وتربيته للسير به نحو الكمال المطلوب له.

٢ــ تاريخ الإنسان في القرآن الكريم

١ . هود: ١٢٠.

1 ــ أوضح القرآن الصادق أنّ إشراق النبوّة يعتبر بداية العصر التاريخي للإنسان. وذلك في قوله تعالى: (وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[1].

وقال عن اصطفاء آدم(عليه السلام) للنبوّة: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[2].

فيكون آدم(عليه السلام) قد مثّل بداية خطّ النبوّة والهداية الإلهية للبشرية.

٢ ــ واعتبر القرآن خطّ النبوّة هو المحور الأوّل في حركة الإنسانية وبناء الحضارة، وعلى أساسه تكوّن تاريخ الإنسان الذي زوّده الله بالعقل والغريزة والاختيار.

وأوضح الإمام عليّ(عليه السلام) هذه الحقيقة القرآنية قائلاً : «فبعث فيهم رسله وواتر انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم نقمته و يحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول...»[3].

٣ــ مستويات البحث التاريخي

تتنوّع البحوث التاريخية ــ فيما يرتبط بتاريخ الإنسان ــ إلى مستويات ثلاثة بالرغم من ترابطها وتوقّف بعضها على بعض:

١ ــ البَحْث التاريخي النقلي: ويهتمّ بنقل الحوادث التاريخية، والتثبّت من تحقّقها.

٢ ــ البحث التاريخي التحليلي: ويعتني بتحليل الحوادث التاريخية من خلال التعرّف على أسبابها واكتشاف آثارها ونتائجها بالإضافة إلى الاهتمام بمدى ارتباطها بالحوادث التي تعاصرها.

٣ ــ البحث التاريخي الفلسفي (فلسفة التاريخ): ويعتني باكتشاف السنن التي تتحكّم في تاريخ الإنسان وكيفية عملها ومراحل التاريخ البشري وعلل التطوّر لحركة التاريخ بشكل عامّ والتنبّؤ بالمستقبل الذي ينتظر الإنسانية في نهاية الطريق.

---

١ . البقرة: ٣٠.

٢ . آل عمران: ٣٤.

٣ . الخطبة الاولى من نهج البلاغه.

والبحث التاريخي الفلسفي يستطيع أن يمدّ الباحث التاريخي بالقدرة على التحليل والتفسير والاستنباط لتوظيف أحداث التاريخ في خدمة الإنسان بشكل عامّ.
وقد اعتنى القرآن الكريم بالبحث التاريخي بمستوياته الثلاثة وذلك: لترابطها وعدم إمكان الاستغناء عن واحد منها.

٤ . ما هو المقصود من تأريخ الإسلام؟

الإسلام بمعناه العام هو الدين الذي يبتني على التسليم المطلق لله وحده و هو رسالة تغييريّة شاملة لكل أبعاد حياة الإنسان، فالدين أساس حركة الإنسان وجاء الأنبياء جميعاً ضماناً لإسلام الإنسان و إرجاعه إلى فطرته حين انحرف عنها و بهذا المنظار يصحّ إطلاق الإسلام على كل الأديان الإلهية التي تبتني على «التسليم المطلق لله وحده»، فهو تسليم العقل والفكر، وتسليم القلب والشعور، وتسليم الإرادة والعمل لله وحده بشكل تامّ وفي كل مجالات الحياة[١].
والاسلام بمعناه الخاص هو الرسالة الخاتمة التي جاء بها سيدالمرسلين محمدبن عبدالله(صلى الله عليه وآله وسلم) والتي نَسَخت الرسالات السابقة ، و هي عقيدة ونظام. ونحن نؤرخ للإسلام بمعناه الخاص ، ومن بدء الدعوة الاسلامية.

ما هي عصور التأريخ الإسلامي؟

إنّ تاريخ الإسلام هو تاريخ الرسالة الإسلامية التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليس هو تاريخ كلّ من تربَّع على كرسيّ الحكم والخلافة وحَكَمَ باسم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا هو تاريخ آحاد المسلمين، وإنّما هو تاريخ هذه الرسالة الخاتمة بمقدار ما لها من حضور وامتداد في حياة المسلمين.

---
١ . راجع الآيات التالية: ١١٢ من سورة البقرة و ١٢٥ من سورة النساء و ٢٢ من سورة لقمان.

إنّ القادة الربّانيين والأئمة المعصومين الذين عيّنهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر من الله سبحانه[1] لحفظ الرسالة من عبث العابثين وصيانة هذا الخطّ الربّاني في حياة البشرية بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من تسرّب التحريف له، والذين دأبوا على تأصيله وتعميقه وذابوا في حمايته والدفاع عنه، تُمثِّلُ حياتُهم حياةَ الرسالة ومواقفُهُم مواقفَ الشريعة وحركتُهُم حركةَ الدين الإلهيّ; لأنّهم يجسِّدون قِيَمَه وحقائقه، ويُعبِّرون عنها أصدقَ تعبير، فتاريخهم هو تاريخ هذا الخطّ الرساليّ بكلّ مراحله وملابساته، ومن هنا كان تاريخ القادة الميامين ــ محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) والصفوة من عترته وأهل بيته(عليهم السلام) ــ هو تاريخ الإسلام الحقيقي، باعتبارهم المقياس والمثل الأعلى لحركة هذه الرسالة في هذه الحياة.

عصر الثورة علي الجاهلية وتأسيس الدولة الإسلاميّة

يبدأ تاريخ الإسلام بالبعثة المباركة في السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة النبويّة بثلاثة عشر عاماً، حيث بدأت الرسالة الخاتمة حياتها وأخذت تشقّ طريقها، مخترقة المجتمع العربي الجاهلي والإنساني الغارق في الظلام على يدي الرسول الأعظم محمّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله وسلم) على شكل ثورة إلهيّة تغييريّة شاملة، إنطلاقاً من مكّة المكرّمة وانتهاءً بالدولة الإسلامية المباركة التي أثمرها جهوده المتواصلة وقيادته الحكيمة في أقصر فترة زمنية ممكنة في تاريخ الرسالات السماوية والدعوات التغييريّة.

ولِعصر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) عهدان متميّزان، هما: العهد المكيّ والعهد المدنيّ. ويبدأ الأوّل منهما بالبعثة النبويّة في مكّة وينتهي بالهجرة من مكّة إلى المدينة المنوّرة (يثرب) ويبدأ الثاني

---

١ . راجع الآيات التالية: ٦٧ و٣ من سورة المائدة و٣٣ من سورة الأحزاب و٦١ من آل عمران و٢٣ من سورة الشورى. وراجع أيضاً حديث الثقلين وحديث السفينة والأمان وغيرها من الأحاديث التي تضمّنت مرجعية أهل البيت الدينية وأنّهم يمثِّلون الخطّ السليم والحقيقي للرسالة الإسلامية.

منهما بهجرة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة وينتهي بوفاته(صلى الله عليه وآله وسلم) فيها.

وفي كلا العهدين كان الوحي الإلهي هو الموجّه المباشر للنبيّ القائد(صلى الله عليه وآله وسلم)والأمّة المسلمة من خلال آيات القرآن الكريم التي نزلت خلال ثلاثة وعشرين عاماً من الهدم والبناء المتواصِلَيْن. وقد حفظ القرآن الكريم لنا أحداث هذين العهدين.

ونستطيع أن نقف على تاريخ هذا العصر فيما إذا عرفنا ترتيب نزول آيات القرآن الكريم بشكل صحيح.

عصر الوصاية على الثورة والدولة الإسلامية

إنّ حركة التغيير الشاملة للمجتمع الجاهلي بمفاهيمه وقيمه وأعرافه وأنظمته كانت تتطلّب وصاية عقائدية مستمرة على الثورة والدولة النبويّة و الأمة الفتيّة; وذلك لأنّ الطريق أمام هذه الحركة كان طويلاً وممتدّاً بامتداد الفواصل المعنويّة الضخمة بين الجاهليّة والإسلام. و لم تكن المدّة الزمنية التي استوعبتها الثورة والدولة النبويّة كافيةً لاجتثاث كلّ الجذور الجاهليّة ورواسبها، كما برهن على ذلك تاريخ الحوادث التي وقعت عقيب وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

ومن هنا فقد عيّن النبيّ القائد(صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر من الله تعالى إثني عشر وصيّاً على ثورته ودعوته ورسالته ليقودوا اُمّته ودولته الربّانية من بعده وليقوموا بمهمّة الدفاع والذبّ عن شريعة الله ودولة رسول الله واُمّة خاتم النبيّين(صلى الله عليه وآله وسلم).

وينقسم عصر الائمة و الأوصياء الراشدين الى ثلاثة عهود متميّزة، وهي:

١ ــ عهد الحضور: ويبدأ برحيل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وينتهي برحيل الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)سنة ٢٦٠ هـ .

١ . راجع للتفصيل (نشأة التشيّع والشيعة) ، ص ٥١ ــ ٥٧ و ٥٨ ــ ٦١.

٢ ــ عهد الغيبة: ويبدأ برحيل الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) ويستمر حتّى ظهور الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر(عج).

و أما عهد الظهور فهو الثالث من عهود الإمامة و سيأتي بحثه إن شاء الله تعالي.

الخلاصة :

١. القرآن الكريم مصدر تاريخي علمي موثوق ــ بل فوق الوثاقة ــ وهو يتمتّع بالغِنى من حيث الدقّة والصدق والواقعية والاستيعاب بما لا يتمتّع به غيره من المصادر التاريخية المتداولة.

٢. للقرآن منهج تاريخي قد تفرّد به، فلابدّ من التعرّف عليه والاستهداء به في التعامل مع التاريخ بجميع مستوياته.

٣. اعتنى القرآن الكريم بتاريخ البشرية بشكل عامّ، وبتاريخ النبوّات والأنبياء بشكل خاصّ، وبتاريخ الرسالة الإسلامية الخاتمة بشكل أخصّ.

٤. الإسلام هو خاتمة الرسالات الإلهية للبشرية جمعاء.

و تاريخ الإسلام هو تاريخ الرسالة (تاريخ الخطّ الرسالي) وليس هو تاريخ الخلفاء أو تاريخ آحاد المسلمين.

إنّ حياة القادة الرساليّين ــ محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الطاهرين ــ تمثّل حياة الرسالة الإسلامية، وتاريخهم هو تاريخ هذا الخطّ الرسالي بلا ريب.

٥. ينقسم تاريخ الإسلام إلى عصرين متميّزَيْن: عصر النبيّ المرتبط بالوحي بشكل مباشر، وهو عصر الثورة الربانية وتأسيس الدولة الإسلامية (و) عصر أوصياء النبيّ(عليهم السلام)الإثني عشر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وهو عصر الوصاية على الرسالة والأُمة المسلمة والدولة الإسلامية. وهو بدوره ينقسم إلى ثلاثة عهود متميزة.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامی (تاریخ صدر الاسلام)

مصادر التأريخ الإسلامی و قضية منع تدوين الحديث

المقدمه:

الهدف الدراسي:

المصادر العامة للتاريخ الإسلامي

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. كيف و متى دون التأريخ الإسلامي؟

٢. ما هو دور أهل البيت عليهم السلام في تدوين تأريخ الرسول (ص) و سيرته؟

٣. ما هي المصادر العامة للتأريخ الإسلامي؟

٤. ما هي القيمة العلمية للمصادر التأريخية العامة؟

المحتوى العلمى:

مصادر التأريخ الإسلامي و قضية منع تدوين الحديث

تعتبر الرسالة المحمّدية أعظم ما طرح في حياة البشر عامّة وحياة العرب خاصّة، فهي تشكِّل المحور الأهم من محاور تاريخ البشرية بشكل عامّ وتاريخ العرب بشكل خاصّ.

و لم يدوّن في تاريخ الإسلام وسيرة النبيّ العظيم(صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أصحابه وأعدائه شيء يذكر في عصر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) سوى ما تضمّنه القرآن الكريم.

وما سجّله بعض الصحابة الكرام في عصر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) مثل ما جمعه الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) من أسباب النزول وسواها من حوادث التاريخ لعصر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وما كتبه غيره من الصحابة في حياته(صلى الله عليه وآله وسلم) ـــ فإنّه لم يصل كلّه إلينا إلاّ في عصور متأخّرة وعبر روايات ذات وسائط متسلسلة.

وذلك لأنّ مصحف الإمام عليّ(عليه السلام) وما سجّله فيه من أحاديث ترتبط بتفسير القرآن وشأن نزول آياته وجملة من علوم القرآن قد عرضه الإمام(عليه السلام) على أبي بكر حين زعم أنّه خليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فزهد فيه وردّه عليه[1].

وقد طلب كلٌّ من أبي بكر وعمر من عامّة الصحابة ما دوّنوه من أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)فجمعاه وأحرقاه زعماً منهما بأنّ كتاب الله لا يُشاب بشيء، وأنّ تدوين السُنّة النبوية قد يؤدّي إلى ضياع القرآن الكريم[2].

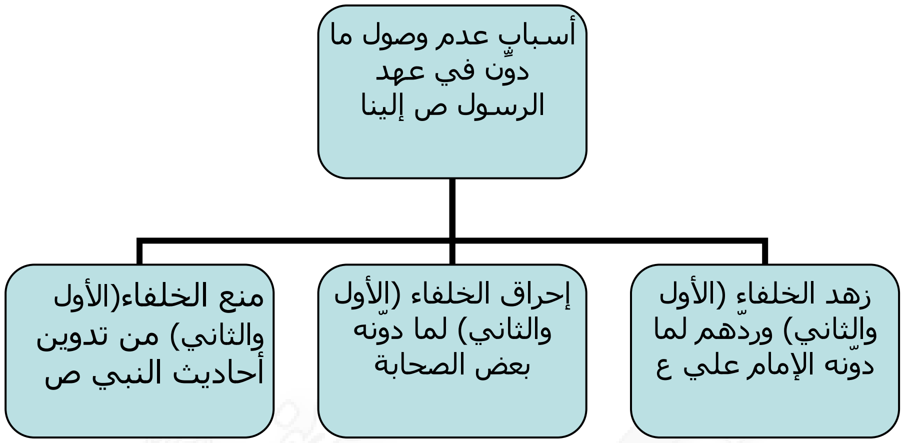
غير أنّ كل من تصدى للخلافة بعد منع تدوين الحديث قد لمس الحاجة إلى سنّة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأحاديثه كلّما تقدّم الزمن، وكلّما ابتعدوا عن عصر الرسول(صلى الله

---

١ . المناقب ٢: ٤١، بحار الأنوار ٩٢: ٩٩، والإتقان للسيوطي ٢: ١٨٧.

٢ . طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٦ .

عليه وآله وسلم)، وازدادت العقبات فاتّضح لديهم بعد مرور قرن من الزمن حجم الأضرار التي نشأت من منع تدوين الحديث النبويّ الشريف[1].



أضرار منع تدوين الحديث

وكان من جملة تلك الأضرار أن فُسحَ المجال للوضّاعين الذين كانوا يشترون بالأحاديث التي ينسبونها للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته الكرام ثمناً قليلا. وهكذا أخذ ضباب التّزوير يموّه حقائق التاريخ الإسلامي بالتدريج، ممّا دعا العلماء بل الخلفاء أنفسهم لنقض سيرة الشيخين ومن تلاهما من الخلفاء في وضح النهار وإبطال الحظر الذي كانوا قد ضربوه على عمليّة التدوين.

١ . جامع بيان العلم: ٩٢ الحديث ٤٠٣ وسنن الدارمي: ١٢٦.

أول من صنف

نعم تفرّدت مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ـــ بقيادة عميدها الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ـــ بالحثّ على تدوين السنّة الشريفة والإهتمام بحفظها ونشرها، وكتابة التاريخ الإسلامي[1] بالرغم من حظر السلطة الحاكمة والضغط الذي كانت تمارسه على الصحابة والتابعين لشلّ هذه الحركة التصحيحية التي حاول أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) من خلالها مواجهة هذا التيّار المنحرف الذي حاق بالاُمّة الإسلامية عامّة وتاريخها المجيد بشكل خاصّ.

ومن هنا قد نفهم السرّ في الجرأة على التدوين عند بعض التابعين وتابعي التابعين قبل تاريخ رفع الحظر رسميًّا.

أول من صنف و أقدم ما وصل إلينا

و قد أشارت المصادر الموجودة بأيدينا إلى أنّ أوّل من صنّف في السيرة هو: عروة بن الزبير (م ٩٢ هـــ). وذكر ابن سعد: أنّ أوّل من تخصّص في السيرة أبان بن عثمان (م ١٠٥هـــ).

واستمرّت حركة التأليف في السيرة حتى وصل الدور إلى محمّد ابن إسحاق (م ١٥٣هـــ)، ولكن لم يصلنا من كتبهم شيء سوى سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام (م ٢١٨هـــ).

إلى جانب هؤلاء ظهر من لم يقتصر على أخبار السيرة، بل جمع إليها أخبار الجاهلية ثمّ أخبار الخلفاء أو بعضهم أو أخبار الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) مثل: محمّد ابن السائب الكلبي (م ١٤٦هـــ) وأبي مخنف لوط بن يحيى (م ١٥٧هـــ) وهشام بن محمّد الكلبي (م ٢٠٦هـــ) ونصر بن مزاحم (م ٢١٢هـــ) وابن قتيبة الدينوري (م ٢٧٤) والبلاذري (م ٢٧٩) وأبي

---

١ . أمر الإمام عليّ(عليه السلام) كاتبه عبدالله بن أبي رافع أن يكتب أقضيته وأحكامه. اُنظر النجاشيّ: ٤ـــ٧ مؤسّسة النشر الإسلامي.

الفرج الإصبهاني (م ٢٨٤) واليعقوبي (م ٢٩٢) والطبري (م ٣١٠هـ) والمسعودي (م ٣٤٦)[١].

دليل اشتهار سيرة ابن إسحاق

وقد اشتهرت سيرة ابن إسحاق وكُتِبَ لها النجاح; لاعتماد الثقات عليه، وقد أخرج له مسلم في صحيحه واستشهد به البخاري في مواضع وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.وقال الرجالي المعروف ابن عَدِيّ: «و لم يتخلّف في الرواية عنه القضاة والأئمّة الأثبات»[٢].
وهكذا أصبح ابن إسحاق عمدة المؤلّفين في السيرة، ولا سيّما بعد تهذيبها بواسطة ابن هشام الحميري البصري (م ٢١٨هـ)، فروى سيرته من طريق زياد بن عبدالملك البكّائي العامريّ الكوفي (م ١٨٣هـ)، ولكن ابن هشام هذا قد اختصرها وأضاف عليها ونقدها أحياناً وعارضها بروايات أُخر، وعلّل الاختصار والحذف بأمور منها: ما تفرّد به ابن اسحاق، ومنها: ما يشنع الحديث به! ومنها: ما يسوء بعض الناس ذكره!
كما أسقط منها تاريخ الأنبياء،وتاريخ ولد إسماعيل ممّن ليس في عمود النّسب النبويّ.

منهج الواقدي في المغازي

وأمّا الواقدي فهو محمّدبن عمر بن واقد (م ٢٠٧هـ) فقد روى عن سائر رواة الأخبار عن الزهري مع تشابه كبير بين فقرات كتاب السيرة لابن إسحاق وكتاب المغازي للواقدي إلاّ أنّه انفرد عنه بتطبيق المنهج العلمي حيث رتّب تفاصيل الحوادث بطريقة منطقية لا تتغيّر، فذكر أوّلاً قائمة بالرجال النّاقلين للأخبار ثمّ ذكر المغازي واحدة واحدة مع تاريخ الغزوة بالتحديد، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة ثم يذكر غزوات الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

١ . موسوعة التاريخ الإسلامي ١ : ١٦ ــ ١٨ .
٢ . موسوعة التاريخ الإسلامي ١ : ١٩ .

وأسماء من استخلفهم على المدينة في كلّ غزوة ثم أشعار المسلمين في القتال. كما يذكر اسم كلّ غزوة وتاريخها وأميرها[1] ، ويذكر أيضاً ما نزل من آيات القرآن في كلّ غزوة واضعاً لها مع تفسيرها في نهاية أخبار الغزوة[2].

نظرة تقويمية إلى مصادر التاريخ الإسلامي

لقد دأب بعض المستشرقين على تناول بعض أخبار السيرة بالبحث والنقد ثمّ جعلوا ذلك «وسيلة للطعن في شخص النبيّ الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) أو ما يتّصل به، فآمن بعض أصحاب الأقلام الجديدة بأنّ في السيرة أخباراً لا تمتّ إلى الحقّ بصلة في قليل ولا كثير، فأقدموا على تهذيب السيرة ممّا اُلصق بها وهو ليس منها، كقصّة شقّ الصدر والغرانيق وغرام الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بزوجة ربيبه زيد!

إنّ سيرة النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) كسائر العظماء اُضيف إليها ما ليس منها، إمّا عن حبٍّ وهوى وحسن نيّة وطويّة، وإمّا عن حقد وسوء قصد متعمّد، ولكنّها تمتاز عن سير جميع العظماء بأنّ شيئاً كثيراً منها قد ضمّه الوحي الإلهي وضمن حفظه القرآن الكريم، وكثيراً منها مرويّ على لسان الحفّاظ الثقات من المحدّثين.

و من هنا يمكن بناء السيرة النبوية علي أسس مضمونة كما يمكن تحليلها عمليا بشكل بعيد عن الأوهام و الخرافات بعد ملاحظة حال البيئة و جوانبها المختلفة من عقائد و نظم و عادات وتقاليد وطقوس.

ملاحظات نقدية على كتب السيرة والتاريخ

١ ــ إنّ الدارس لكتب السيرة والتاريخ; يلاحظ أنّ ما روته من أنباء فيه تفاوت جليّ من حيث التعارض والزيادة والنقصان و نسبة الموضوعات.

---

١ . موسوعة التاريخ الإسلامي ١ : ١٩ .

٢ . المصدر ١ : ٢٣ ــ ٢٤ .

فهذه سيرة ابن هشام أوْ قُل: سيرة ابن إسحاق وهي أقدم السِّير المعروفة اليوم تغفل كثيراً عمّا ذكره أبو الفداء في تأريخه، وما ذكره القاضي عياض في «الشفاء» وعن جميع كتب المتأخّرين تقريباً.

فلابدّ للباحث من أنْ يجعل لنفسه مقياساً يعرض عليه ما اتّفقوا عليه وما اختلفوا فيه، فما صدّقه هذا المقياس أقرّه، وما لم يصدّقه فلا يورده بل يردّه» ، ومثال ما يلزم رده قصة الغرانيق التي تتنافى مع خط التوحيد الخاص.

٢ ــ وهناك سبب آخر يوجب تمحيص ما ورد في كتب السلف ونقده نقداً علميّاً دقيقاً، هو: أنّ أقدمها قد كُتب بعد وفاة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بمائة سنة أوْ أكثر، وبعد أنْ فشت في الدولة الإسلامية دعايات سياسية وغير سياسية كان اختلاق الروايات والأحاديث من وسائلها للغلبة على خصوم واضعيها، فكيف بما كُتب متأخّراً في أشدّ الأزمان اضطراباً؟ فهل يمكن الأخذ به بدون تمحيص؟ وقد أدّت المنازعات السياسية التي حدثت بعد الصدر الأوّل إلى اختلاق كثير من الروايات والأحاديث تأييداً لها، هذا والحديث لم يدُوّن بعد إلى خلافة عمربن عبدالعزيز[1].

وحيث كان المقياس لقبول الرواية هو كون الراوي ثقة ، ولكن هذا المقياس غير كاف لاسيما إذا كان متن الرواية مما يخالف ظاهر القرآن ، بل ومما يوافق ظاهر القرآن أونصه.

قال ابن خلدون: «إنّني لا أعتقد صحّة سند حديث ولا قول صحابي عالم يخالف ظاهر القرآن، وإنْ وثّقوا رجاله، فَرُبَّ راو يوثّق للإغترار بظاهر حاله وهو سيّء الباطن. ولو انتقدت الروايات من جهة فحوى متنها كما تنتقد من جهة سندها; لقضت المتون على كثير من الأسانيد بالنقض. وقد قالوا: إنّ من علامة الحديث الموضوع: مخالفته لظاهر القرآن،أو القواعد المقرّرة في الشريعة،أو لبرهان العقل،أو الحسّ والعيان وسائر اليقينيّات»[2].

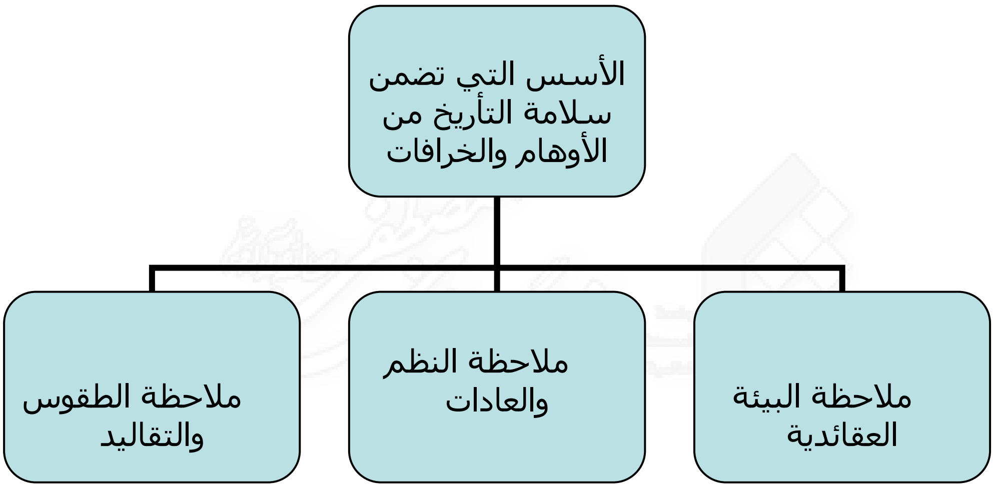
٣ ــ «وقد تولّى كتّاب السيرة كتابتها للخلفاء، فابن إسحاق كتب سيرته للمنصور وابنه المهدي، والواقدي كتب مغازيه للرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكيّ. اللهمّ إلاّ هشاماً الكلبي والمدايني

١ . طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٦.

٢ . طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٦.

فإنّهما لم يكتبا لأحد منهم، ولكنّهما ما كان لهما أن ينازعا الخليفة في آرائه خوفاً منه، ولذلك فإنّه لا ينطبق على ما كتبوه مقاييس الصحّة بدقّة»[1].

هذه بعض المآخذ على جملة مهمّة من المصادر التاريخية التي عرضنا لها بالرّغم ممّا احتوته من معلومات قيّمة لا نكاد نجد ما يضارعها في ما سواها من مصادر التاريخ دقّةً وتفصيلاً وأهمّيةً.



١ . راجع موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٣٥ ــ ٣٨ لتلاحظ الأمثلة والشواهد على ذلك.

الخلاصة :

١. إنّ ما دوّنه الصحابة من حديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته قد أُحرق بعد وفاته، ومنعوا من تدوين الحديث بشكل رسمي طيلة القرن الأوّل على الأقلّ.

٢. ولم يصلنا شيء من نصوص التاريخ الإسلامي، ما كان معاصراً لأحداث صدر الإسلام وعصر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، إلاّ ما اشتمل عليه القرآن الكريم من إشارات ونصوص.

٣. اتّسعت دائرة وضع الحديث بعد عصر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ولا سيّما في عصر معاوية وما تلاه، ومن هنا أخذت حقائق التاريخ تغيب تحت هذا الركام.

٤. وقف الإمام عليّ(عليه السلام) وبنوه وصحابتهم أمام منع حركة تدوين الحديث، فدوّنوا ما أمكنهم تدوينه وحاولوا إيصاله إلى الأجيال اللاّحقة حرصاً منهم على حفظ حقائق التاريخ.

٥. تعتبر سيرة ابن هشام تلخيصاً لسيرة ابن إسحاق إذ كان ابن إسحاق معتمداً عند الثقات وأصحاب الصحاح. وتعتبر مغازي الواقدي ثاني المصادر المعتمدة لدى المؤرّخين.

٦. وقد تضمّنت كتب السيرة أخباراً متعارضة وهذا أحد أسباب ضرورة تقويم أحاديثها وعدم الاعتماد على كلّ ما جاء فيها من أحاديث. بالرغم من اشتمالها على أحاديث قيّمة لا غنى للباحث التاريخي عنها.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامی (تاريخ صدر الاسلام)

مصادر التاريخ الإسلامی فی مدرسة أهل البيت (ع)

المقدمة

الهدف الدراسي:

مصادر التاريخ الإسلامي في مدرسة أهل البيت (ع)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هي أهم و أقدم المصادر التأريخية الإسلامية عند مدرسة أهل البيت؟

٢. ما هي اللآثار التي تركتها هده المصادر على الساحة الثقافية و العلمية و الساسية؟

٣. ما هي أهم المصادر التأريخية التي دونها أتباع أهل البيت (ع)؟

المحتوى العلمى:

مصادر التاريخ الإسلامي في مدرسة أهل البيت (ع)

دور القرآن و الأئمة (ع) في تدوين الحديث

لقد كان الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) انطلاقاً من مسؤليتهم يحثون أتباعهم على تدوين الأحداث و رواية النصوص لإيجاد تيّار قويّ قادر على حفظ التراث الذي بدأت السلطة بالتمهيد لضموره وضياعه من خلال منع تدوين الحديث.

علماً بأنّ الكتاب والسنّة كانا يشكّلان ــ بحقّ ــ البذرة الأُولى للحضارة الإسلامية السامية من خلال الدعوة إلى القرائة و الكتابة و التعلّم والتعقّل والمبادرة للتجربة لاكتساب أنواع المعرفة وتعميمها وتعميقها، ويدعوان إلى الاهتمام بالسنّة النبوية الشريفة كالاهتمام بالكتاب العزيز والتّوجه إلى سيرة الأنبياء وتاريخ الأمم بشكل خاصّ ومن هنا كان الحث من قبل أهل البيت(عليهم السلام) على تدوين السنة وتداولها منسجماً مع محكمات الكتاب والسنة.

وقد انتج هذا الحث الأكيد أثرين إيجابيين في المجتمع الإسلامي:

الأثر الأوّل: هو اهتمام صحابة أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم بتدوين السنّة وقضايا التاريخ الإسلامي اهتماماً خاصّاً تَمثّل في مجموعة من الكتب التاريخية والحديثية التي تكفّلت بحفظ التراث الإسلامي ولاسيّما تراث الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار(عليهم السلام).

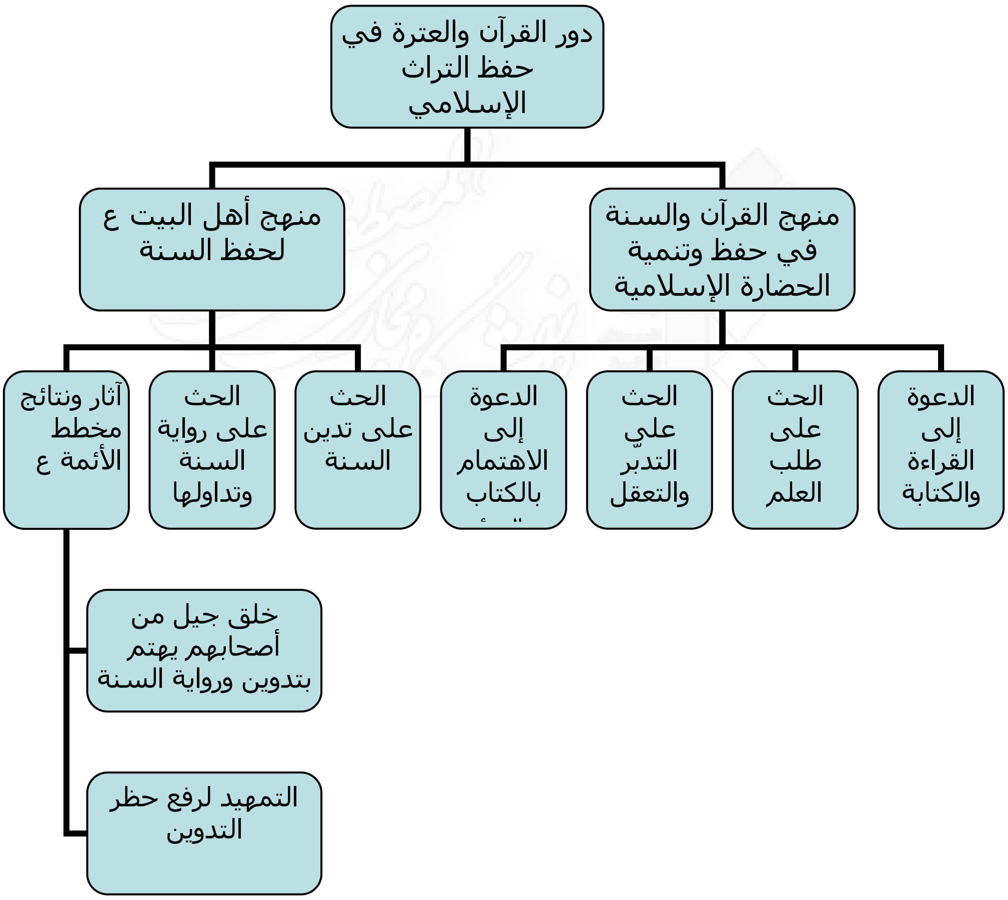
الأثر الثاني: هو التمهيد لرفع الحظر الجادّ من خلال كسر الطوق الذي كان الحكّام قد طوّقوا به الأُمّة الإسلامية لا سيّما محدّثيهم وعلماءهم.

وعلى هذا فالمصادر التاريخية التي يمكن أن تلقي بضوئها على تأريخنا الإسلامي وسيرة الرسول وأهل بيته الطاهرين لا تنحصر فيما عرِف من كتب السيرة العامّة التي تعرّضنا لها في البحث

السابق، وإنّما يجد الباحث نفسه أمام تراث تاريخي ثريّ لا يمكن التغافل عنه أو تناسيه أو تسقيطه; لأنّه من تدوين أتباع أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم.

و يصبح التعرّف على هذه المصادر التاريخية فرضاً علميّاً لا غنى للباحث عنه.

ومن الطبيعي أيضاً أن تنتقل إلينا سيرة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وسنّته من خلال أهل بيته الطاهرين، فإنّهم أحفظُ لها وأدرى بها ، وقد حرص أتباعهم على تدوينها وتناقلها بحسب تسلسل الأجيال والقرون.



مصادر مدرسة أهل البيت (ع) التأريخية

وإليك تعريفاً موجزاً بهذه المصادر حسب تسلسلها التاريخي مع الإشارة إلى مؤلّفيها:

١ ــ الشريف الرضي (م ٤٠٤ هــ): له **خصائص أخبار الأئمّة الإثني عشر**، على ترتيب أيّامهم، ذاكراً فيه تواريخ مواليدهم وأعمارهم ووفياتهم وقبورهم، وطرفاً من حجج النّصوص وحقائق البراهين عليهم، ولمعاً من جواباتهم وأقوالهم وأحاديثهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد ابتدأ بكتابته قبل (سنة ٣٨٣هــ) و لم يكمل من هذا الكتاب سوى خصائص الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) .

وله أيضاً نهج البلاغة الذي تضمّن جملة من خطب ورسائل، وكتب الإمام عليّ(عليه السلام)، وتضمّن جملةً من حقائق التاريخ التي ترتبط بعصر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والعصر الذي تلاه حتّى أيام حكومته واستشهاده(عليه السلام) .

٢ ــ الشيخ المفيد (م ٤١٣ هــ) له كتاب **الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد** وهو أوّل كتاب جمع فيه تواريخ الأئمّة الإثني عشر(عليهم السلام) . وقد جاء فيه ذكر السيرة النبويّة الشريفة عَرَضاً ضمن عرضه لتاريخ الإمام عليّ(عليه السلام) على عهد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم).

٣ ــ الشيخ الشهيد: محمّد بن الفتّال النيسابوري (م / ٥٠٨هــ) له كتاب **روضة الواعظين** في مجلّدين، وخصّ الأوّل منهما بالجانب العقائدي والتاريخي للنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة(عليهم السلام).

٤ ــ الشيخ أبو علي الطبرسي (م ٥٤٨هــ) له كتاب **إعلام الورى بأعلام الهدى**، يشتمل على تواريخ مواليد وأعمار الأئمّة(عليهم السلام) وطرف من أخبارهم ومحاسن آثارهم والنّصوص الدالّة على صحّة إمامتهم، وافتتح كتابه بالكلام عن مولد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ومبعثه وحياته وصفاته وأحواله وبعض غزواته ووفاته وقراباته(صلى الله عليه وآله وسلم).

وله كتاب تفسيري جامع بعنوان **مجمع البيان لعلوم القرآن** تضمّن بيان حوادث التاريخ خلال تفسيره للآيات، جاء بها من مصادرها العامّة والخاصّة.

٥ ــ قطب الدين الراوندي(م ٥٧٣هــ)له كتاب **قصص الأنبياء** في عشرين باباً خصّ البابين الأخيرين بخاتم النبيّين(صلى الله عليه وآله وسلم)، وله أيضاً كتاب **الخرائج والجرائح** خصّه بمعجزاته(صلى الله عليه وآله وسلم).

٦ ــ محمّد بن عليّ الحلبي (م ٥٨٨هــ) له كتاب **مناقب آل أبي طالب** وافتتحه بذكر سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله وسلم) .

٧ ــ الشيخ عليّ بن عيسى الأربليّ (م ٦٩٣هــ) له كتاب **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة** وقد بدأ بحوثه بذكر شيء من أحوال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وصفاته.

٨ ــ السيّد هاشم البحراني (م ١١٠٩هــ) له كتاب **حلية الأبرار محمّد وآله الأطهار**.

٩ ــ الشيخ محمد باقر المجلسي (م ١١١٠هــ) له كتاب شهير تحت عنوان **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأطهار**(عليهم السلام). وهو أكبر موسوعة (قرآنية ــ حديثية) تعتمد على تتبّع الأُصول المعتبرة لدى مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم المهجورة منها والمتداولة المشهورة، فألّف منها كتاباً منسّق الأبواب والفصول وطبعت بالطبعة الحديثة في ١١٠ أجزاء، وبلغت أجزاء السيرة النبويّة وسيرة الأئمّة(عليهم السلام) ثمانية وثلاثين جزءً سوى أجزاء الاحتجاجات والتراث الذي جاء عنهم(عليهم السلام) في كلّ مجال من مجالات المعرفة وسوى أجزاء حياة الأنبياء(عليهم السلام).

لقد كانت محاولة المجلسيّ ــ رضوان الله تعالى عليه ــ محاولة شاملة لكلّ ما تمكّن من جمعه وضبطه وتصنيفه تاريخاً نقليّاً وليس تحليليّاً.

ولذا فهذه النصوص التي جمعها المجلسيّ تشتمل على الصحيح والضعيف والغثّ والسمين، فهي إذن بحاجة إلى غربلة علميّة دقيقة تتناسب ومهمّة المؤرّخ الباحث الفاحص.

ومن هنا جاءت المحاولة الموسوعية لأحد المختصين بحقل التاريخ والمهتمّين بمصادر الفريقين تحت عنوان **موسوعة التاريخ الإسلامي**[1] لتسدّ المرحلة الأُولى من هذا الفراغ العلمي الذي تحتاجه الساحة الإسلامية لتتلوها سائر الخطوات والمحاولات التي تستكمل بها عمليّة البناء التاريخي الإسلامي على أُسس علميّة متينة معتمدة على نصوص القرآن الكريم المحكمة، ونصوص السنّة الشريفة المعتبرة، ومحكمات العقل الصائب، ومستجدّات العلم التي تفتح للدراسات التاريخية التحليلية آفاقاً جديدة.

ولا يسوغ للدارس المحقّق في حقل التاريخ أن يتغافل عمّا جمعه مؤلّف هذه الموسوعة، وما قام به من موازنة وتقويم، ليكون على حيطة وحذر من إغفال ما تناثر في بطون الكتب والمصادر القديمة والحديثة من أمور قد تؤثّر على رؤية الباحث الحصيف.

١ . تأليف الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، نشر مجمع الفكر الاسلامي، يستوعب العصر النبوي منها أربعة أجزاء في ثلاثة آلاف صفحة تقريباً.

الخلاصة :

١. اهتمّ الائمة المعصومون وشيعتهم بتداول أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والتزموا بالتدوين الذي أسفر عن إبطال الحظر وساهم في إيصال مجموعة كبيرة من أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وأهل بيته(عليهم السلام) إلينا.

٢. ومن هنا ولدت مصادر تاريخيّة وحديثيّة إلى جانب المصادر العامة اختصّ بتدوينها أتباع أهل البيت(عليهم السلام) ، وهي بوجودها تلقي الحجّة على كل مؤرّخ ومتتبّع حيث انّه لا يستغني عنها ولا يكون معذوراً فيما إذا تغافل عنها، لأنّها لا تقلّ في قيمتها التاريخيّة عن سائر المصادر التي اشتهرت عند المسلمين بل تتمتع بمصادر لم تتوفر في المصادر العامة.

٣. وتشكّل مجموعة أجزاء بحار الأنوار موسوعة حديثيّة غنيّة في مجال التاريخ والسيرة وغيرهما من مجالات المعرفة الإسلامية، ولعلّها أوسع موسوعة حديثية في مجال التاريخ والسيرة ولكنّها بحاجة إلى دراسات تكميليّة حديثة.

٤. وتأتي موسوعة التاريخ الإسلامي في عصرنا الراهن لترفد المكتبة الإسلامية بمحاولة جديدة تقوم بغربلة المصادر ومحتوياتها، ولا تغفل عمّا أفرزته آيات القرآن الكريم من حقائق تاريخيّة ينبغي للباحث أن يأخذها بنظر الإعتبار.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

جغرافية شبه الجزيرة العربية

المقدمة:

الهدف الدراسي:

البيئة التي انطلق فيها الإسلام

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هي ضرورة دراسة العصر الجاهلي و شبه الجزيرة العربية لمن يريد الإحاطة بتأريخ الإسلام؟

٢. ما هي الجوانب التي ينبغي دراستها عند دراسة العصر الجاهلي؟

٣. ما هي الخصائص الاجتماعية لعرب الجزيرة؟

٤. ما هي خصائص بيئة الرسالة الإسلامية دينيا و ثقافيا؟

المحتوى العلمي:

جغرافية شبه الجزيرة العربية

عرفت بلاد العرب عند مؤرّخي اليونان والرومان باسم أرابيا Arabia بينما يطلق عليها مؤرخوا العرب وجغرافيّوهم اسم «جزيرة العرب».

أمّا عن حدود شبه الجزيرة العربية فيحدّها من الشرق الخليج الفارسي وبحر عُمان، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشمال بادية الشام، ومن الجنوب المحيط الهندي.

وتختلف بلاد العرب من حيثُ طبيعتها باختلاف أجزائها، فبعض أجزائها تغطّيه كثبان الرمل، وبعض تكسوه الصخور، وبعض منخفض تكثر فيه الواحات من غيرانتظام وهي موطن القبائل فى الغالب[1]، وبعضها مرتفع.

أمّا مناخ شبه الجزيرة العربية فصحراوي حارّ جدّاً في الصيف وبارد جدّاً في الشتاء، ومن حيثُ الأمطارُ فقليلة تسقط في الخريف والشتاء والربيع بدفعات غير منتظمة، أما في اليمن فتسقط صيفاً بفعل الرياح الموسمية الآتية من شرقي أفريقيا[2].

أمّا من ناحية الحاصلات الزراعية والنباتات، فيأتي النخيل في مقدّمتها، ويكثر وجوده في الواحات. ويزرع من الحبوب: القمح والشعير والذرّة وتشتهر (فدك) ووادي القرى وخيبر والمدينة والبحرين بإنتاج الشعير، أمّا القمح فيكثر في اليمامة، والذرة في عسير، وتشتهر الطائف بإنتاج الكروم وأنواع الفاكهة، ويزرع البرتقال والسفرجل في المناطق المرتفعة، والموز في بعض الوديان الصّالحة نحو الجنوب[3].

---

١ . دراسات في تاريخ العرب، سالم : ١٠٥ ومابعدها.

٢ . عصر ما قبل الإسلام، مبروك نافع : ٢٨؛ محاضرات، صالح العلي : ١٥.

٣ . عصر ما قبل الإسلام، مبروك نافع : ٢٨؛ محاضرات، صالح العلي : ١٥.

العصر الجاهليّ

عرف عصر ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية «بالعصر الجاهلي»، والجاهلية هنا لا تؤخذ بمعنى الجهل الذي هو نقيض العلم، بل تعني: السفه والغضب والأنفة[1].

فعرب الجاهلية كانوا على جهل بالشرائع الحقّة والأحكام العادلة والمُثُل العليا التي جاء بها الإسلام، وعلى هذا الأساس يصحّ إطلاق لفظ الجاهلية هذا على العصر السابق لعصر النّبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)[2].

وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي.

قال تعالى: (**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**)[3].

وورد في معلّقة عمرو بن كلثوم الثعلبي قوله:

ألا لا يجهلنّ أحد علينا *** فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجاهليّة كلمة اطلقت على العصر السابق لعصر الإسلام مباشرة، الذي قوامه الوثنيّة والحميّة والأخذ بالثار واقتراف ما حرّمه الدين من الموبقات[4].

الحياة السياسيّة في الجزيرة العربيّة

كانت القبيلة هي الوحدة السياسيّة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام، فأفراد القبيلة ينتمون أو يعتقدون أنّهم ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة الدم والعصبية للأهل والعشيرة، ورابطة العصبية هي: شعور بالتماسك والتضامن والاندماج بين من

---

١ . لسان العرب، لابن منظور، ط بولاق (١٣٠٣ هـ) ١٣ : ١٣٦.

٢ . المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبدالكريم زيدان، بغداد ١٩٦٩ حاشية ص ١٥٤.

٣ . المائدة: ٥٠ .

٤ . راجع العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ط الرابعة ١٩٦٠، ص ٣٩.

تربطهم رابطة الدم، فهي بذلك تعدّ مصدراً للقوّة السياسية والدفاعية بين أفراد القبيلة، فتعمل العصبية بذلك على بناء المجتمع وحفظ كيانه، وهي تعادل الشعور بالقومية في العصر الحاضر، ولكن رابطة الدّم فيها أقوى وأوضح، والفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقبيلته وينصرها ظالمة كانت أو مظلومة[1].

وهكذا كان المجتمع العربي قبل الإسلام مجتمعاً مفكّكاً سياسيّاً ينقسم إلى وحدات متعدّدة قائمة بذاتها، تمثّلها القبائل المختلفة، فالعصبية في ذلك المجتمع قضت على فكرة الترابط السياسيّ، حتّى في حالة الانتساب إلى إحدى المجموعتين الكبيرتين:العدنانية والقحطانية ممّا أدّى إلى قيام صراع بين هاتين العصبيتين[2].

أمّا عن نُظُمِ الحكم السائدة في تلك المجتمعات القبليّة; فقد كان لكلّ قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه رجل يتمّ اختياره من بين أفراد القبيلة، ويطلقون عليه ألقاباً منها: الرئيس والشيخ والأمير والسيّد[3].

ويشترط في من يتولّى هذا المنصب أن تتوفّر فيه عِدّة صفات تؤهّله لقيادة القبيلة ورئاستها، منها: الشجاعة والحكمة والصبر والكرم، وأن يكون ذا نفوذ عظيم وقوّة في البيان ورأي ثاقب.[4] وكان على سيّد القبيلة واجبات أهمّها قيادة الجيش، وتولّي أمر المفاوضات مع القبائل الأُخرى، وفضّ المنازعات، والحكم في الخلافات، وإعانة الضعفاء، وإيواء الغريب، وإجارة المجير، والذّود عن النّساء، والمحافظة على وحدة القبيلة[5].

١ . صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص١٥٢ .
٢ . سالم: دراسات في تاريخ العرب ص٥٧٠ .
٣ . ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ط مصر، ١ : ٤٩.
٤ . راجع الآلوسي، بلوغ الإرب، ٢ : ١٨٧.
٥ . التاريخ الإسلامي العام، علي إبراهيم حسن : ٤٨١ ــ ٤٨٢.

وكان مجلس القبيلة يعقد اجتماعاته بدار الندوة، أو المنتدى أو النادي، حيث تناقش الأُمور والمسائل التي تخصّ القبيلة كإعلان الحرب، أو إقرار السلم، وتتّخذ قراراته بعد التشاور والمناقشات بالأغلبية[١].

البيئة الاقتصادية والاجتماعية التي انطلق فيها الإسلام

الحياة الاقتصادية في جزيرة العرب تتمثل في الزراعة ، والرعي، والصناعة ، والتجارة.

فأما الزراعة : فكانت محدودة في مناطق معينة ، وأهمها يثرب والطائف ، واليمين ، والسبب هو طبيعة أرض الجزيرة الصحراوي.

وأمّا الرعي : فكان مورد الرزق لأهل البوادي ، الذين ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للكلأ والماء.

وأما الصناعة : فلم تعرف الجزيرة ذلك ، إلاّ اليمن ، والحيرة ، ومشارق الشام ، فقد امتازت بالحياكة ، والدباغة ، والنجارة ، وصناعة الحديد والآلات الحربية ، واستخراج المعادن وغيرها.

وكان اليهود في يثرب ينتجون الأدوات الزراعية وصناعة الأسلحة.

وأمّا التجارة : فكانت عماد اقتصادهم ، و أكبر وسيلة للحصول على مستلزمات الحياة ، وأكبر مصدر للثروة.

وتوزعت الطرق التجارية في أنحاء الجزيرة ، وكانت أشهر الطرق هي التي تربط اليمن ببلاد الشام ، وكانت مكة ملتقى القوافل التجارية التي تسلك تلك الطرق.

وكان العرب يستوردون من الشام : القمح ، والدقيق ، والخمر ، ومن الحبشه النجور ، والجلود، والتوابل، والأطياب، والعاج، والرقيق، ومن الهند: الذهب، والعاج، والأحجار

---

١ . **محاضرات في تاريخ العرب، صالح العلي : ١٥٥.**

الكريمة، والمنسوجات، وخشب الصندل، وغير ذلك ويُصدّرون إلى البلاد الأُخرى: الزيت، والسمن، والصوف، والوبر، والجلود.

ولهم أسواق كانوا يقيموها شهور السنة وينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها العرب للبيع والشراء.

وأهم هذه الأسواق:عكاظ، وذوالمجاز، ومجنة في مكة، وحباشة في تهامة، وسوق عدن، وسوق الرابية بحضرموت.

وكان أهل الحجاز يتعاطون الربا ، وكان فاشياً بينهم.

وأما الناحية الاجتماعية : فتنقسم إلى علاقات ، وعادات.

فأما العلاقات:

١ ـــ علاقة الرجل بزوجته : فكانت تختلف باختلاف أوساط العرب بعضها عن بعض; فعلاقة الرجل بزوجته في طبقة الأشراف على درجة من الرقي ، فكانت للمرأة من حرية الإرادة ونفاذ القول القسط الوافر ، وهي محترمة مصونة ومع ذلك السيادة للرجل وهو نافذ الكلمة في الأُسرة.

ويتم ارتباط الرجل بالمرأة بعقدالزواج تحت إشراف أوليائهاو لم يكن من حقها أن تخالفهم.

وتوجد صور اُخرى من عقود الزواج نهى عنها الإسلام.

منها : زواج الشغار : وهو أن يتزوج الرجل اُخت أو بنت رجل آخر في مقابل أن يتزوج الآخر اُخت أو بنت الأول.

ومنها زواج المقت : وهو أن يتخذ الرجل زوجة أبيه زوجة له بعد طلاقها من الأب أو بعد موته.

هذا وتوجد صور اُخرى من النكاح ترجع يزوّجها إلى السفاح والفاحشة.

و كانت ظاهرة تعدد الزوجات من غير تحديد بعدد معيّن منتشرة بين العرب ، و كانوا يجمعون بين الأُختين.

و الزنا ظاهرة منتشرة في جميع الأوساط و الطبقات بلا استثناء ، إلاّ من بعض الأفراد و البيوتات.

و المرأة في المجتمع الجاهلي مهضومة الحقوق ، فأموالها تبتز ، وإرثها يؤكل ، وتترك أحياناً كالمعلقة من قبل زوجها ، و تورث كما يورث المتاع.

و أما علاقة الرجل بأولاده : فبسبب خوف العار كانوا يأدون البنات ، و لدفع الشؤم عنهم إذا كانت في البنت عاهة بدنية يأدونها أيضاً ، وخوف الفقر عامل آخر يدفعهم لوأد البنات ، بل و الصبيان أحياناً.

والذي يرث من الأولاد هم الكبار الذين يستطيعون أن يقاتلوا ، و أما النساء و البنات و الصبيان فلايرثون شيئاً.

وأمّا علاقة الرجل بأخيه ، و أبناء عمّه ، و عشيرته فكانت قوية ، تصل إلى حد التعصب لهم فينتصر لهم على كل حال ، و لذا كانوا يأخذون بالمثل المعروف : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.

و أما العلاقة بين القبائل المختلفة ، فكانت مفككة ، و لذا تجد وقوع الحروب و المنازعات فيما بينهم ، ولو على أتفه سبب ، كحرب البسوس التي طالت أربعين سنة بسبب قتل ناقة ، و اُريقت فيها دماء كثيرة.

نعم وجدت التحالفات والتعاهدات بين بعض القبائل مما لم يشمل العرب لكنّها محدودة.

وأمّا العادات : فهي على قسمين:

الأول : العادات الحميدة : فالوفاء فكان أمراً مقدساً يتمسكون به ، وإغاثة الملهوف ، وإقراء الضيف ، و الكرم و غير ذلك.

الثاني : العادات السيئة : مثل لعب القمار ــ المعروف بالميسر ــ حتى كان الرجل يقامر على أهله.

وتفشّي شرب الخمر فرادى وجماعات ، والغش ، والخديعة وأمثال ذلك.

بيئة الرسالة الإسلامية دينياً وثقافياً

الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام

إنّ من يستقرئ الأديان التي كانت موجودة في المنطقة العربية في زمن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يجدها خليطاً عجيباً من الأديان.

أ ــ عبادة الكواكب: ففي اليمن وحرّان وأعلى العراق، كان فئات من النّاس يعبدون الكواكب والنّجوم وهم الصابئة.

ب ــ المجوسيّة: وكان في البحرين وفي العراق فئات من النّاس يعتقدون الديانة الزرادشتيّة ــ المجوسيّة ــ التي تقدِّس النّار، وتعتبرها عنصر خير لأنّها مصدر النّور، وكان مهد هذه الديانة بلاد فارس.

ج ــ النّصرانية: وفي شمال الجزيرة العربية في قبائل تغلب وقضاعة وغسّان وفي جنوبها في اليمن حيث تخضع هذه القبائل لسيطرة الرومان النّصارى، كانت تسود الديانة النصرانيّة.

د ــ اليهوديّة: ونجد في اليمن، وفي وادي القرى، وفي خيبر، وفي تيماء، وفي يثرب حيث بنو قريظة، وبنو النّضير وبنو قينقاع تجمّعات يهوديّة لها وزنها سياسيّاً وعسكريّاً واقتصاديّاً.

هــ ــ الوثنية: كانت الوثنية منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية، حتى لتعتبر الديانة الأكثر أتباعاً والأكثر انتشاراً فيها.

١) **نشأة الوثنيّة:** ويقال بأنَّ أوّل من أدخل عبادة الأصنام إلى مكّة عمرو بن لُحيّ الخزاعي، حين كانت السيادة على مكة لخزاعة دون قريش، وذلك أنّ عمرو بن لُحي أصيب بمرض الحكّة في جلده، فَوُصِف له الاغتسال بماء حارّة في بلاد حوران اليوم ــ ويرجّح أنّها مياه الحِمَّةِ الكبريتيّة على الحدود السوريّة الفلسطينيّة ــ فذهب فاغتسل بها فشفاه الله، ووجد هناك النّاس يعبدون الأصنام، فحمل معه صنماً فنصبه في الكعبة المشرّفة.

ويقال: إنّ أصل عبادة الأصنام حدثت عندما كثر أبناء إسماعيل(عليه السلام) واضطرّوا أن يخرجوا من مكّة طلباً للعيش، فكانوا يحملون عند خروجهم شيئاً من تراب الحرم الذي يحمل

ذكرى الكعبة، أثر أبيهم إسماعيل، ثم حملوا هذا التراب للحفاظ عليه، وتطوّرت الذكرى إلى تقديس، فعبادة.

٢) **أصنام العرب**: ومن أصنامهم مناة، اللاّت، العُزّى، هُبل، إساف ونائلة، ودّ، يغوث، يعوق، نَسْر، جهار، شمس، الفلس، السعيدة، ذو الخليصة ذو اللّبا، المحرق، ذريح، مَرْحَب المنطبق، ذو الكفّيْن.

٣) **إيمان الوثنيين بالله تعالى**: وكان الوثنيون يؤمنون بالله العليِّ الأعلى، وأنّه هو الخالق البارئ المصوِّر، وقد حكى القرآن الكريم إيمانهم هذا بقوله تعالى: (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**)[1].

وهم لا يعبدون هذه الأصنام إلاّ لتكون وسيلتهم إلى الله، كما قال تعالى على لسانهم (**وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**)[2] وبذلك وقعوا في مفارقات غريبة لا يقبلها عقل، ولا يقرُّها منطق.

الحالة الثقافية: اتّفقت كلمة المؤرّخين على أنّ العرب ـــ قبل بعثة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ـــ كانوا يتّصفون بالأُمّيّة، وسجّل القرآن هذه الحقيقة عندما قال:

(**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ**)[3].

ولا ننكر أنّ العرب كانوا على علم بالنّجوم والطبّ ولكن علمهم بالنّجوم كان لا يتعدّى مقدار احتياجهم إليها كأداة من أدوات الإستدلال على الاتجاهات في الصحراء التي تنعدم فيها معالم الطّرق، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**)[4].

---

١ . لقمان: ٢٥.

٢ . المزمر: ٣.

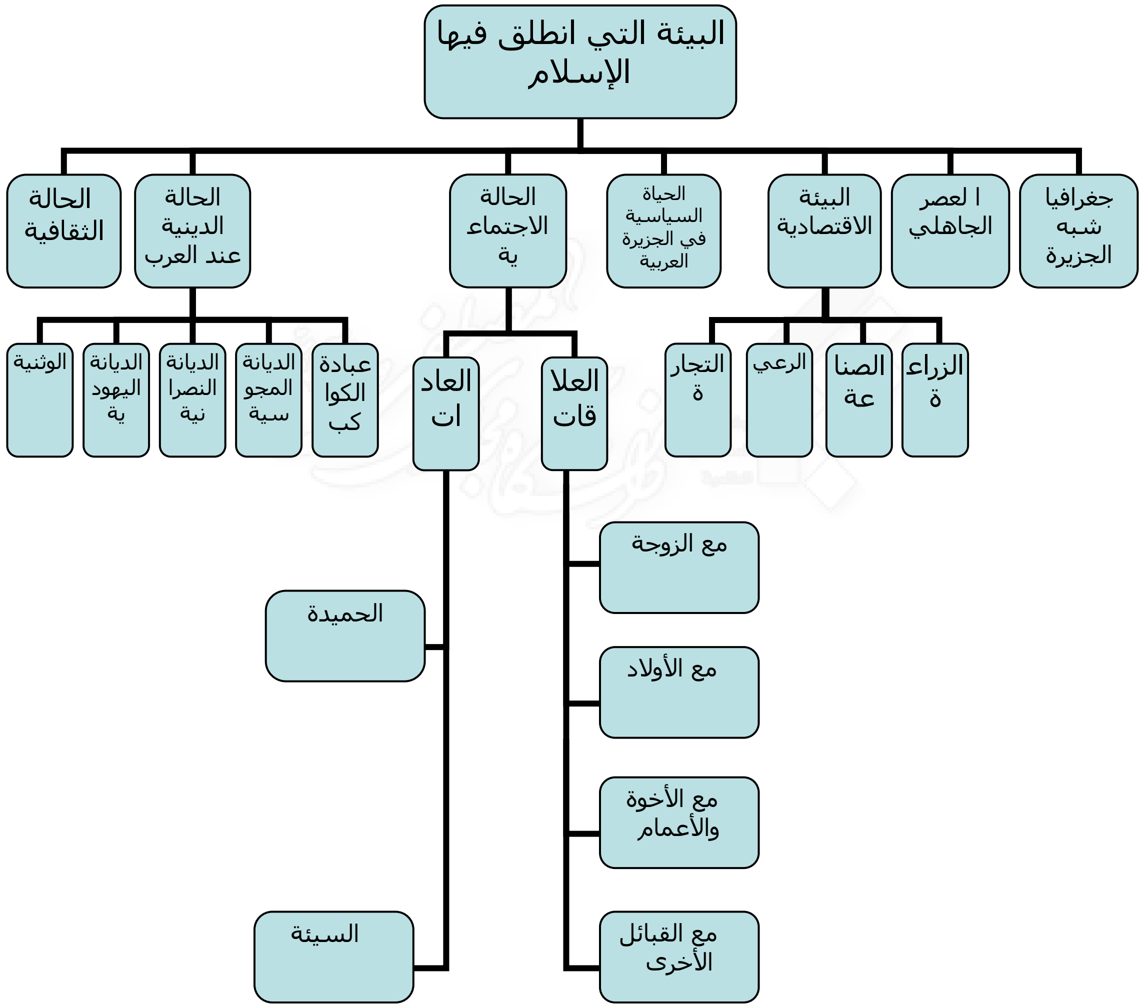
٣ . الجمعة: ٢.

٤ . الأنعام: ٩٧.

وأمّا علمهم بالطبّ فإنّه كان لا يتعدّى الوصفات الشعبيّة المتداولة المبنيّة على أساس من التجربة لا على أساس من العلم[1] ، و عندهم علم الأنساب ، و علم الأثر.

ونستطيع أن نحصر علوم العرب في عِلْمَيْن أساسيّين هما: التاريخ واللّغة:

ونريد بالتّاريخ: أيّام العرب وأنسابهم، ولعلّ ذلك كان من لوازم الحياة القبليّة، حيث كان رجال القبيلة يسمرون فيقصّ بعضهم على بعض أيّام العرب، ويذكرون أنسابهم فيتفاخرون بها فيما بينهم.



---

١ . نور العيون وجامع الفنون، المقدّمة، تحقيق الدكتور محمد رواس.

الخلاصة :

١. إنّ التعرّف على تاريخ وجغرافية المنطقة التي ولد فيها خاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله وسلم) ونشأ وعاش في أرجائها حتّى بعثه الله برسالته; يساعدنا على الوقوف على الدّور الذي لعبه النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته المباركة في النّقلة الحضارية الكبرى لإنسان هذا الموطن الذي كانت همومه وآماله تؤطّرها هموم وآمال القبيلة، حيث لم يعرف الدولة وقوانينها ولم يحمل مظاهر الحضارة، حتّى إذا ظهر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأسّس الدولة الإسلامية في المدينة المنوّرة حدث التحوّل التاريخي في حياة إنسان الجزيرة وما جاورها.

ثمّ إنّ دراسة الظواهر والحالات التي كانت تكتنف المجتمع الجاهليّ قبل الإسلام تسهم في التعرّف أوّلاً على قيم هذا المجتمع وأحواله، كما تساعدنا أيضاً في التعرّف على الدّور الذي لعبته الرسالة في تحرير هذا الإنسان، ونقله بنورها إلى عالم أرحب هو عالم العدل وكرامة الإنسان والمساواة التي لم يكن ينعم بها الإنسان من قبل.

٢. إنّ أهم عصب للحياة الاقتصادية في بلاد الجزيرة هو التجارة و لذا اهتم ، العرب بذلك أشد الاهتمام ، و تعاهدوا مع القبائل التي تقع في الطرق التجارية لضمان سلامة القوافل.

تعتبر الحركة التجارية في بلاد العرب ظاهرة حضارية لها ميزتها.

٣. تعتبر المرأة في المجتمع الجاهلي وعاء لإنجاب الأولاد وأداة للخدمة، إلاّ من بعض الأُسر.

إنّ الحياة الاجتماعية كانت فاسدة ، فالجهل متفشي ، والخرافات لها موقعها في نفوسهم ، والناس طبقات مترفة ومعدمة.

٤. تعدّدت الأديان التي كانت منتشرة قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربيّة والمناطق المحيطة بها.

فبالإضافة إلى المسيحية واليهودية وأهل الكتاب كانت هناك المجوسية وعبادة الأصنام والكواكب وكانت الوثنية منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية وكانت الوثنية أكثر الأديان أتباعاً.

٥. أمّا بالنّسبة للحالة الثقافية فقد أكّد المؤرِّخون على أنّ الأميّة كانت منتشرة في الجزيرة وسجّل القرآن الكريم هذه الظاهرة في سورة الجمعة في قوله تعالى: (هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ...) وكان العرب يهتمّون بتاريخ الوقائع وأيّامهم والأنساب، ولم يُعرف العرب وقتئذ بالفلسفة ولا بالعلوم الأُخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

البعثة النبويّة المباركة فجر الرسالة الإسلامية

المقدمة:

الهدف الدراسي:

البعثة النبوية المباركة

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هو مبدأ التأريخ الإسلامي و كيف بدئ؟

٢. ما هو أول ما نزل من القرآن على رسول الله (ص)؟

٣. هل هناك دعوة سرية للنبي؟

٤. ما هي مراحل الدعوة في العهد المكي؟

٥. ما هي أهم التوجيهات القرآنية الأولي التي رسمت منهج الحركة الإسلامية؟

المحتوى العلمى:

البعثة النبويّة المباركة فجر الرسالة الإسلامية

هناك تساؤل لمعرفة مبدأ التأريخ الإسلامي و هو أنه هل كان النبي يعلم بنبوته قبل البعثة؟ و متى علم ذلك و متى نزل القرآن عليه و هل اقترنت بعثته بنزول الوحي القرآني؟ أو هناك وحيان قرآني و غير قرآني؟

لدينا نصوص عديدة تدل على أنّ النبيّ محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) كان على علم بأنّه سيكون رسولا[1] و لكنه لم يطلب منه القيام بمهمّة الرسالة إلاّ بعد أن بلغ الأربعين[2] و المعروف عند أهل البيت(عليهم السلام) ـــ وهم أدرى بما في البيت ـــ أنّ البعثة النبويّة المباركة كانت في السابع والعشرين من شهر رجب الأصبّ.

فعن الإمام الصادق(عليه السلام) : أنّه اليوم الذي اُنزلت فيه النبوّة على محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)[3]، وعن الإمام الهادي(عليه السلام) أنّه : يوم بعث الله محمّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى خلقه رحمةً للعالمين[4].

ويؤيّده ما رواه في كنز العمال عن البيهقي، وعن سلمان الفارسي(رضي الله عنه)، وما رواه الحلبي عن الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة[5].

و في المأثور من أدعية أهل البيت (ع): اللهم إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المعظم و المرسل المكرم اللهم بارك لنا في ليلتنا هذه التي بشرف الرسالة فضلتها ... اللهم فإنا نسألك بالمبعث الشريف و السيد اللطيف و العنصر العفيف... (البلد الأمين للكفعمي).

---

١ . المناقب ١ : ٤٣ ، و شرح نهج البلاغة ١٣ : ٢١٧.

٢ . الطبرى ٢ : ٣٨٧ ، و المناقب ١ : ٤٤ عن القمي و رواه الراوندي في قصص الأنبياء ، ص ٣١٨.

٣ . الكافي ٤ : ١٤٩ طبعة الآخوندي.

٤ . تهذيب الأحكام ١ : ٤٣٨ .

٥ . السيرة الحلبية ١ : ٣٨٤ .

نعم هناك من ذهب إلى أنّ البعثة كانت في ربيع الأوّل، أو شهر رمضان استناداً إلى قوله تعالى:(**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ**)[1] معتبراً ضرورة اقتران البعثة بنزول القرآن[2]. ولا ضرورة تأريخية لاقتران البعثة النبوية بنزول القرآن الكريم على رسول الله (ص) ليلة البعثة المباركة.

أوّل ما نزل من القرآن

اتّفقت نصوص كثيرة عن أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) وغيرهم على أنّ أوّل ما نزل من القرآن هو مطلع سورة العلق (وهي الآيات الخمس الأُولى). ولم يذكر فيها بصراحة أنّ نزول هذا المطلع كان مقارناً لبدء البعثة النبويّة المباركة.

ولكن روى الطبرسي عن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) حديثاً جاء فيه أنّ أوّل ما نزل على النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بمكّة هو (فاتحة الكتاب) ثم (إقرأ) ثم (ن والقلم)[3].

ويؤيّده ما رواه الواحدي في أسباب النزول بسنده عن شرحبيل بن عمرو[4].

وعلى أيّ حال فلا مانع من سبق البعثة النبويّة وتقدّمها على نزول مطلع سورة العلق أو الحمد من القرآن الكريم.

وعلى هذا يصحّ أن تكون البعثة وبداية الوحي غير القرآني في رجب، ويكون بدء الوحي القرآني في شهر رمضان[5].

---

١ . البقرة: ١٥٨.

٢ . الطبري ٢ : ٤٤، واليعقوبي ٢ : ٢٢.

٣ . مجمع البيان ١٠ : ٤٠٥ .

٤ . أسباب النزول، ص ١١ .

٥ . ولا ينبغي أن نغفل عن محاولة العلاّمة الطباطبائي للتوفيق بين نصوص البعثة في ٢٧ رجب ونصوص نزول القرآن في شهر رمضان وهي تبتني على التسليم باقتران بدء نزول القرآن بالبعثة النبويّة فيكون نزول مطلع سورة العلق في ٢٧ رجب وبدء النزول التدريجي ونزول القرآن في شهر رمضان هو النزول الدّفعي وهو نزول مجموع القرآن الكريم على قلب الرسول العظيم(صلى الله عليه وآله وسلم).

وهناك من النصوص ما يقدّر هذا الفاصل بثلاث سنين وهو فترة الدعوة السرّية. و على هذا فالتسلسل الطبيعي للأحداث يكون كالآتي:

١ ــ بُعِثَ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الإثنين في السابع والعشرين من رجب.

٢ ــ والتحق به خاصّته من أهل بيته (عليّ وخديجة(عليهما السلام)) في يوم الثلاثاء وأعلنا إيمانهما بنبوّته والسير على خطى هديه وتعاهدا معه لمؤازرته والدفاع عنه، ولم يكتما إيمانهما به ولا الاتّباع له، حيث أنّهما كانا يصلّيان معه في فناء الكعبة أمام عامّة الناس[١].

٣ ــ واستمر ذووه بالإلتحاق به، فالتحق جعفر وزيد بن حارثة وأبو طالب(عليه السلام)، واطّلع عامّة بني هاشم على نبوّته من دون أن يطلب منهم الإيمان أو النصرة والمؤازرة في بداية الأمر حتّى نزلت (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**) حيث استكملوا الأربعين.

٤ ــ والتحق به بالتدريج جمع غفير من سائر القبائل.

٥ ــ ثم حدّدت له الآيات القرآنية تاريخ البدء بإنذار العشيرة الأقربين بشكل خاص وطلب منهم الإيمان به والنّصرة لدينه والمؤازرة له.

٦ ــ ثمّ أُمر بإنذار عامّة الناس بعد أن أحكم أساس دعوته بالإعلان عن وجود من يخلفه في هذا الطريق الربّاني ويرعى مسيرته، وهو ربيبه وابن عمّه عليّ ابن أبي طالب(عليه السلام) الذي أعلن بكلّ صراحة وشجاعة عن مؤازرته له والدفاع عنه أمام بني هاشم وبني المطّلب (عشيرته الأقربين) في القصّة المعروفة بحادثة يوم الدار.

١ . كما تشهد له قصّة عفيف الكندي. راجع إعلام الورى ٣٨١ وقد وردت نصوص متعدّدة عن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) يصرّح فيها بأنّه قد عبد الله مع النبّي قبل أن يعبده أحد من هذه الأُمّة سبعاً أو ثلاث سنين، ورسول الله صامت لم يؤذن له بالإنذار والتبليغ (راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٥ و١٣: ٢٢٩).

مراحل الدعوة والتبليغ في العهد المكّي

وإذا قسّمنا عصر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عهدين متميّزين: العهد المكّي والعهد المدني; فلنا أن نقسِّم كل عهد منهما إلى مراحل. وعليه **نستطيع أن نقسّم العهد المكّي إلى ثلاث مراحل هي:**

١ ــ مرحلة إعداد القاعدة الأُولى أو بناء النواة الجهادية الأولى للدعوة.

٢ ــ مرحلة إعلان الدعوة وبداية المواجهة والصراع مع الوثنيّة والشرك. و هي تتمثل في خطوتين: أ. إنذار العشيرة الأقربين. ب. الإعلان العام.

٣ ــ مرحلة الامتداد والهجرة بعد اشتداد الصراع وتصاعد المواجهة.

التوجيهات القرآنية ومنهج الحركة الإسلامية

حين نستقرئ الأوامر الأُولى الموجّهة إلى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في مطالع السور الأُولى نحصل على منطلقات ومنهج الحركة الإسلامية التي رسمها القرآن الكريم للرسول العظيم(صلى الله عليه وآله وسلم) ولأتباعه المؤمنين برسالته وهي كَالآتى:

١ ــ التثقيف والتعليم على أساس الهَدْي الربّاني: **(اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الاْنْسَانَ مِنْ عَلَق * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الاْكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الاْنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم)**[1]، وَ **(وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)**[2].

٢ ــ التربية على العبادة والخضوع التامّ والذكر الدّائم لله تعالى والتوكّل عليه: **(قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ... وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً)**[1].

---

١ . العلق: ١ ــ ٥ .

٢ . المزمّل : ٤ .

٣ ــ القيام والحركة لله وتكبيره وتعظيمه كما ينبغي: (قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ).

٤ ــ ترك الذّنوب والموبقات وتجنّب الإنحرافات على جميع المستويات: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ)[٢].

٥ ــ الصبر والإستقامة والصمود حتّى تحقّق النصر: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ.. وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ .. وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً)[٣].

٦ ــ اللّين في التعامل من دون إدهان: (وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)[٤]، (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)[٥].

٧ ــ عدم إطاعة المكذّبين وعدم الخضوع لهم أو الانخداع بأساليبهم: (فَلاَتُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ .. وَلاَتُطِعْ كُلَّ حَلاَّف مَهِين...)[٦].

وتهدف الرسالة الإسلاميّة في كلّ مراحلها وبكلّ أساليبها إلى تربية الإنسان المسلم على مكارم الأخلاق ومعاليها، والابتعاد به عن سفاسفها من خلال التأسّي بالرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم) والالتزام بالأحكام الإلهيّة والتسلّح بالرؤية التوحيديّة للوجود والحياة.

فالقرآن الكريم رسم الخطوط العريضة للرصيد الفكري والقيمي لهذه الحركة الإلهية المباركة[٧].

---

١ . المزمّل: ٢ ــ ٩ .

٢ . المدثر : ٤ ــ ٦ .

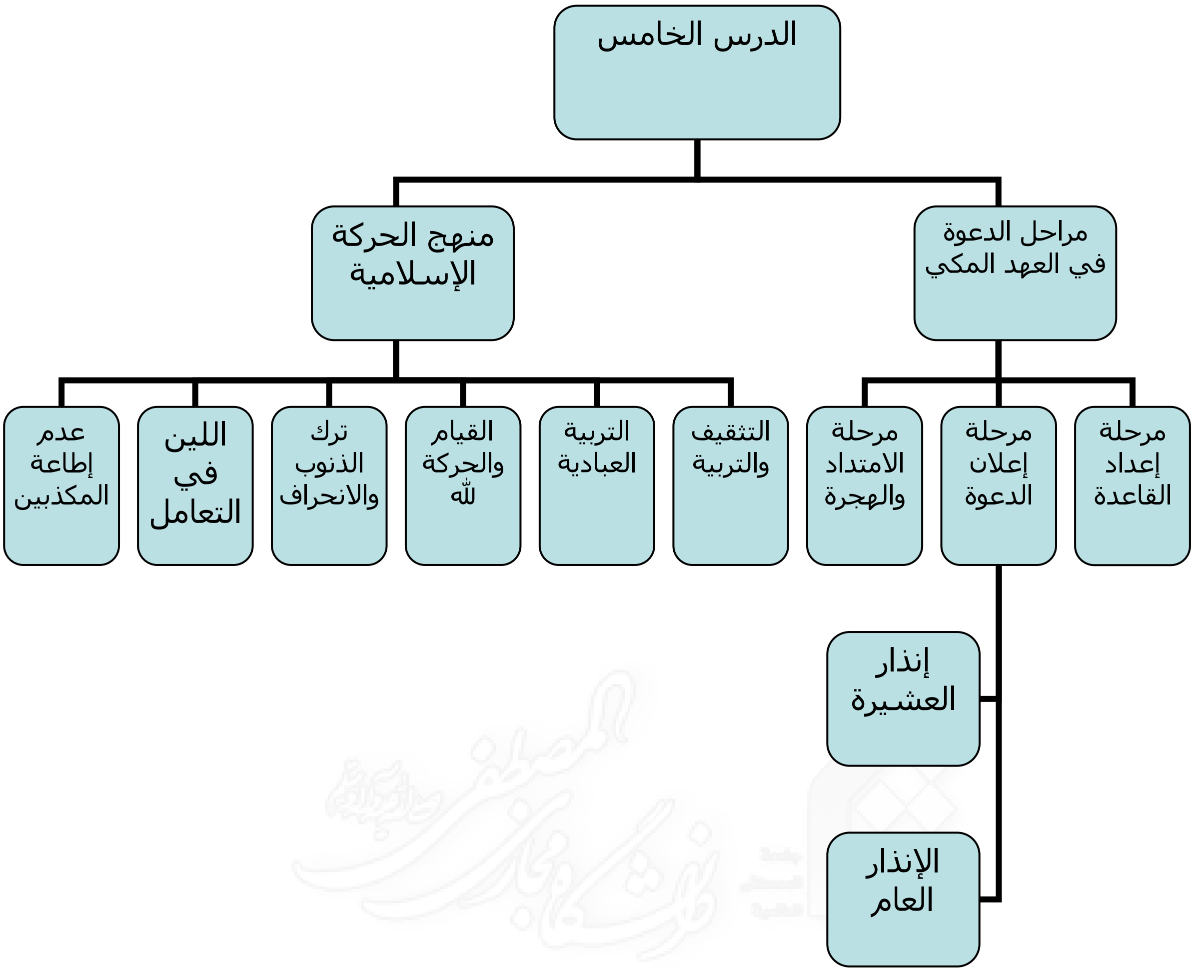
٣ . المزمّل : ١٠ ــ ١١ .

٤ . المزمّل : ١٠ .

٥ . القلم : ٩ .

٦ . القلم : ٨ ــ ١٦ .

٧ . العلق: ١ ــ ٥ و القلم: ٤.


الدرس الخامس
مراحل الدعوة في العهد المكي
منهج الحركة الإسلامية
مرحلة إعداد القاعدة
مرحلة إعلان الدعوة
مرحلة الامتداد والهجرة
التثقيف والتربية
التربية العبادية
القيام والحركة لله
ترك الذنوب والانحراف
اللين في التعامل
عدم إطاعة المكذبين
إنذار العشيرة
الإنذار العام

الخلاصة :

١. كان النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) مؤيّداً مسدّداً قبل البعثة المباركة من قبل السماء، وأُنزلت عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة قبل أن يترل عليه القرآن الكريم في يوم الإثنين في السابع والعشرين من رجب المرجّب.

٢. وكان أوّل ما نزل من القرآن حسب أكثر النصوص عند الفريقين هو مطلع سورة العلق.

٣. وكانت سورة «الحمد» و«المزمّل» و«المدثّر» و«القلم» و«المسد» هي السور التالية لها التي رسمت للنّبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) منهج الحركة والدعوة إلى الله سبحانه.

٤. وقد آمن بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) زوجته خديجة(عليها السلام) وربيبه علي بن أبي طالب(عليه السلام) وغلام خديجة زيد بن حارثة وابن عمّه جعفر بن أبي طالب، حتّى تكامل المسلمون أربعين شخصاً خلال ثلاث سنوات من النبوّة.

٥. وتنقسم مراحل الدعوة إلى دين الله الخالد في العهد المكّي إلى ثلاث مراحل:

مرحلة إعداد القاعدة الأُولى، ثمّ مرحلة الإعلان وبداية المواجهة ضمن خطوتين ثمّ مرحلة الامتداد والهجرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

البعثة النبوية من الدّعوة الخاصّة

المقدمة:

الهدف الدراسي:

البعثة النبوية من الدّعوة الخاصّة حتّى الإعلان العامّ

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. أهم ما قام به الرسول (ص) في المرحلة الأولى من العهد المكي.
٢. ما هي أهم الأسس التي بنى عليها رسول الله (ص) النواة الأولى لدعوته و رسالته؟
٣. متى بدأت المرحلة الثانية من العهد المكي؟ و كيف بدأت؟
٤. كيف بدأ الرسول (ص) دعوته إلى الناس جميعا؟ و متى؟

المحتوى العلمى:

البعثة النبوية من الدّعوة الخاصّة

وهي المرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات، وقد اصطلح عليها المؤرّخون والباحثون بالمرحلة (السرّية) حيث اقتصر تحرّك الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) على من كان يمتلك سلامة الفطرة وكان عنده ميل للإسلام; ولهذا اقتصرت الدعوة حينئذ على جملة من المستضعفين في مكّة وعشيرة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت أمام الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) نقطتان هامّتان في هذه المرحلة وهما:

إنّ

المرحلة الأُولى من العهد المكّي (بناء النواة الجهادّية الأُولى)

إننا نعلم أن رسول الله (ص) حينما أمر بتبليغ الرسالة إلي الناس جميعا إنما بدأها بحكمة و أنما بدأها ضمن مخطط إلهي يتكفل إنجاح هذه الرسالة المباركة بعبئها الثقيل و بتحملها كأمانة كبري فكان ينبغي أن تنتقل إلي الأجيال المسلمة و المؤمنة لتكون مشاعل في الطريق إلي كل أبناء البشرية؛ لأن رسول الله (ص) حينما بدأ رسالته بدأها رسالة عالمية و الدليل عليه النصوص القرآنية الكثيرة منها: «و ما أرسلناك إلا كافة للناس»؛ «نذيرا للبشر»؛ «لمن شاء منكم أن يستقيم». أن هذه النصوص تبين أن هذه الرسالة و إن انطلقت من جزيرة العرب لكنها رسالة عالمية.

و لأجل أن تكون هذه الانطلاقة قوية و سليمة و صحيحة كان من الضروري أن يقوم النبي (ص) ببناء وإعداد الجماعة الصالحة تكون بمثابة القاعدة الطليعيّة للدعوة، وإنّ مرحلة البداية والانطلاق في تاريخ الدعوة تعدّ من أهمّ المراحل الأساسية التي تواجهها الدعوات، ولابدّ من التخطيط لها بما يتناسب مع الأهداف والظروف المحيطة بها، فإذا اُخذ بنظر الاعتبار المهمّة والمسؤولية المتعلّقة بالجانب التغييري بأبعاده الفكرية والإجتماعية في مجتمع جاهلي يؤمن بأرباب

متفرّقة، وعلاقاته القائمة على أساس الاستعباد والرقّ وسيادة (الملأ) الذين ارتبطت مصالحهم واستمرار سلطانهم بعبادة الأوثان وتقديسها.

وقد كشفت وقائع السيرة في المراحل التالية لهذه المرحلة[1] مدى خطورة هذه المرحلة ، لا سيّما إذا لاحظنا مدى عنف ردّ الفعل الذي قوبلت به الدعوة من قبل المجتمع الجاهلي يومئذ.

لقد كان ردّ الفعل هذا ــ وما اتّسم به من العنف بأقصى مداه ــ يعكس إدراك الملأ القرشي لمدى خطورة هذه الدعوة وما تبشّر به من مبادئ العدل والأُخوّة بين الناس والمساواة المؤدّية الى تحطيم لمصالحهم المادّية غير المشروعة ومواقعهم الاجتماعية التي حازوها لا عن جدارة.

إنّ خطوات الرسول القائد(صلى الله عليه وآله وسلم) كانت ذات أثر كبير في إكمال البناء الأوّل وإعداد القاعدة الطليعية لحمل الرسالة والحفاظ عليها. فمن خطواته صلوات الله عليه وآله في هذا الاتّجاه:

١ ــ اختيار الأشخاص الذين يتمتّعون بمواصفات خاصّة تتناسب مع عظمة الرسالة.

٢ ــ الحيطة والحذر في التحرّك والكتمان مهما أمكن.

٣ ــ اتّخاذ مقرّ خاصّ للقاءات (وهو دار الأرقم)[2].

٤ ــ التأنّي والدقّة في التعامل ، وعدم التظاهر بالممارسات العباديّة الجديدة.

٥ ــ التعليم والتربية الفكرية والأخلاقية والروحيّة على أساس مفاهيم وقيم الرسالة الجديدة.

وهو أهمّ عناصر البناء والإعداد الرسالي، كما أشارت إلى ذلك قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَل مُبِين**)[3].

٢ ــ حماية النواة الأُولى والمحافظة عليها

---

١ . راجع ابن هشام ١ : ٤٦ وما بعدها.
٢ . تاريخ الطبري ١: تاريخ ما قبل الهجرة.
٣ . الجمعة : ٢.

تواجه كل الدعوات والحركات تحدّياً كبيراً يهدّدها بالإضعاف والانحراف، إن لم تتّخذ التدابير الوقائية اللاّزمة للحيلولة دون ذلك.

والتاريخ البشري مليء بالتجارب التي تمكّنت من تحقيق انطلاقات كبرى ومكاسب مهمّة، لكنّها سرعان ما تلاشت وأخذت اتّجاهات اُخرى سارت بها بعيداً عن منطلقاتها وأهدافها[1].

في حين أنّ النواة والقاعدة الاُولى للدعوة الإسلامية قد تجاوزت ذلك بفضل القيادة العظيمة المتمثّلة في شخصية الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) التي لم تعرف الإنسانية مثيلاً لها على امتداد تاريخها، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الرسالة الإسلامية دعوة عالمية، تهدف إلى إحداث تحوّل شامل وعميق في حياة الإنسانية تنتقل عبره من الظلمات إلى النّور.

وعليه تكون الحاجة ملحّة إلى حماية البناء الأوّل وإحكامه، حيث يعدّ قاعدة التحرّك في مواجهة الوثنية العالميّة ووسائلها المتعدّدة، فإنّ طبيعة الدعوة والرسالة الإلهية، تناقض بصفة جذريّة اُصول ومرتكزات الفكر والحياة الجاهليين في الاعتقاد وطريقة التفكير وطريقة العمل وأنواع العلاقات، فهي تمثّل ردّاً حاسماً على كل القيم الجاهلية وانقلاباً جذرياً على ثقافة العصر وممارساته ومطامحه القريبة والعاجلة»[2].

والقرآن العزيز يوضّح مستوى ثقافة قوم النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ومدى سيطرة الجهل عليهم من خلال تصويره لبعدهم عن الثقافة الإلهية، حيث لم ينذَروا من قبل و لم يرسل إليهم رسول ليقوم بمهمّة الإنذار والدّعوة لله سبحانه. قال تعالى: (**لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا اُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ**)[3].

وقال الله تعالى أيضاً:(**فَإِنَّمَايَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً**)[4].

أي انّهم درجوا على اللّجاج والجدال بالباطل والإعراض عن الحقّ والمكابرة فيه.

---

١ . مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، بيروت، ص١٤ .
٢ . عماد الدين خليل، دراسة في السيرة ص٩٩، بتصرّف.
٣ . يس : ٦ ـ ٧ .
٤ . مريم : ٩٧ .

كما قرّر القرآن حقيقة أُخرى كان يعيشها المجتمع الجاهلي وهي الصدارة الاجتماعية المبنيّة على الثراء والجاه، من هنا كانوا يرون أنّه لابدّ أن يُنزّل القرآن على أحد رجلين كانا يتمتّعان بمنزلة مادية اجتماعية رفيعة في ذلك المجتمع.

قال تعالى: (**لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُل مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم**)[1].

فالدعوة في هذه الفترة كانت في حاجة أكيدة إلى نماذج نوعيّة أكثر قابليّة للانضباط وذات الاستعداد العالي للعطاء لبناء قاعدة الاضطلاع الحقيقي بالمشروع الإسلامي على طول الخطّ ومرحلة الانطلاق للدعوة العامة بشكل خاص حتى إقامة الدولة والمجتمع الإسلامي.

المرحلة الثانية من العهد المكّي

وهي المرحلة التي تبدأ بإنذار العشيرة الأقربين ثمّ الدعوة العامّة في مكّة من أجل توسيع دائرة حركتها وتأثيرها في المجتمع المكّي وغيره من المجتمعات.

وبعد أن اجتاز النّبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) المرحلة الأُولى بنجاح تام وهيّأ القاعدة الأُولى للانطلاق حيث بلغ عدد الداخلين في الإسلام أربعين رجلاً، أنزل الله سبحانه عليه: (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِين**)[2].

ولمّا نزلت هذه الآية المباركة أمر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ربيبه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) أن يصنع طعاماً ويدعو بني عبد المطلب وبني هاشم ، فصنع علي(عليه السلام) ما أمره النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم). ولمّا أكلوا وشربوا قال لهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة، ثم قال لهم: من يؤازرني على هذا الأمر فيكون أخي ووصيّي وخليفتي عليكم؟ فلم يجبه أحد غير عليّ(عليه السلام) ثلاثاً فأمرهم

---

١ . الزخرف: ٣١ .
٢ . الشعراء: ٢١٤ .

النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد إجابته بالسمع له والطاعة، فأخذ القوم يضحكون، وقالوا لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لابنك[1].

وهكذا كان التأسيس الإلهي للولاية جنباً إلى جنب مع الإعلان عن الرسالة ودعوة الناس إليها.

وذكر اليعقوبي أنّهم قد اجتمعوا في دار الحارث بن عبد المطّلب وبعد أن أكملوا الطعام تكلّم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فأنذرهم كما أمره الله ودعاهم إلى عبادة الله تعالى وأعلمهم تفضيل الله إيّاهم واختصاصه بهم إذ بعثه بينهم...

فقال أبو لهب: خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإنْ منعتموه قُتلتم وإن تركتموه ذللتم. فقال أبو طالب: يا عورة! والله لننصرنّه ثمّ لنعيننّه. يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربّك فأعلمنا حتّى نخرج معك بالسلاح»[2].

وهكذا انفضّ الاجتماع عن إعلان عميد البيت الهاشمي (أبي طالب) بقرار البيت الهاشمي ألا وهو حماية النّبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم تسليمه إلى المكذّبين برسالته.

الإعلان العامّ

وبعد أن تمّ بناء القاعدة (الصلبة) للدعوة أصدر الله أمره إلى رسوله الكريم أن يتجاوز هذه المرحلة فيجهر برسالته ودعوته. و بالفعل لقد صدع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بالأمر ، و لكنه واجه من قومه الصد و الاعتراض خصوصاً من وجهاء مكة المكرمة ، و منذ تلك اللحظة انفجر الصراع الواضح المكشوف بين المعسكرين: معسكر الشرك ومعسكر الإيمان.

والمسلمون لم يؤمروا بالعنف ــ طيلة العصر المكّي ــ لئلا يتعرّضوا لعملية إبادة تحقّق للوثنيّة ما كانت تأمله وترجوه... .

---

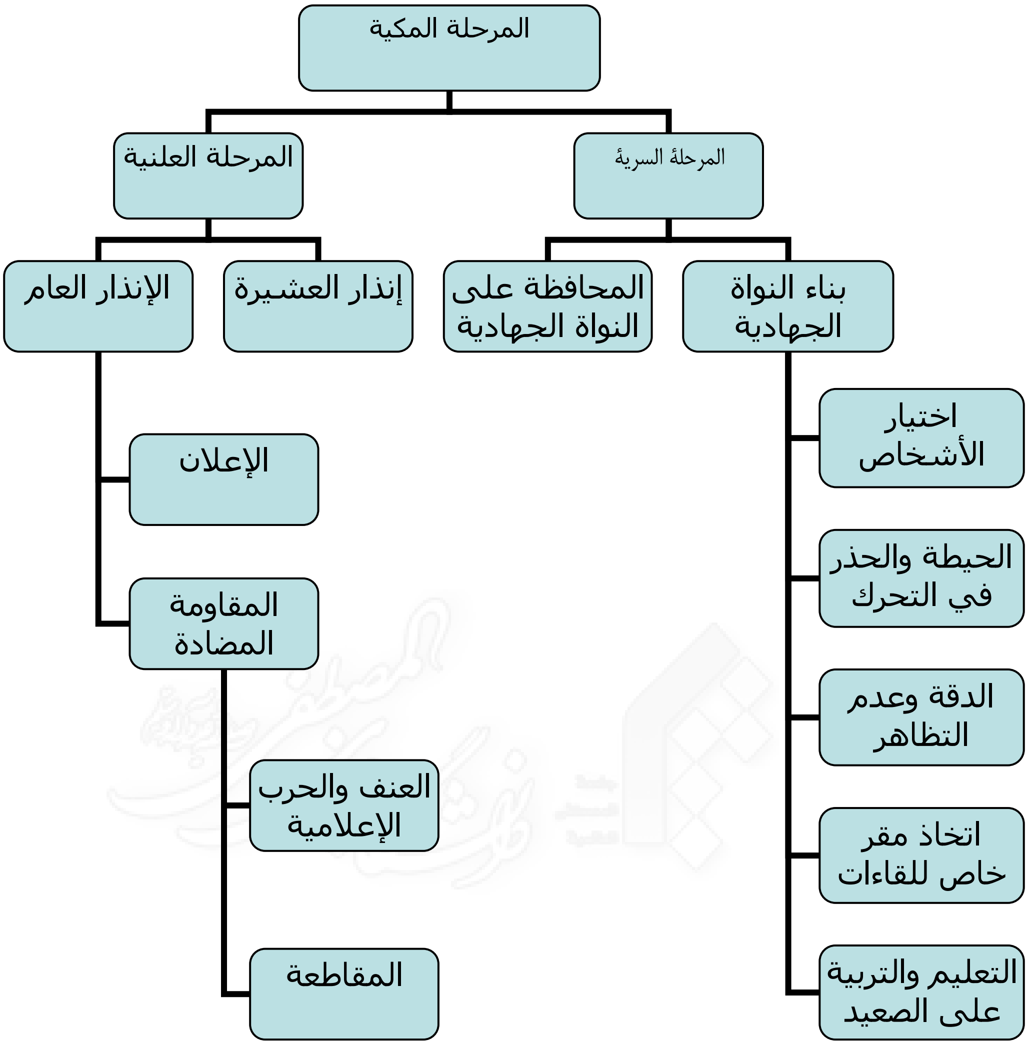
١ . تاريخ الطبري ٢ : ٦٢ .
٢ . تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٧ .

وقد بدأ الملأ من قريش نشاطهم المضادّ في سلسلة من الاتصالات المبطّنة بالوعد والوعيد مع أبي طالب ومحمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما أعقبت جميعها فشلاً ذريعاً حيث أعلن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)عن موقفه الذي لا مهادنة فيه ولا مساومة في كلمته الحاسمة والمعروفة: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر أو أُقتل دونه ما تركته...»، هنا وجدت الوثنية نفسها مسوقة إلى استخدام أساليب العنف والاضطهاد والحرب النفسيّة لإيقاف الخطر الجديد المحدق بها وبمصالح أصحابها. وانقضّت كلّ عشيرة على أبنائها وعبيدها المسلمين تعمل فيهم تعذيباً وتحطيماً للمعنويات واضطهاداً لهم و لم ينج الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه من هذا البلاء النازل، باتهامه بالجنون ، أو بالمسحور، والتشكيك بالرسالة ، و أمثال ذلك.

ولكن كان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يبثّ في أصحابه روح الثبات والمقاومة، ويرسم لهم ببصيرته الثاقبة، وبالهدي الإلهي، الطرائق والأساليب التي تقترب بهم يوماً بعد يوم من الهدف الذي كان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد وعد أصحابه ببلوغه مهما طال الطريق وعظمت المصائب... و لم يكن التخطيط للهجرة الموقوتة إلى الحبشة، والاتّصال المستمر بالقبائل والوفود القادمة إلى مكّة، والذهاب إلى الطّائف، ولقاءات العقبة الثلاثة إلاّ خطوات على الطريق...

وبعد أن شعرت قريش أنّها قد أخفقت في كلّ الأساليب التي اعتمدتها للحدّ من انتشار الرسالة التي حملها محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) ارتأت في أعقاب اجتماع عقده زعماؤها أن تستخدم سلاح (المقاطعة الشاملة) كعقاب جماعي للمسلمين وحماتهم من بني هاشم وبني المطلب، لعلّها تضعف قدرة أتباع النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) على المقاومة، وتدفع حماتهم، إلى أن ينفضّوا من حولهم ويتركوهم لوحدهم، معزولين، مجرّدين من الحماية، وسط عاصفة الغضب الهوجاء التي اجتاحت صدور المشركين وساحات مكّة، إلاّ أنّ السلاح الجديد قد ثلم هو الآخر أيضاً إزاء مقاومة المسلمين وبني هاشم و على رأسهم أبو طالب(عليه السلام)حامي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وناصره على طول الخطّ.

إذن استتبع إعلان الدعوة العام المواجهةَ من قبل رموز الجاهليّة الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بالملأ، وكانت قريش ببطونها هي المخاطب الأوّل لدعوة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت استجابتها ــ وهي في الموقع الاجتماعي والسياسي المرموق عند عرب الجزيرة ــ تشكّل منعطفاً كبيراً في تقدّم الرسالة، كما كان إحجامها وتلكّؤها يشكِّل عقبة كؤوداً أمام حركة الرسالة وتطوّرها.


المرحلة المكية
المرحلة العلنية
المرحلة السرية
الإنذار العام
إنذار العشيرة
المحافظة على النواة الجهادية
بناء النواة الجهادية
اختيار الأشخاص
الإعلان
الحيطة والحذر في التحرك
المقاومة المضادة
الدقة وعدم التظاهر
العنف والحرب الإعلامية
اتخاذ مقر خاص للقاءات
المقاطعة
التعليم والتربية على الصعيد

الخلاصة :

١. بدأ الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته إلى الله سبحانه ، وكان عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)ربيبه وابن عمّه أوّل المؤمنين برسالته وأوّل من عبد الله مع رسوله.

كما كانت أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد(عليها السلام) أوّل امرأة آمنت بنبوته وبرسالته، ثمّ آمن ربيبه زيد ابن حارثة أو جعفر بن أبي طالب من بني هاشم، واستمرّت الدعوة حتّى بلغت القاعدة الأُولى أربعين شخصاً من رجال ونساء.

٢. ثمّ أُمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بإعلان الدعوة بدءً بعشيرته الأقربين، وأسفر الإجتماع ببني المطّلب وبني هاشم عن إعلان النبوّة وولاية العهد معاً، وأعلن أبو طالب(عليه السلام) حمايته للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته بالرغم من وقوف أبي لهب في الموقع الأوّل من المواجهة.

٣. ثم بدأت الدعوة العامّة وأخذ الملأ من قريش يخطّطون لتحجيم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وحركة الرسالة ويطوّرون أساليبهم حسب تطوّر حركة الرسالة بالتدريج.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

تشريح مواجهة قريش مع الرسالة ١

المقدمة:

الهدف الدراسي:

تشريح مواجهة قريش مع الرسالة (١)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماهي الأسباب التي دعت قريش لمواجهة الرسالة؟

٢. ماهي المراحل التي قطعتها قريش في هذه المواجهة؟

٣. ماهي الأساليب التي انتهجتها قريش في المواجهة؟

المحتوى العلمى:

تشريح مواجهة قريش مع الرسالة (١)

١ ــ أسباب مواجهة الرسالة

لقد أشار المؤرّخون إلى مجموعة من الأسباب، ونكتفي هنا بالإشارة الى أهمّها:

الف ــ التنافس على السيادة القبلية

كانت زعامة مكّة قد آلت إلى بطون قبيلة قريش، وكان أشرف البطون إطلاقاً أولاد عبد مناف (بني هاشم، بني المطّلب، بني عبد شمس، بني نوفل)[1]، وقد تقاسمت هذه البطون مناصب الشرف، فاختصّ الهاشميون بالسقاية والرِّفادة، وهو من أخطر المناصب آنذاك وأكثرها كلفةً، واختصّ بنو عبد الدار باللّواء، وهو رمز لوحدة قريش، واختصّ بنو عبد شمس بالقيادة التي آلت إلى أبي سفيان.

كان هاشم أوّل من سنّ رحلتي الشتاء والصيف، وفي السنين العجاف لم يكن لمكّة غير هاشم من يطعم الناس ويشبعهم، وكان يحمي ابن السبيل ويؤمِّن الخائف وينهى عن أكل الحرام، ويجالس الملوك، فكثيراً ما دخل على النّجاشي وقيصر فأكرماه، مما جعله قائداً فعليّاً لمكّة، الأمر الذي أثار حسد أميّة واعتبره خطراً يهدِّد حصّته في القيادة[2].

---

١ . الطبقات ١ : ٧٧ .

٢ . السيرة الحلبية ١: ٧ والطبقات ١ : ٧٦ ــ ٧٧.

وخلف هاشماً ابنه عبد المطّلب الذي كان متخلّقاً بأخلاق أبيه، فنهى عن الظلم والبغي، وحثّ على الوفاء بالنّذر، ومنع نكاح المحارم، ونهى عن وأد البنات، وحرّم الخمر والزنا، وكانت رؤياه حقّاً، ودعاؤه مستجاباً، وكان يفي بالعقود ولا يظلم ولا يغدر، ويحرّم أكل الميتة[1].

كانت كلّ تلك الصفات والمزايا العالية تجعل من صاحبها زعيماً وقائداً فعليّاً، الأمر الذي أثار حسد البطون ووساوسها، وبدأت تشعر بالقلق من هذا التميّز الهاشمي، وكان أبو سفيان أكثرها قلقاً، و مما أزاد في قلقها أنّ فتى عبدالمطلب يكلّم من السماء[2] وهذا ما يفصح عنه جواب أبي جهل حينما سأله أبو شريف: أترى محمداً يكذب؟ فقال له أبو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنّا نسمّيه الأمين لأنّه ما كذب قطّ، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوّة، فأيّ شيء يبقى لنا؟ وكان أبو سفيان يقول: (كنّا وبني هاشم كفرسي رهان، كلّما جاؤا بشيء جئنا بشيء مقابل، حتّى جاء منهم من يدّعي بخبر السماء، فأنّى نأتيهم بذلك)[3].

ولذا كان البطن الأموي بقيادة أبي سفيان أكثر البطون القرشية معاداةً للنّبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وللهاشميين; وذلك لأنّ دعوة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تعني فقدان هذا البطن لمنصب القيادة، وقد شكّلت هذه البطون بقيادة أبي سفيان جبهة لمعارضة النبي وآل النبي، واستخدموا كلّ وسائل المعارضة[4].

ب ــ الثورة على مبادئ الجاهلية

أــ جاء الإسلام بميزان التقوى، فرفع شعار لافرق بين عربي و لا أعجمي، ولا بين أبيض و لا أسود إلاّ بالتقوى و العمل الصالح، و ألغى الفوارق المصطنعة للتفاضل بين أفراد المجتمع من مال،

١ . تاريخ الطبري ٢: ٢٤٦ ــ ٢٥٤.
٢ . السيرة الحلبيّة ١ : ٤٦١.
٣ . السيرة الحلبية ١ : ٤٩٧.
٤ . راجع خلاصة المواجهة مع الرسول و آله، ص ١٩ ــ ٢٠.

و جاه، و حسب، و أمثال ذلك، فصار العبد المؤمن أفضل من سيّده الكافر و إن كان من ذوي الجاه و الثروة، و هذا مما أثار حفيظة المستكبرين.

ب ـــ سفه عقول المشركين بما هم عليه من عبادة الأصنام و الأوثان، والضرب بالأزلام، وانتقد الكثير من عاداتهم الجاهلية المقيتة، ذكر اليعقوبي في تاريخه: إنّ قريشاً قالت لأبي طالب(عليه السلام): إنّ ابن أخيك قد عاب آلهتنا، و سفه أحلامنا و ضلّل أسلافنا، فليمسك عن ذلك، وليحكم في أموالنا بما يشاء...[1] .

ج ـــ انتقد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) متابعتهم للآباء و الأجداد بلا نظر و لا تدبّر، لأنّهم كانوا يفترضونها أمراً مقدّساً لابدّ من الاحتفاظ به و إن كان أسلافهم على الباطل.

د ـــ توجد أسباب اُخرى ربّما كانت مجرد مبرر لرفضهم دعوة التوحيد الخالص التي تتصادم مع مصالحهم و مكانتهم، مثل قولهم: (... **إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**)[2] أي رغم أنّ قولك يا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) حقّ، و لكنّنا نخاف أن يتخطّفنا العرب من أرضنا و لا طاقة لنا بهم.

مراحل و أساليب المواجهة

أصبحت المواجهة بين النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) و الهاشميّين من جهة و بين بقيّة بطون قريش من جهة اُخرى قدراً محتوماً، واتّخذت المواجهة مراحل أربع، و لكلّ مرحلة اُسلوبها.

المرحلة الاُولى: اتّخذت المواجهة طابع الحرب الباردة، أي المواجهة النفسيّة والإعلاميّة، واقتصرت أساليبها على السخريّة، والإهانة، والاتّهامات الباطلة، كالرمي بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر، كما استعملوا اُسلوب الترغيب، والترهيب، ومن صور هذه الأساليب: أنّ

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٤.

٢ . القصص: ٥٧ .

أبا جهل قال لأصحابه عندما رأى النبيّ يصلّي عند الكعبة من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعري فأخذ فرثاً و دماً من جزور نحروه فلطخ به وجه النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، فانفتل النبيّ من صلاته، ثمّ إلى أبا طالب فقال: يا عمّ، ألاترى ما فُعِلَ بي؟ فقال أبوطالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم): عبداللّه بن الزبعري. فقام أبوطالب و وضع سيفه على عاتقه و مشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبوطالب: واللّه لئن قام رجل لجلّلته بسيفي فقعدوا حتّى دنا إليهم، فقال: يا بنيّ من الفاعل بك هذا؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): عبداللّه بن الزبعري. فأخذ أبوطالب فرثاً و دماً فلطخ به وجوههم و لحاهم و ثيابهم...[1] .

و كان أبولهب ــ لعنه اللّه ــ يتبع رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) في الأسواق و يقول: يا أيّها الناس إنّ هذا ابن أخي و هو كذّاب فاحذروه[2] .

المرحلة الثانية: صعّد المستكبرون المواجهة إلى اضطهاد المستضعفين من المسلمين من عبيد، وغير عبيد ممّن لا منعة لهم و لا عشيرة تحميهم أو تجيرهم، فعذّبت بعضهم كخباب بن الأرت، و صهيب بن سنان، وبلال بن رباح، وسجنت آخرين، بل وصل التنكيل إلى القتل، فقد طعن أبوجهل سميّة و **المرحلة الثالثة**: أرادت قريش أن تقتل النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) و لكن بلغها أنّ أباطالب عند ما عَلِمَ زوجها ياسر فكانا أوّل شهيدين في الإسلام.

بذلك قال:

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتّى أُغيّب في التراب دفينا

فخشيت من عاقبة الأمر مادام أبوطالب حيّاً، ولذا التجأت إلى إعلان المقاطعة الكاملة الشاملة لبني هاشم، حيث كتبت قريش صحيفة ظالمة، بألاّ يبايعوا أحداً منهم ولايناكحوهم ولا يعاملوهم حتّى يدفعوا محمّداً إليهم ليقتلوه، و تعاهدوا و ختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً،

---

١ . حياة أميرالمؤمنين ١ : ٢٧١ ــ ٢٧٣.

٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٤.

وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار فشلت يده[1]
.

فاعتزل بنوهاشم وبنو المطلب وعلى رأسهم ابوطالب(عليه السلام) في شعبه مدّة ثلاث سنين، عانوا فيها أشدّ المعاناة، و لكنّهم صمدوا إلى أن فرّج اللّه بفشل عمليّة الحصار عن طريق الإعجاز الإلهي، و ذلك بأنّ اللّه سلّط الأَرَضَة على الصحيفة فأكلت كلّ ما فيها إلاّ إسم الجلالة، فأخبر الرسول عمّة أباطالب بذلك، وعند ما سمع الخبر أخذ أبوطالب الرسول وأهل بيته إلى الكعبة فجلس بفنائها، فجاءت قريش من كلّ اُوْب فقالوا: قد آن لك يا أباطالب أن تذكر العهد وأن تشتاق إلى قومك و تَدَع اللجاج في ابن أخيك.

فقال لهم: يا قوم، احضروا صحيفتكم فلعلّنا أن نجد فرجاً و سبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة; واحضروها وهي بخواتيمهم. فقال: هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها. فقالوا: نعم. قال: فهل أحد تتمّ فيها حدثاً؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فإنّ محمّداً أعلمني عن ربّه أنّه بعث الأَرَضَة فأكلت كلّ ما فيها إلاّ ذكر اللّه; أفرأيتم إن كان صادقاً ماذا تصنعون؟ قالوا: نكفّ و نُمسك. قال: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه. قالوا: قد أنصفت و أجملت; و فُضّت الصحيفة فإذا الأَرَضة قد أكلت كلّ ما فيها إلاّ مواضع بسم اللّه، فقالوا: ما هذا إلاّ سحر، و ما كنّا قطّ أجدُّ في تكذيبه منّا ساعتنا هذه.

و أسلم يومئذ خلق من الناس عظيم و خرج بنوهاشم من الشعب و بنوالمطلب فلم يرجعوا إليه[2].

المرحلة الرابعة: بعد أن فشلت مرحلة الحصار، ورجوع بني هاشم، و بني المطلب إلى منازلهم حدث في ذلك العام أن توفّيت خديجة بنت خويلد، الزوجة الوفيّة والناصرة لرسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) وللرسالة، التي أنفقت كلّ ما تملك في سبيل اللّه وكان آخر ما عندها قد أنفقته في فترة الحصار.

---

١ . سيرة ابن إسحاق ٢ : ١٤٧.

٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١ ـــ ٣٢.

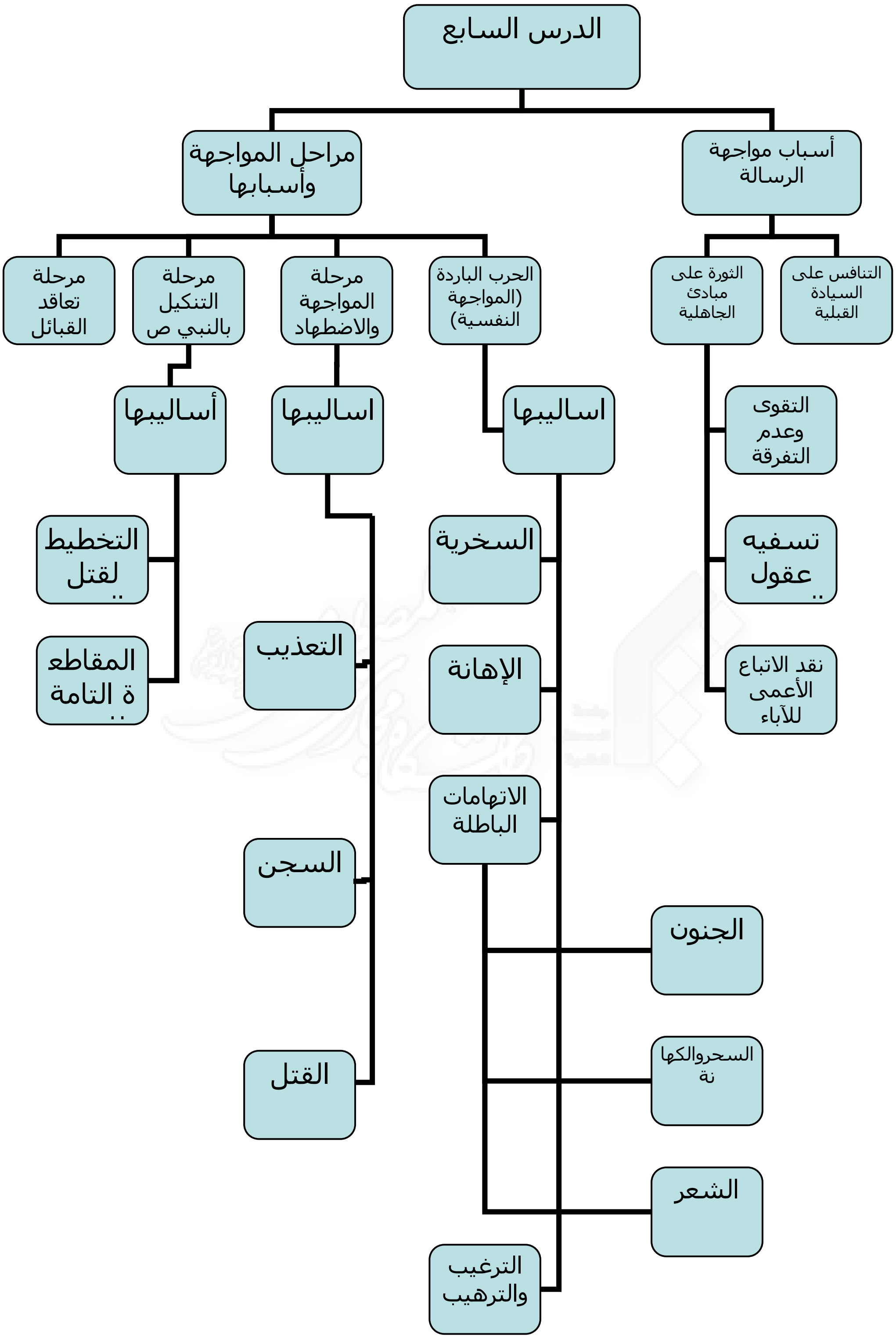
رحلت إلى ربّها، وكانت تبلغ من العمر خمس وستّين سنة، وتوفّي أبوطالب أيضاً الناصر المحامي عن رسول اللّه وعن الرسالة، حيث نذر نفسه وكلّ ما يملك من مال وجاه في سبيل اللّه، وقد توفّي بعد وفاة خديجة بثلاثة أيّام، وله من العمر ستّ و ثمانون سنة، وقيل تسعون، ولّما علم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بوفاته دخل عليه و مسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال: يا عمّ، ربّيت صغيراً و كفّلت يتيماً و نصرت كبيراً، فجزاك اللّه عنّي خيراً; و مشى بين يدي سريره وجعل يعرضه و يقول: وَصَلَتكَ رحم و جزيت خيراً[1].

و قد حزن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عليهما حزناً شديداً وسمّي هذا العام بعام الحزن، وقال في هذه المناسبة: اجتمعت على هذه الأُمّة في هذه الأيّام مصيبتان لاأدري بأيّهما أنا أشدّ حزناً[2]. **المرحلة الخامسة**: بعد فشل تلك المرحلة من المواجهة، وبعد فقد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) للمحامي والناصر تعاقدت قريش على قتل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق اشتراك جميع القبائل باختيار شخص من كلّ قبيلة، فيجتمعون على الرسول ويضربونه ضربة رجل واحد، فيتوزّع دمه حينئذ بين القبائل، فيعجز بنوهاشم عن المطالبة بدمه ويقبلوا بالدية، فتنتهي دعوة التوحيد بموت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنّ اللّه عزّ وجلّ أخبر الرسول بعزم قريش وأمره بالخروج من مكّة مهاجراً إلى المدينة، وبهذا فشلت هذه المحاولة كما فشلت المراحل السابقة من المواجهة.

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥.

٢ . نفس المصدر.


الدرس السابع
أسباب مواجهة الرسالة
مراحل المواجهة وأسبابها
التنافس على السيادة القبلية
الثورة على مبادئ الجاهلية
التقوى وعدم التفرقة
تسفيه عقول ..
نقد الاتباع الأعمى للآباء
الحرب الباردة (المواجهة النفسية)
مرحلة المواجهة والاضطهاد
مرحلة التنكيل بالنبي ص
مرحلة تعاقد القبائل
اساليبها
السخرية
الإهانة
الاتهامات الباطلة
الجنون
السحروالكهانة
الشعر
الترغيب والترهيب
اساليبها
التعذيب
السجن
القتل
أساليبها
التخطيط لقتل ..
المقاطعة التامة ..

الخلاصة :

بعد أن أعلن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته تصدّت قريش ببطونها بشكل جادّ للقضاء عليها.

وكانت أهمّ أسباب هذه المواجهة التنافس على السيادة القبلية حيث كانت تشعر بأنّها ستصادر لو انتصر الرسول في دعوته، ثمّ الثورة على مبادئ الجاهليّة التي كانوا يتمسّكون بها لأنّها مصدر سلطانهم وجاههم.

وكانت للمواجهة مراحل أربع، ولكلّ مرحلة أُسلوبها، ابتداءاً من مرحلة الحرب الباردة، ثمّ التصعيد بالتعذيب و التنكيل لضعفاء المسلمين، ثمّ الحصار لبني هاشم، ثمّ التحظيط لقتل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

تشريح مواجهة قريش مع الرسالة٢

المقدمة:

الهدف الدراسي:

تشريح مواجهة قريش مع الرسالة (١)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هو موقف الرسول (ص) من سياسة قريش في المواجهة لرسالته؟

٢. ماهي الأساليب التي اعتمدها رسول الله (ص) للتغليب على سياسة قريش و أساليبها؟

المحتوى العلمى:

موقف الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) و المسلمين من مراحل المواجهة و أساليبها

لّما كان هدف الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إعلاء كلمة التوحيد بكلّ ما تحمل من معاني الحقّ والخير والنور، والقضاء على معالم الكفر والشرك بكلّ ما يحملان من معاني الجهل والشرّ والباطل والظلام، كان لابدّ من معالجة مراحل المواجهة بما يتناسب مع الهدف الذي انطلق منه.

وكان الجامع المشترك في كلّ مراحل المواجهة في العهد المكي أمرين:

أـ التبليغ والدعوة إلى التوحيد بكلّ وسائل التأثير الفكري والعاطفي من الحكمة و التثقيف و التوعية و الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وقد تكفّلت الآيات القرآنيّة هذه المهمّة بأُسلوب منطقي و صياغة بلاغيّة رائعة.

ب ـ عدم المواجهة الساخنة، وعدم استعمال العنف بل الاعتماد علي الصبر الجميل و الهجر الجميل مع الخلق العظيم.

ومع ذلك كان الموقف في كلّ مرحلة يختلف عنه في المراحل الأُخرى، ففي المرحلة الأُولى من المواجهة كان الموقف هو التبليغ لمن يتوسم منه القبول، وتجنب المجادلة والمحادثة مع المستكبرين المعاندين و تجاوزهم.

وكان الموقف في المرحلة الثانية مضافاً إلى التبليغ، الصبر على البلاء الذي حلّ بالمستضعفين، ومحاولة إنقاذهم من البلاء بشراء العبيد، المنكّل بهم، أو دخول البعض في جوار الوجهاء، ثمّ الأمر بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فراراً من التعذيب.

قال اليعقوبي: «ولّما رأى رسول اللّه ما فيه أصحابه من الجهد و العذاب وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمّه إيّاه قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي فإنّه يحسن الجوار».[1]

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩.

فخرج في المرّة الأُولى اثنى عشر رجلا، وفي المرّة الثانية سبعون رجلا سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوّلون، فكان لهم عند النجاشي منزلة، وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عمّا يريد.

وموضوع هجرة بعض المسلمين لم يرق لقريش، لذا وجّهت بعمرو بن العاص وعمارة بن الوليد المخزومي إلى النجاشي بهدايا و سألوه أن يبعث إليهم بمن صار إليه من المسلمين، وقالوا: سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا وضلّلوا أمواتنا وعابوا آلهتنا، وإن تركناهم ورأيهم لم نأمن أن يُفسدوا دينك.

فلمّا قال عمرو وعمارة للنجاشي هذا، أرسل إلى جعفر فسأله، فقال جعفر: إنّ هؤلاء على شرّ دين يعبدون الحجاره، ويصلّون للأصنام، ويقطعون الأرحام، ويستعملون الظلم، ويستحلّون المحارم، وإنّ اللّه بعث فينا نبيّاً من أعظمنا قدراً، وأشرفنا سرراً، وأصدقنا لهجة، وأعزّنا بيتاً، فأمر عن اللّه بترك عبادة الأوثان، واجتناب المظالم والمحارم، والعمل بالحق، والعبادة له وحده.

فردّ على عمرو وعمارة الهدايا وقال: أدفع إليكم قوماً في جواري وعلى دين الحقّ وأنتم على دين الباطل؟

وقال لجعفر: اقرأ عليّ شيئاً مما اُنزل على نبيّكم، فقرأ عليه: (**كهيعص**)[1]، فبكى وبكى من بحضرته من الأساقفة.

فقال له عمرو: أيّها الملك، إنّهم يزعمون أنّ المسيح عبد مخلوق; فأوحشه ذلك، وأرسل إلى جعفر فقال له: ما تقول، وما يقول صاحبكم في المسيح؟

قال: إنّه يقول: إنّه روح اللّه وكلمته، ألقاها إلى العذراء البتول، فأخذ عوداً بين إصبعيه ثمّ قال: ما يزيد المسيح على ما قلت وإلاّ مقدار هذا. وبعد هذا أقام المسلمون في الحبشة آمنين، واستمرّت إقامتهم ودعوتهم حتّى فتح خيبر حيث عاد جعفر إلى المدينة بأمر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

---

١ . المريم : ١.

و أمّا الموقف في المرحلة الثالثة بعد الاعتزال في شعب أبي طالب(عليه السلام) هو الصبر على المعاناة، والتثقيف الديني للمسلمين، والتقاء الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بالجميع في المواسم للتبليغ.

وكان أبوطالب(عليه السلام) لشدّة حرصه على سلامة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول اللّه فاضطجع على فراشه حتّى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالا له، فإذا نام الناس أمد أحد بنيه أو إخوته، أو بني عمّه فاضطجعوا على فراش الرسول، و أمر الرسول أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه[1].

وقد عرفت موقف الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في المرحلة الرابعة، وهو الهجرة إلى يثرب حيث كانت بداية تأسيس دولة الإسلام المباركة.

مابعد الحصار و حتى الهجرة إلى يثرب

اجترأت قريش على رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد موت أبي طالب وطمعت فيه و همّوا به مرّة بعد اُخرى، وكان الرسول يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم ويكلّم شريف كلّ قوم; لايسألهم إلاّ أن يؤووه و يمنعوه، ويقول: لا اكره أحداً منكم، إنّما اُريد أن تمنعوني ممّا يراد بي من القتل حتّى اُبلّغ رسالات ربّي، فلم يقبله أحد، وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به و لم يكتف الرسول بذلك، بل خرج إلى عدّة مناطق يطلب منهم النصرة والإيمان به فلم يجبه أحد ومن المناطق التي خرج إليها الطائف وقصد ثقيف التي فيها ثلاثة إخوة هم يومئذ سادة ثقيف، و هم عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو; فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء، ولكنّهم سخروا منه، وأغروا قومهم به، فقعدوا صفين، فلمّا مرّ رسول

---

١ . البداية و النهاية ٣ : ٨٤ .

اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) رجموه بالحجارة حتّى أدموا رجله، وبعد أن يئس من نصرتهم رجع إلى مكّة.

ثمّ بعد ذلك التقى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفر من الخزرج، فعرض عليهم الإسلام، فقبلوا منه و آمنوا، وعند ما رجعوا إلى قومهم ذكروا لهم خبر الرسول ودعوهم إلى الإسلام حتّى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكر من رسول اللّه.

العقبة الأُولى والعقبة الثانية

بعد أن فشا خبر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة، وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلا فلقوا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بالعقبة، فبايعوه بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب، وسألوا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبعث معهم من قبله من يدعو الناس إلى الإسلام، فبعث معهم مصعب بن عُمير يقرئهم القرآن ويعلّمهم الإسلام.

فلمّا كان العام القابل خرج إليه جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج، فوافى منهم سبعون رجلا وامرأتان بالعقبة، فأسلموا، وآمنوا، وسألوا رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يخرج معهم إلى المدينة، وقالوا: إنّه لم يصبح قوم في مثل ما نحن فيه من الشرّ، ولعلّ اللّه أن يجمعنا بك و يجمع ذات بيننا، فلايكون أحد أعزّ منّا.

وكان مع الرسول عمّه العبّاس، فتكلّم معهم، آخذاً العهد عليهم أن يمنعوه وأهله ممّا يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم، وعلى أن يحاربوا معه الأسود والأحمر، وأن ينصروه على القريب والبعيد، فأجابوه على ذلك، وانفضّ الاجتماع على هذا.

خروج الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من مكّة

اقترنت هجرته إلى يثرب بعدّة أحداث:

أـــ مبيت عليّ(عليه السلام) في فراش الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) مفدياً إيّاه بنفسه; لأنّ القوم الذين تعاقدوا على قتل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، كانوا يراقبون فراشه من أعلى الجدار بين الفينة، والاُخرى ليطمئنّوا على وجوده، ولذا التحف عليّ(عليه السلام) ببرد الرسول ليظنّوا أنّه الرسول، وهذا الموقف أوجب أن يُباهي اللّه به ملائكة سبع سموات قائلا لهم: إنّني آخيت بينه و بين محمّد، وجعلت عمر أحدهما أطول من الآخر، فاختار عليّ الموت و آثر محمّداً بالبقاء، وقام في مضجعه...[1].

ب ـــ خرج الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من بينهم وهو يقرأ أوّل سورة يس، فأخذ اللّه على أبصارهم عنه فلايرونه، ونثر على رؤوسهم التراب، ولّما اُخبروا بما على رؤوسهم من التراب، و خروج الرسول، فوجودا التراب على رؤوسهم، ولكنّهم لم يصدقوا خروج الرسول; لأنّهم تطلّعوا فرأوا عليّاً(عليه السلام) على الفراش ملتفّاً ببرد الرسول، فيقولون: واللّه أنّ هذا لمحمّد نائماً.

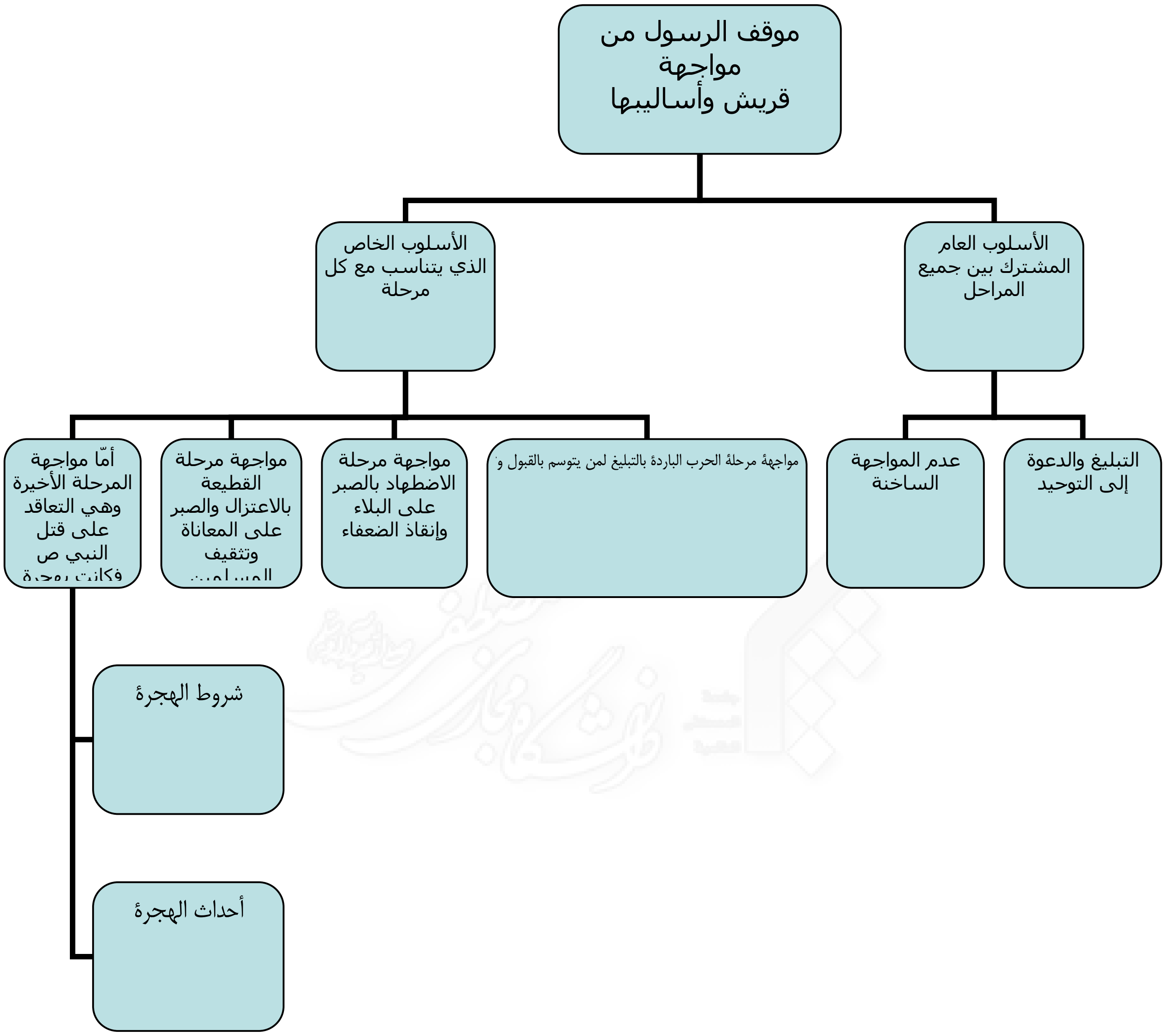
ج ـــ فلمّا حانت ساعة الوثوب على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، جاءوا إلى فراشه، فوجدوا عليّاً مكانه، فعلموا أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) علم بمكرهم.

د ـــ طلبوا الأثر، ولكنّهم لم يقعوا عليه، حيث أعمى اللّه عليهم المواضع، ولذا عندما وقفوا على باب الغار الذي اختبئ الرسول فيه رأوا الحمامة قد عششت عليه، فظنّوا عدم وجود أحد في الغار، فانصرفوا، ثمّ بعد ذلك خرج الرسول متوجّهاً إلى المدينة، فوصلها بعد جهد و تعب، لأنّه سلك طريقاً غير مطروق.

وبوصوله انتهى العهد المكّي، و بدأ العهد المدني وتأسيس الدولة الإسلاميّة المباركة.

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٧ ـــ ٣٨.


موقف الرسول من مواجهة قريش وأساليبها
الأسلوب العام المشترك بين جميع المراحل
الأسلوب الخاص الذي يتناسب مع كل مرحلة
التبليغ والدعوة إلى التوحيد
عدم المواجهة الساخنة
مواجهة مرحلة الحرب الباردة بالتبليغ لمن يتوسم بالقبول و
مواجهة مرحلة الاضطهاد بالصبر على البلاء وإنقاذ الضعفاء
مواجهة مرحلة القطيعة بالاعتزال والصبر على المعاناة وتثقيف
أمّا مواجهة المرحلة الأخيرة وهي التعاقد على قتل النبي ص
شروط الهجرة
أحداث الهجرة

الخلاصة :

وكان موقف الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من مراحل المواجهة و أساليبها يناسب الهدف الذي بعث من أجله، و لذا لم يصدر منه إلاّ التبليغ، والأمر بالصبر، وبعض التدابير الوقائية لحفظ المستضعفين من أتباعه، بشراء العبيد، أو إدخال بعض أتباعه في حماية بعض الوجهاء، ثمّ الهجرة إلى الحبشة. وكان نصيب قريش في كلّ مراحل المواجهة الفشل و الخيبة، وفي المقابل انتشار دعوة التوحيد حتّى قيض اللّه له موطناً للمنعة والنصرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

جذور أُطروحة الدولة الإسلامية فى العهد المكّى

المقدمة:

الهدف الدراسي:

العهد المكّي والتمهيد لإقامة الدولة الإسلامية

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. لماذا لم يشكل الرسول (ص) مجتمعا سياسيا في العهد المكي؟

٢. ماهي أهم الإنجازات التي حققها الرسول (ص) في العهد المكي؟

٣. ماهي جذور أطروحة الدولة الإسلامية في العهد المكي؟

المحتوى العلمى:

جذور أُطروحة الدولة الإسلامية في العهد المكّي

لقد تكاملت ملامح الخطوط العامّة للدولة، والنظام السياسي ــ الاجتماعي، وقضيّة الحكم، بعد الهجرة إلى المدينة، وتكوين أوّل مجتمع سياسي إسلامي لأوّل مرّة في التاريخ، وإنشاء الدولة لهذا المجتمع وعلى أرضه، وإقامة الحكم الإسلامي بقيادة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

أمّا قبل ذلك ــ في العهد المكّي ــ فلم يتناول التشريع الإسلامي هذه الأمور بصورة مباشرة وصريحة، لأنّ المسلمين في (مكّة) لم يكونوا مجتمعاً سياسيّاً، وإنّما كانوا جماعة عقيدية تحكمها علاقات تتراوح بين الاستغراب، والجفاء، والتوتّر، والعداء مع مجتمعها الذي كان محكوماً ــ وهي ضمنه ــ بنظام «الملأ»[1].

و لم تكن نقاط الخلاف والصدام بين الجماعة المسلمة ومجتمعها في (مكّة) مسائل سياسية بشكل مباشر، وإنّما كانت مسائل عقيدية، وفكرية، واجتماعية، ذات مفاعيل سياسية واقتصادية، بلا شكّ، ولكنّها لا تتضمّن اعتراضاً مباشراً على ما يتّصل بالسلطة السياسية في المجتمع.

و لم تشتمل الدعوة الإسلامية في هذا العهد على مفردات سياسية واضحة وصريحة، وإنّما كانت مفردات الدعوة مقصورة على قضايا العقيدة الأساسية الكبرى: قضية الألوهية والتوحيد بتوجيه العقول للبرهنة بحقائق الخلق و إبداعه على قدرة الله الشاملة الكاملة، وقضية النبوّة العامّة (النبوّات السابقة) ونبوّة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقضية (الحياة بعد الموت): البعث والمعاد واليوم الآخر، وقضية عدل الله تعالى، ورحمته ، وقدرته، وعلمه، وسائر صفاته، سبحانه وتعالى.

---

١ . نظام الملأ: هو النظام الذي كانت (مكّة) محكومة به قبل الإسلام. حيث كان يحكمها مجلس يتكوّن من زعماء عشائر قريش، التي كان أبناؤها يمثّلون أغلبية شعب(مكّة). فكان هذا المجلس يمثّل السلطة السياسية والتنفيذية العليا في (مكّة)، ويرتكز بالدرجة الأولى على (نظام الإيلاف) التجاري، السياسي، الذي نظّم علاقات (مكّة) الخارجية بالقبائل الأُخرى، خارج (مكّة) ومحيطها، وبالدول المجاورة للحجاز.

كما كانت مفردات الدعوة تشتمل على المسألة الاجتماعية: الفقراء والأغنياء، والظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي يمارسه الأغنياء المتحكّمون المتسلّطون، وسلوك «المترفين» في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ولكن مع ذلك حمل العهدالمكّي ــ في القرآن والسيرة ــ إشارات إلى طبيعة الدعوة الإسلامية، من الناحية السياسية، كما تضمّنت الآيات، وبعض وقائع السيرة، إشارات إلى المستقبل.

وقد تضمّنت هذه الإشارات فكرة المجتمع السياسي،والدولة،والسلطة السياسية،والحكم.

وقد ورد ذلك في جملة من النصوص الإسلامية:

أ ــ فممّا جاء في القرآن الكريم، جملة من الآيات، منها:

١ ــ قوله تعالى: (وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّلِحُونَ * إِنَّ فِى هَذَا لَبَلَغًا لِّقَوْمٍ عَبِدِينَ * وَ مَآ أَرْسَلْنَكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَلَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَــهُكُمْ إِلَهٌ وَحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَى سَوَآءٍ وَ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ)[١].

ففي هذه الآيات إشعار وإيحاء قويّ بأنّ وضع المسلمين لن يبقى على ما هو عليه في (مكّة) ، وأنّ لهم في المستقبل دولة وسلطاناً، وأنّ المكذِّبين المعتدين سيرون هذه الحقيقة في وقت قريب أو بعيد، ولكنّه آت على كل حال، وأنّهم سينالون عقابهم.

٢ ــ قوله تعالى: (**فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَــعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الاْثْمِ وَ الْفَوَ حِشَ وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَوةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْنَــهُمْ يُنفِقُونَ * وَ الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَ جَزَ ؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّــــلِمِينَ * وَ لَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُــلْمِهِ**

١ . الأنبياء: ١٠٥ ــ ١٠٩.

فَأُولَـــئكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيل * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْــلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَــئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[1].

فقد اشتملت هذه الآيات على بدايات التشريع في شأن المجتمع السياسيّ والدولة وهي كما يلي:

أ) الإنفاق المالي:وهو المرحلة التأسيسيّة الأوّلية من تشريعات الواجبات المالية العامّة.

ب) ردّ العدوان على الجماعة: وهو المرحلة التأسيسيّة الأوّلية من تشريع الجهاد.

ج) حكم المفسدين في الأرض في مرحلته الأوّلية.

٣ ـــ الآيات التي تقصّ أنباء بني إسرائيل وغيرهم مع الفراعنة والطغاة.

ومن ذلك قوله تعالى: (**نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَــآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَ نُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَ رِثِينَ * وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَ نُرِىَ فِرْعَوْنَ وَ هَـــمَـــنَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**)[2].

٤ ـــ قوله تعالى: (**وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَ إِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَـــــلِبُونَ**)[3].

وقوله تعالى: (**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَاوَ الَّذِينَءَامَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**)[4].

فهذه الآيات ـــ وثمّة غيرها في القرآن المكّي ـــ تتضمّن إرهاصات ووعوداً بإقامة المشروع السياسي للإسلام: المجتمع السياسي، والدولة، والحكومة، في المرحلة التي كان المسلمون يكابدون فيها القمع، والاضطهاد، والمطاردة، في (مكّة). وكان المجتمع السياسي ونظامه يتحكّمان بكل شيء. ولقد صدق الله وعده في (المدينة) بعد الهجرة.

---

١ . الشورى: ٣٦ ـــ ٤٢.

٢ . القصص: ٣ ـــ ٦.

٣ . الصافات: ١٧١ ـــ ١٧٣.

٤ . غافر: ٥١ .

وفي الآية الأُولى من آيات سورة (القصص) تصريح بأنّ تلاوة نبأ موسى وفرعون موجّهة «لقوم يؤمنون» فهي تتضمّن الإيحاء بأنّ مصير المؤمنين وعاقبة أمرهم هي: الخلاص، والحرية، والسيادة.

ب ــ ومّما جاء في السنّة، في سيرة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في العهد المكّي جملة من الروايات:

منها: حديث الدار. ورواه (الطبري) في تاريخه بسنده عن ابن عبّاس. ورواه غيره: في السنة الثالثة من مبعث النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) حين نزل قوله تعالى: (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**)[1]، أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عليّاً(عليه السلام) أنْ يصنع طعاماً ويجمع بني عبد المطّلب... في حديث طويل جاء فيه:

«... ثمّ تكلّم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : «يا بني عبد المطّلب ! إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل مّما قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم؟».

«قال (علي بن أبي طالب(عليه السلام)): فأحجم القوم جميعاً، وقلت ــ وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً[2]، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً[3]ــ : أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه! فأخذ برقبتي، ثم قال: إنَّ هذا أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»[4] ، فهذه الحادثة تدل بوضوح على اهتمام الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بمستقبل الدعوة الإسلامية وبالذات فيما بعد وفاته، وتدل على أنّ ما جاء به الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عبارة عن مشروع

---

١ . الشعراء: ٢١٤.

٢ . رمِصت عينه ــ كفرحَ ــ : من الرَّمَص، وهو وسخٌ أبيض يجتمع في الموق.. النعت أرمص ورمصاء (قاموس).

٣ . أحمش الساقين: يعني صار دقيق الساقين (قاموس).

٤ . تاريخ الطبري ٢ : ٢١٧، ومسند أحمد ١ : ١١، وكنز العمال ٦ : ٣٩٢ و٣٩٦ و٣٩٧ و٤٠١، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٨. راجع كتاب الشيخ محمد مهدي شمس الدين في الاجتماع السياسي الاسلامي : ٨٠ ــ ٨٥ ونظام الحكم والإدارة في الإسلام له أيضاً.

مزدوج بين العقيدة والنظام الذي يقتضي إقامة دولة وحكومة، وراعي وخليفة يقوم على إقامتهما.

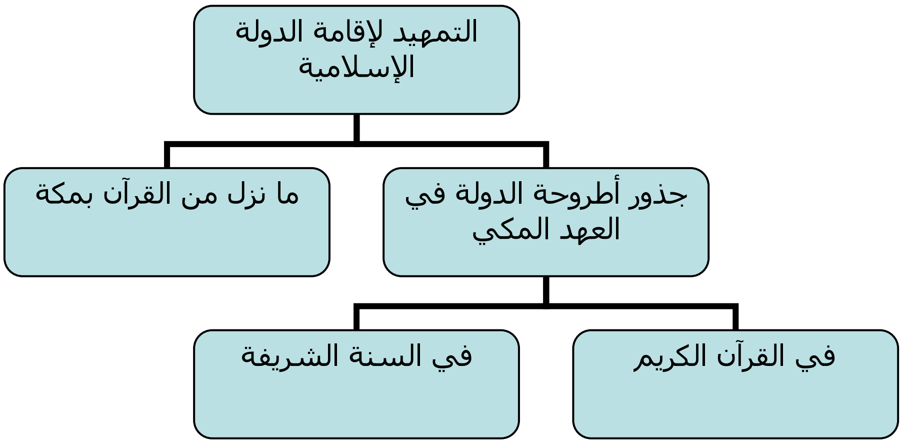
نعم بالبيعة والهجرة ولد المجتمع السياسي الإسلامي على أساس عقائدي إسلامي في يثرب (مدينة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)) فهي أوّل عاصمة للدولة الإسلامية المباركة.

ما نزل من القرآن بمكّة

قال اليعقوبي: «ونزل من القرآن بمكّة إثنتان وثمانون سورة، على ما رواه محمّد ابن حفص بن أسد الكوفي عن محمّد بن كثير ومحمّد بن السائب الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس.

وكان أوّل ما نزل على رسول الله: (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) .

وقد اختلف الناس في ترتيب نزول السور في مكة و لكن روى محمّد بن كثير ومحمّد بن السائب عن ابن صالح عن ابن عبّاس أنّه قال: كان القرآن يترل مفرَّقاً، لا يترل سورة سورة; فما نزل أوّلها بمكّة أثبتناها بمكّة وإن كان تمامها بالمدينة، وكذلك ما نزل بالمدينة، وإنّه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة إذا نزل بسم الله الرحمن الرحيم، فيعلمون أنّ الأُولى قد انقضت وابتدئ بسورة اُخرى[1].



١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣ ــ ٣٤ .

الخلاصة :

لم تشتمل الدعوة الإسلامية في العهد المكّي على مفردات سياسية صريحة وانّما كانت مفرداتها مقصورة على قضايا العقيدة الأساسية. بالإضافة إلى جملة من المسائل الاجتماعية.

ولكن القرآن والسيرة قد اشتملا على إشارات إلى طبيعة الدعوة الإسلامية وعالميتها وفكرة المجتمع السياسي والدولة والسلطة السياسية والحكم.

ومن هذه الآيات ما جاء في سورة الأنبياء (١٠٥ ــ ١٠٩) وسورة النحل (٤١ ــ ٤٢) وسورة الزمر (٣٦) وسورة الشورى (٣٦ ــ ٤٣) وسورة الطور (٤٨) وسورة القصص (٣ ــ ٦) وسورة الصافات (١٧١ ــ ١٧٣) وسورة غافر (٥١) وحديث الدار وغيره ممّا جاء عنه حين دعوة بعض القبائل وانتباههم إلى قضيّة الخلافة والحكم بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) .

وبهذا تهيّأ الظرف الفكري والنفسي للتحرّك نحو إقامة دولة إسلامية في وسط صالح لاحتضان الدعوة والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه. وقد تحقّق ذلك عند إسلام أهل يثرب وتعاهدهم مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لحمايته.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

المرحلة الأولى من العهد المدنى: مرحلة تثبيت القواعد

المقدمة:

الهدف الدراسي:

تشريح مرحلة التثبيت للقواعد من العهد المدني

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هي مراحل العهد المدني؟

٢. ما هي الخطوات الأولى لتأسيس أول دولة إسلامية؟

المحتوى العلمى:

المرحلة الأولي من العهد المدني: مرحلة تثبيت القواعد

الخطوات الأُولى لتأسيس أوّل دولة إسلامية

وصل الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) الى منطقة «قُبا» من مدينة يثرب مع زوال الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل[1].

ومكث في حيّ قبا أيّاماً و لم يدخل المدينة ــ بالرغم من إصرار صاحبه أبي بكر على الإسراع في الدخول اليها وذلك لانتظاره قدوم ابن عمّه وأخيه في الله ووصيّه علي بن أبي طالب(عليه السلام).

وقد أفصح الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عن سرّ هذا التأنّي حينما عرض عليه الورود الى يثرب فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «لَسْتُ أُريم حتّى يقدم ابن عمّي وأخي في الله ــ عزّ وجلّ ــ وأحبّ أهل بيتي اليّ فقد وقاني بنفسه من المشركين»[2].

وأمّا أبو بكر فقد ترك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثاوياً في قباء ونزل إلى يثرب، وليس لدينا من النصوص التاريخية ما يوضح لنا سرّ هذا الاستعجال من أبي بكر الذي كان قد صاحب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة مسيرة هجرته إلى يثرب.

وتفيدنا جملة من النصوص التاريخية بنبأ إسلام سلمان الفارسي ونبأ إسلام الحبر اليهودي (الحصين بن سلام) وسعيه في إقناع قومه اليهود بنبوّة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) و عدم نجاحه في ذلك.

---

١ . السيرة النبوية ٢: ١٣٧.

٢ . الكافي والروضة ١: ٢٨.

أمّا سلمان(رضي الله عنه) فقد كان من أهل الكتاب قبل أن يُسلم، وكان قد حصل على خبر ظهور الدين الحنيف فخرج من بلاده (فارس) ووقع إلى راهب بالشام فسأله عن ظهور الدين الحنيف فقال له: اطلبه بمكّة مخرجه واطلبه بيثرب مهاجره.

فقصد مكّة فوقع بيد الأعراب فاستعبدوه ردحاً من الزمن، فلمّا وصله خبر وصول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يثرب جاء إليه ومعه طبقٌ من رطب، فقال لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): هذه صدقتنا وأحببنا أن تأكلوا منها، فلم يأكل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر أصحابه بالأكل.

ثمّ جاء في اليوم الثاني ومعه طبق من رطب فقال: هذه هديّة أهديتها إليك، فأكل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ طلب سلمان من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يريه خاتم النبوّة ففعل ذلك وعندها أعلن إسلامه[1].

وأمّا عبدالله بن سلام فقد روي عنه أنّه قال: لمّا سمعت برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وكنت قد عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كُنّا نترقّبه، ولكنّي كنت مستتراً بذلك حتى قدم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وبعد أن اُخبِرت بمكانه ذهبتُ إليه وأعلنت إسلامي[2].

اُولى الإنجازات في قبا

روى الكليني عن الإمام الصادق أنّه قال: إنّ المسجد الذي اُسّس على التقوى «في قوله سبحانه ـــ لمسجد أسّس على التقوى من أوّل يوم أحق أَن تقوم فيه» هو مسجد قباء[3].

وروي عن علي بن الحسين(عليه السلام) أنّه قال: قَدم علي(عليه السلام) والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت بني عمرو بن عوف فترل معه ثمّ تحوّل إلى بني سالم بن عوف وعلي معه،

١ . اعلام الورى ١: ١٥١ ـــ ١٥٢.

٢ . السيرة النبوية ٢: ١٣٩.

٣ . بحار الأنوار ١٩: ١٢٠.

فخطّ(صلى الله عليه وآله وسلم)مسجداً ونصب لهم قبلته إلى بيت المقدس وصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين و خطب خطبتين[1].

ومجموعة الخطوات التي خطاها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لإنشاء الدولة الربانية العالميّة يمكن تصنيفها ــ في العهد المدني ــ على مراحل ثلاث:

أــ **مرحلة تثبيت قواعد الدولة**: وهي مجموعة انجازاته في السنة الأُولى من هجرته المباركة.

ب ــ **مرحلة البناء**: وقد استوعبت خمس سنوات تقريباً وتضمّنت مواجهة أنواع التحدّيات إلى جانب النشاط المستمر للبناء ضمن دورين متميزين: وهما دور الدفاع ودور السلام المشروط.

ج ــ **مرحلة الانتشار والتوسع**: وكان صلح الحديبية مؤشّراً سياسيّاً واجتماعياً لاكتمال عملية البناء وإيذاناً بانفتاح الطريق أمام مرحلة التوسّع والانتشار.

إنجازات مرحلة تثبيت القواعد

الإنجاز الأول: بناء المسجد

إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن غادر ديار بني سالم بن عوف ، توجه إلى المدينة على ناقته التي قدم عليها و عليّ(عليه السلام) لايفارقه ــ يمشي بمشيه ــ و حينما دخلها كان يمر ببطون الأنصار ، و كلّما مرّ ببطن قاموا يسألونه النزول عندهم فيقول(صلى الله عليه وآله وسلم) : خلّوا سبيل الناقة فإنّها مأمورة ، فانطلقت به و الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واضع لها زمامها إلى أن وقفت و بركت و وضعت جرانها[2] على الأرض ، فنزل الرسول عنها و قال هاهنا نبني مسجدنا ، و نزل دار أبي أيّوب مؤقتاً[3] و بجدّ و نشاط ساهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أصحابه من المهاجرين و الأنصار في بناء المسجد حتى تمّ البناء ، ثم بنى

---

١ . الروضة الكافي ، حديث ٥٣٦.

٢ . الجران : ما يصيب الأرض من صدر الناقة و باطن حلقها.

٣ . روضة الكافي حديث ٥٣٦.

منازله حول المسجد بعد ذلك و مبادرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لبناء المسجد قبل أن يبني داراً له دليل على أهميّة أن يوجد مكان للمسلمين يكون موضعاً لعبادهم ، و رمزاً لوحدهم ، و مقرّاً للحكم و القضاء ، و مدرسة للتربية و التعليم ، بل و كان مركزاً للقيادة و إدارة شؤون الدولة الإسلامية ، و التعبئة العسكرية فيما بعد.

التشريعات الأولى في المدينة

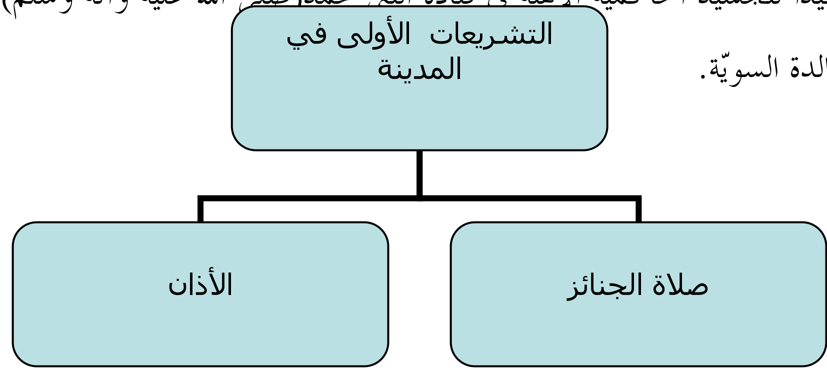
أ ــ تشريع صلاة الجنائز: وفجع المسلمون بوفاة أسعد بن زرارة ــ أوّل نقيب للأنصار ــ وهم في غمرة الانهماك ببناء المسجد النبوي وهو أوّل أنصاري يموت بعد قدوم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يثرب وصلّى عليه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة الجنائز، و لم يكن قبل ذلك صلاة على الجنائز، ودفن في البقيع[1].

ب ــ تشريع الأذان: وروي عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنّه قال: سُئل الحسين بن علي(عليه السلام)عن قول الناس في الأذان أنّ السبب فيه كان رؤيا رآها عبدالله بن زيد فأخبر بها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فأمر بالأذان؟ فغضب(عليه السلام) وقال: الأذان وجه دينكم والوحي يترل على نبيّكم وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبدالله بن زيد؟!! بل سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أهبط الله عزّ وجلّ ملكاً حين عرج برسول الله...وساق حديث المعراج حتى قال: فأذّن مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ثم قال جبرئيل للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم): يامحمّد هكذا أذّن للصلاة[2] ثم علّم ذلك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بلالا وأمره بأن يرفع صوته بالأذان إذا دخل وقت الصلاة[3].

لقد شُرِّع الأذان ليكون أداة إعلام للصلاة وأداة إعلام رسمي لشعار الدولة الإسلامية التي اتخذت عقيدة التوحيد الخالصة أساساً مبدئياً لها (الله أكبر، أشهد أن لا إله إلاّ الله). والشهادة بالرسالة

١ . السيرة النبوية (ابن هشام) ، ص ١٤١ و ١٤٤.
٢ . دعائم الاسلام ١: ١٤٢.
٣ . الكافي ٣: ٨٤.

لخاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله وسلم) (أشهد أنّ محمّداً رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)) تأكيداً لتجسيد الحاكمية الالهية في قيادة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) للبشرية وشريعته الخالدة السويّة.



الإنجاز الثاني: المؤاخاة و تحكيم أواصر المجتمع الإسلامي

المؤاخاة ومداليلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية: وقد كانت السنة الأولى من الهجرة سنة تأسيس الدولة الإسلامية وتثبيت قواعدها الاولى بقيادة خاتم الأنبياء محمد ابن عبدالله(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان من أهم ماقام به النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد بناء المسجد (مركز العبادة والسياسة) هو تحكيم أواصر المسلمين في مجتمعهم الجديد وذلك من خلال المؤاخاة التي عقدها(صلى الله عليه وآله وسلم)بين المهاجرين والأنصار قائلا لهم: تآخوا في الله أخوين أخَوَيْن، ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) فقال:هذا أخي،فكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) سيد المرسلين وإمام المتقين ورَسول ربّ العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب(عليه السلام) أخوين[1].

---

١ . السيرة النبوية (ابن هشام) ٢: ١٥٠ ــــ ١٥١.

لقد كانت هذه المؤاخاة سبباً لزوال وحشة الغربة وأُنساً لهم من مفارقة الأهل والعشيرة وحلاّ لمشكلتهم الاقتصادية والسَكَنيّة ، و أصبح المؤمنون جميعاً اخوة في الدين كما قال تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**)، وبهذا أيضاً قضى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على العصبيّة الجاهلية القبلية وصنع من القبائل المتناحرة مجتمعاً متعاطفاً متراحماً ومتلاحماً.

الإنجاز الثالث

تحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية: كان ضبط الجبهة الداخلية وإحكام مواقعها من خلال كتابة صحيفة اشتملت على أُصول الموادعة وحُسن الجوار بين المسلمين واليهود داخل أراضي الدولة الإسلامية هي أوّل معاهدة رسميّة بين النبي واليهود والمسلمين بعد أن أقّرهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)على دينهم وأموالهم فشرط لهم واشترط عليهم.

و بنود هذه الصحيفة التاريخية تمّثل مدى حنكة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وحُسن قيادته للمجتمع الإسلامي الأوّل حيث نظّم العلاقة ــ من خلالها ــ بين المسلمين واليهود باعتبارهم يشكلّون مجتمعاً سياسيّاً واحداً ومتنوّعاً في انتمائه الديني، وهذه هي أوّل تجربة سياسية في التاريخ تتفرّد في نوعها حيث إنّها أقرّت للأقليّات الدينية حق المواطنة الناشيء من الخضوع للسلطة السياسية وقوانينها، وأعطتهم احترام النفس والعرض والمال، وعدم إجبار أحد منهم على الدخول في الإسلام، وهي حرية دينية محدودة بحدود خاصّة.

لقد تضمّنت هذه الصحيفة تحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية الفتية، كما حدّدت الحقوق والواجبات لكل من الأطراف بعد أن نصّت على أنّ الحاكمية العُليا للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

لقد أفلح النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في تسوية الأوضاع الداخلية للدولة الفتيّة التي كانت قد تكونت من الأنصار و قد هدم الإسلام مابينهم من تناحر سابق وربط بينهم برابطة الدين فأصبحوا بذلك أخوة عدة شرائح اجتماعية كانت متباعدة فيما بينها وهي:

متضامنين متناصرين ولاسيما بعد ما أعطوا من عهود ومواثيق لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث عاهدوه على الدفاع عنه وعن رسالته ضدّ أعدائه.

والمهاجرون قد ارتفعت مشكلتهم من حيث السكن والعمل والموقع الاجتماعي ببركة المؤاخاة والمواساة التي غرسها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما بينهم وبين الأنصار.

واليهود قد اعتُبروا مواطنين، لهم حريّتهم مع حماية الدولة الإسلامية لأموالهم ودمائهم وأعراضهم، وكان عليهم مساندة الدولة في رد العدوان عنها كما كان عليهم عدم التآمر على هذه الدولة الاسلامية التي يعيشون في ظلّها وليس لهم أن يغادروا أراضيها إلاّ بإذنه(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أُعطيت السيادة في فصل الخصومات لقيادتها المتمثلة في الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

و لم يترك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مهمّة التبليغ والارشادالإسلامي في القطّاع العامّ في الصلوات العامّة ولا القطّاع الخاص حينما كان ينفرد مع آحاد المسلمين ويستمع إليهم ويسمعهم مواعظه.

واستمر(صلى الله عليه وآله وسلم) في صنع المجتمع والدولة الإسلامية المباركة تحت رعاية الله تعالى حتى تكامل البناء التنظيمي للمجتمع حسب حاجات المرحلة، وتوزّعت المهامّ فيه تحت رعاية النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقيادته الحكيمة.

و بعد سبعة أشهر من الهجرة النبوية ، أرسل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث سرايا خلال شهرين ، كانت السرية الأُولى بقيادة حمزة بن عبد المطلب ، و الثانية بقيادة عبيدة بن الحارث بن المطلب [1]، و الثالثة[2] بقيادة سعد بن أبي وقاص ، و كلّها ترسل لتعترض القوافل

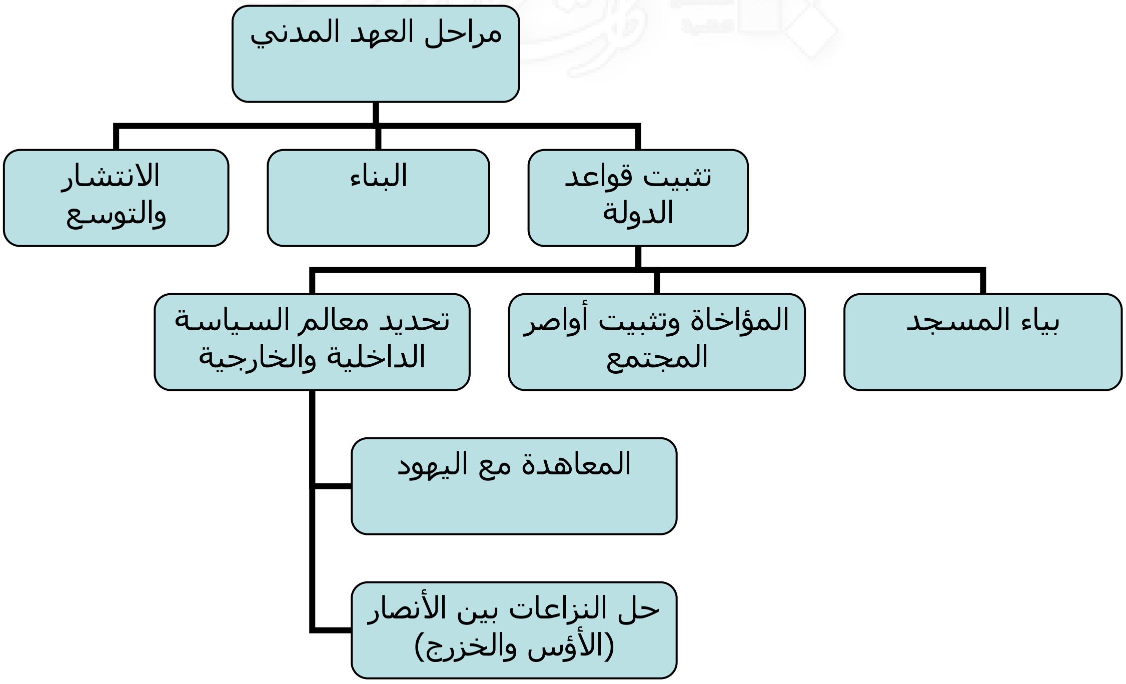
١ . السيرة النبويّة ١ : ٢٤١.

٢ . المغازي الواقدي ١ : ٩ ـــ ١٠.

التجارية لقريش و إن لم تصب شيئاً ، و لكنّها أحدثت الرعب و الخوف عند كفار قريش و السبب في إرسال السرايا هو الرد بالمثل على قريش ; لأنّهم صادروا أموال المهاجرين التي خلفوها في مكة.

و لم يغفل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن وجود عبدالله بن أُبي الذي كان له موقف مزري حينما وصلت ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه ، حيث وضع لباسه على أنفه و قال للرسول يا هذا اذهب إلى الذين غرّوك و خدعوك وأتوا بك فأنزل عليهم ولا تغشانا في ديارنا[1] ، و لم يغفل عن أعوانه ممّن اضطروا لإظهار الإسلام، كما لم يغفل عن احتمال ارتباطهم وتلاحمهم مع القبائل اليهودية التي كانت لها أحلاف سابقة مع كل من الأوس والخزرج، ومن هنا كانت بنود الصحيفة تخطيطاً رائعاً لضبط هذه الجبهة الداخلية بكلّ ملابساتها.

وكان أوّل مانزل من القرآن الكريم في السنة الاولى من الهجرة مجموعة كبيرة من آيات سورة البقرة التي كثّفت الإضاءة على شعارات ومؤامرات وخطط كل من اليهود والمنافقين وتصدّت للردّ على شبهاتهم والإجابة على كثير من أسئلتهم وإثاراتهم التي كانت مصدر قلق وتشويش لكثير من المسلمين.



١ . اعلام الورى ١ : ١٠٤.

الخلاصة:

تتلخّص خطوات الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لإنشاء أوّل دولة ربّانية إسلامية في ثلاث مراحل:

١ ــ مرحلة تثبيت القواعد خلال السنة الاولى من الهجرة.

٢ ــ مرحلة البناء خلال السنوات الخمس التالية أي حتى صلح الحديبية.

٣ ــ مرحلة الانتشار وهي السنوات المتبقية من حياته(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد صلح الحديبية.

من أهم الأحداث في تاريخ الإسلام السياسي هو حدث الهجرة المباركة حيث تمّ بعدها إقامة الدولة الإسلامية بزعامة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد بدأ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ببناء مسجد قبا ثم المسجد المعروف اليوم بمسجد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)لجمع المسلمين فيه وليكون مركزاً للدولة وانطلاق الدعوة إلى أطراف العالم، ثم آخى(صلى الله عليه وآله وسلم)بين المهاجرين والانصار واحتفظ بالإمام علي(عليه السلام) أخاً له من دون ساير المسلمين.

وقد تم بناء المسجد المبارك، فكانت تقام فيه الصلاة، ثم شرّع الأذان في السنة الاولى للهجرة المباركة.

أرسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اول سراياه لاعتراض قوافل قريش التجارية عسى أن يصيب شيئاً يعوّض ما فات المهاجرين من أموالهم التي صادرتها قريش.

و ثالث الإنجازات النبوية المهمة هي صحيفة الموادعة التي تضمنت رسم معالم السياسة الداخلية و الخارجية للدولة الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

المرحلة الثانية: مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (١)

المقدمة

الهدف الدراسي:

تشريح مرحلة البناء و الدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (١)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماهي مهمات البناء و الدفاع في المرحلة؟

٢. كيف تحققت هذه المهمات خلال هذه الفترة الثانية التي أعقبت مرحلة تثبيت القواعد التي مر ذكرها في الدرس السابق؟

المحتوى العلمي:

المرحلة الثانية: مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (١)

مهمّات البناء والدفاع

١ ــ لا يتحقق نشر الرسالة من دون وجود أمّة تضطلع بأعبائها، ولاتفلح هذه الأُمّة المضطلعة بمهمّة نشر الرسالة وتبليغها ما لم تملك القدرة الفكرية والعمليّة على التبليغ والأداء.

وتتمثّل القدرة العملية في الجرأة والشجاعة والإقدام لرفع الموانع والحواجز التي تمنع من وصول الدعوة إلى آذان وقلوب العالَمين.

ولن يستطيع الفرد أو الجماعة أن يمارسا مهمّتهما الرساليّة حتى النهاية حينما لاتحميهما دولة قويّة، لاسيّما إذا كانت قيم الفرد والجماعة وأخلاقيّاهما تمثلاّن رفضاً حاسماً لقيم الواقع المُعاش، فلابد إذن من ايجاد الأرضية الصالحة التي يتحرّك عليها المسلم قبل أن تسحقه الظروف الخارجية أو تنحرف به عن الطريق.

ومن هنا كان تأسيس الدولة الإسلاميّة لحماية حركة الرسالة والدعوة إليها ضرورة من ضرورات عالميّة الرسالة الإسلامية.

٢ ــ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بحكمته ورؤيته الإلهية الفريدة استطاع أن يبدّل العصبيّة القبلية التي كان يحملها عرب الجزيرة إلى عنصر قوة إيجابي ويوظّفه لبناء الدولة الجديدة من خلال طرح مفهوم الإخاء الذي احتوى على كل ألوان المواساة والمساواة والتعاون والتضحية والذوبان في العقيدة من دون أن يقضي على الولاء للقبيلة التي كانت تستطيع أن تساهم في رفع بعض الأعباء الاقتصادية

والاجتماعية عن كاهل الدولة الفتيّة، كما نلاحظ ذلك بوضوح في الوثيقة السياسية التي طرحها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لتنظيم الشؤون الداخلية والخارجية والتي سُميت بالصحيفة. وقد وحدّت المسلمين أمام أعدائهم وأعطت للقبيلة موقعها الاجتماعي، وحالت دون تحرّك اليهود داخل الدولة الإسلامية ضدّها حيث لم يذوبوا في هذا الكيان الجديد.

٣ ــ لقد وضع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في العام الأوّل من هجرته إلى المدينة اللّبنات الأُولى لدولته الإسلامية ليحمي بها رسالته من الأخطار الجسيمة.

وكانت خطواته(صلى الله عليه وآله وسلم) تدريجيّة ومتجانسة مع تكثّر هموم وحاجات المسلمين،ومتلائمة مع تحوّل الجماعة المسلمة من مستوى مجموعة وتيّار إسلامي إلى مستوى مجتمع متكافل متكامل.

٤ ــ و كان على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعدّ العدة بالتدريج لإزالة كلّ الموانع و العقبات التي كانت تحول دون انتصار هذه الدولة بعد تأسيسها. والعقبات يمكن تصنيفها إلى مايلي:

أ ــ في الجبهة الخارجية : و هي على المدى القريب قريش و من خالفها و على المدى البعيد السلطة البيزنطية و الفارسية.

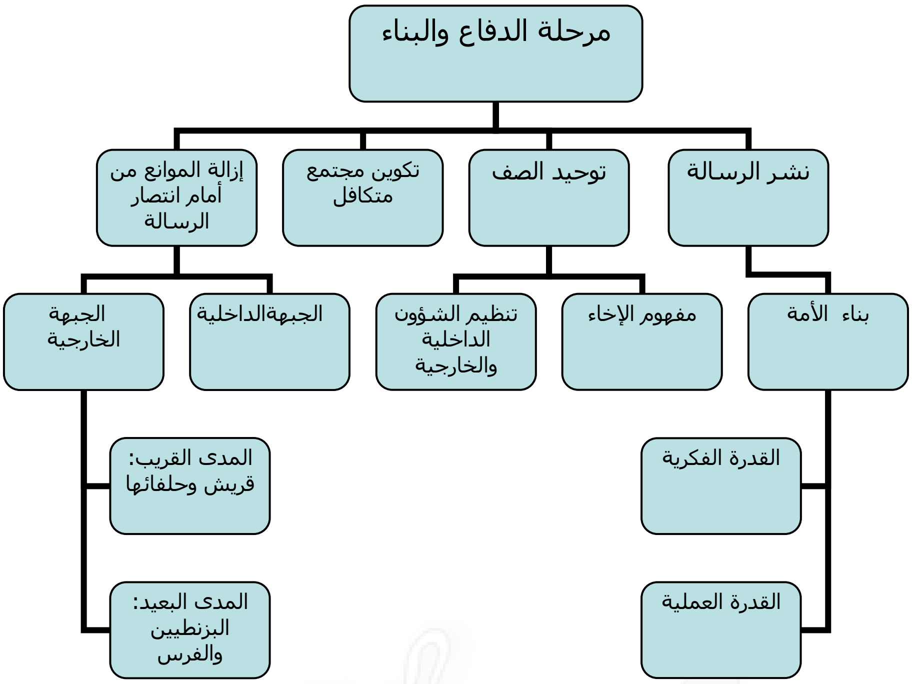
ب ــ في الجبهة الداخليّة : و هي اليهود و المنافقون المتواجدون في المدينة : فأمّا اليهود : فكان من المتوقع بعد إنكارهم لنبوة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتحرّكوا ضدّ الدولة الفتية و هو ما كان حيث أوضحت الآيات القرآنية عن طبيعتهم الخبيثة و تربصهم بالمسلمين. و أمّا المنافقون: فقد برزت ظاهرة النفاق من بداية تأسيس الدولة الإسلامية كردّ فعل نفسي أمام تنامي قدرة المسلمين الموجب

لمصادرة موقعية المنافقين بالأخص عبدالله بن أبي سلول و أتباعه و كانوا يشكلون خطراً حقيقياً على الدولة الفتية ، بسبب وجودهم مع المسلمين، فإنّ ذلك قد منحهم فرصاً أكبر في التعرف على أسرار الدولة، وإمكانية تشديد الضربات إليها. و لو راجعت الآيات النازلة بحق المنافقين عرفت عظمة الدور التخريبي الذي كانوا يقومون به.

٥ ـــ وإذا لاحظنا تحرّك المنافقين وتحرك اليهود خلال سنوات البناء; وجدناه تحرّكاً متضامناً ومنسجماً مع تحرّك الجبهة الوثنيّة (لقريش) ضد الدولة الإسلامية كما ستعرف.

ورغم أنّها كانت سنوات عصيبة على المسلمين، و لكنها اعطتهم الحنكة والقوّة والصمود على مرّ الأحداث فسجّلوا تأريخاً مشرقاً مشعّاً بالنور والعطاء على مدى العصور والأجيال.

وإذا أردنا أن نقدّم تحليلا تأريخياً لما حدث خلال سنوات البناء الخمس فعلينا أن نمّر على حوادث هذه السنين الخمس لنحصل على صورة عامّة من هذا المقطع من العهد المدني، وسوف نلاحظ أنّ التصدي لردّ العدوان والدفاع عن الدولة الإسلامية كان يشكّل أهم ظاهرة في مرحلة البناء وتنتهي المرحلة بدور السلام المشروط الذي مهّد لمرحلة التوسّع والانتشار.


مرحلة الدفاع والبناء
نشر الرسالة
توحيد الصف
تكوين مجتمع متكافل
إزالة الموانع من أمام انتصار الرسالة
بناء الأمة
مفهوم الإخاء
تنظيم الشؤون الداخلية والخارجية
الجبهةالداخلية
الجبهة الخارجية
القدرة الفكرية
القدرة العملية
المدى القريب: قريش وحلفائها
المدى البعيد: البزنطيين والفرس

الخلاصة :

المرحلة الثانية للعهد المدني: مرحلة البناء و الدفاع

في هذه المرحلة كانت لدي رسول الله (ص) عقبات خارج حدود الدولة و داخلها.

وأمّا عقبات هذه الدولة فيمكن تصنيفها إلى:

١ ــ إما العقبات خارج حدود الوطن الإسلامي فكانت تتمثل في قريش والقبائل المشركة داخل الجزيرة ثمّ السلطتين (البيزنطية والفارسية) على حدود الجزيرة.

٢ ــ و إما العقبات الداخلية وكانت تتمثل في اليهود والمنافقين.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

المرحلة الثانية: مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٢)

المرحلة الثانية: مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٢)

الهدف الدراسی:

تشريح مرحلة البناء و الدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٢)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هي أهم حوادث السنة الثانية ؟

٢. كيف تحققت غزوة بدر الكبرى و لماذا؟

٣. ماهي أهم النتائج التي حققتها غزوة بدر الكبرى؟

٤. ما هي أهم التشريعات الإسلامية في هذه المرحلة؟

٥. ما هو أول موقف نبوي تجاه اليهود بعد توقيع الصحيفة؟

المحتوى العلمى:

دور الدفاع

أهمّ حوادث السنة الثانية للهجرة

بعد أن وطّد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) دعائم دولته الفتيّة في السنة الاولى ــ بما قام به من تنظيم إداري وسياسي واجتماعي وعسكري وتربية وتعليم وتثقيف ورصد لتحركات أعدائه في الخارج والداخل ــ خرج غازياً قريشاً بنفسه في بدايات العام الثاني من الهجرة وذلك بعد انقضاء الأشهر الحرم[1].

غزوة بدر الكبرى

خرج رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من أصحابه مستهدفين السيطرة على القافلة التجارية التي كان يقودها أبوسفيان و هي متوجهة من الشام إلى مكة.

علم أبوسفيان بالخبر فاستأجر ضمم بن عمرالغفاري و أمره أن يستفز قريشاً[2] و عند وصول الخبر تجهزت قريش بكل قوتها بعد أن ألهب مشاعرها و ضمضم بندائه فلم يتخلف من أشرافها احد الا أبولهب فانه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة[3].

و في غضون ذلك استطاع أبوسفيان أن يغير مسيره قبل أن يصل جيش قريش لنجدته و بذلك نجت القافلة.

---

١ . و كانت غزواته في هذه النسية عديدة ، و لكنه لم يصيب شيئاً إلاّ في غزوة بدر الكبرى.

٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥.

٣ . الكامل في التاريخ ٢ : ١١٧.

وعلى الرغم من سلامة القافلة إلاّ أنّ المشركين أصروا على القتال و الانتقام من الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) و المسلمين ، و لكن النبي بعث إليهم من يخبرهم أنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لهم : يا معشر قريش إني اكره أن أبدأ بكم ، فخلوني و العرب و ارجعوا ، قال عتبة : ما ردَّ هذا قوم فأفلحوا ، فقال أبوجهل : جبنت و انتفخ سحرك ، فلبس عتبة درعه و تقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال: يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فتطاولت الأنصار لمبارزتهم فدفعهم وأمر علياً و حمزة و عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لهم: قاتلوا على حقكم الذي بعث به الله نبيكم إذ جاءوا ببطالهم ليطفئوا نور الله.

فلمّا رأوهم قال: أكفاء كرام، فقتل عليّ الوليد، و حمزة عتبة. و عبيده بن الحارث شيبة: ثم تزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض وأمر النبي أصحابه ألاّ يبدأوا بالقتال، فابتدأ المشركون المعركة ودارت رحاها واشتد حزامها فتدخلت يد الغيب وجاء الإمداد الملائكي للنبي محققاً النصر للإسلام، واندحرت قوة قريش وتشتت جيشها بين قتيل وجريح وأسير، وقتل من المشركين سبعون رجلا وأسر منهم سبعون[١] واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا[٢].

و زفت البشائر لأهل المدينة بهذا الفتح المبين.

و قد أوصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاسرى خيراً ، و فرض عليهم أن يفتدوا أنفسهم بالمال يستعين به المسلمون من حياتهم[٣].

١ . تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩.

٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥.

٣ . ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ : ٢٩٩.

و في بعض المرويات أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد عرض من يحسن القراءة و الكتابة من الأسرى أن يعلّمها لأطفال المسلمين في مقابل فدائه[1].

دروس من غزوة بدر

تعتبر غزوة بدر أهم حدث على الإطلاق ، حيث حققت نقلة نوعية كبرى في مجمل الأحداث في الجزيرة العربية ، و قد أولى المولى سبحانه و تعالى هذه المعركة اهتماماً كبيراً ، كشفت عنه الآيات القرآنية النازلة في هذا الشأن.

و من أبرز النتائج التي حققتها هذه الغزوة:

١ ــ ارتفاع معنويات المسلمين ، حيث اندحر المشركون و عتاهم في اول مواجهة ، على الرغم من عدم استعداد المسلمين لذلك ، و فقدان التكافؤ بين الطرفين في العدة و العدد.

٢ ــ منيت قريش ــ بكل جبروها و خيلائها ــ بعار الهزيمة امام قوة المسلمين التي كانت قد احتقرها رجالات قريش.

٣ ــ حققت مكاسب إعلامية ساهمت في خدمت الدعوة الإسلامية ، حيث وقعت عدة تحالفات مع قبائل العرب بعد ذلك.

٤ ــ أعطت المسلمين قوة أمام اليهود و المنافقين الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر.

---

١ . هاشم معروف الحسيني ، سيرة المصطفى ، ص ٣٦٢.

أهم التشريعات في هذه الفترة

١ ــ بيان أحكام الغنيمة ، فقد نزلت سورة الأنفال لتقول كلمة الفصل في هذا المجال.

٢ ــ تشريع صيام شهر رمضان المبارك في شعبان.

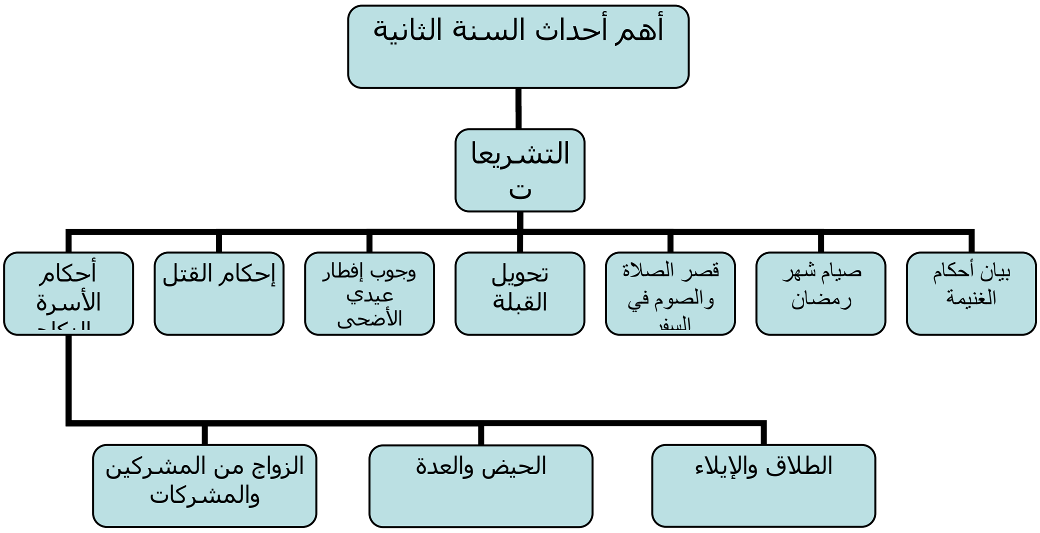
٣ ــ فرض الإفطار و قصر الصلاة في السفر ، و قد وصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من المسلمين بالعصاة ; لإنّهم لم يفطروا و لم يقصّروا في السفر.

٤ ــ تحويل القبلة من المسجد الإقصى إلى المسجد الحرام.

٥ــ نزول أحكام الصوم و الإفطارفي عيدي الفطر و الأضحى،و صلاة العيد.

٦ ــ أحكام القتال.

٧ ــ أحكام الطلاق، والايلاء، والحيض، والعدة، والزواج من المشركين والمشركات.



أهم الأحداث الاجتماعية

١ ــ زواج الإمام عليّ(عليه السلام) من فاطمة(عليها السلام).

٢ ــ وفاة رقية بنت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

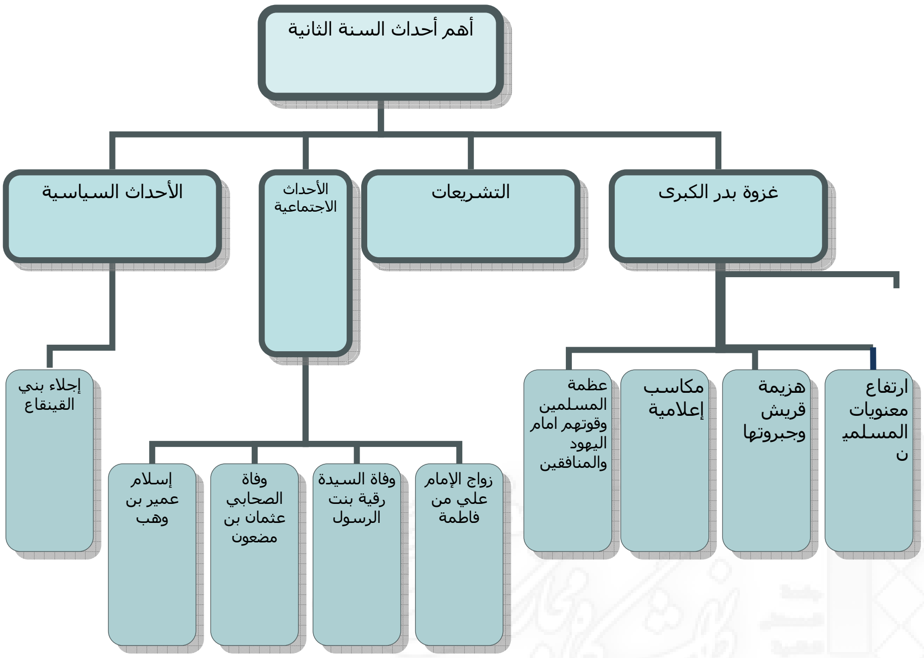
٣ ــ وفاة عثمان بن مظعون من المهاجرين.

٤ ــ إسلام عمير بن وهب.

إجلاء بني قينقاع

لقد تمّ إجلاء أول طائفة من يهود المدينة عنها ، و هم بنو قينقاع بعد أن عاهدوا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بعدم الخيانة لدولته و اُمته ، و لكنهم نكثوا العهد بعد انتصار المسلمين ببدر.

وهكذا انتهت السنة الثانية والمسلمون قد أدخلوا الرعب في قلوب أرباب الجبهة الوثنية وأذنابهم من المنافقين وسائر المشركين[1].



١ . «مجلة الفكر الإسلامي» العدد السابع عشر ٢٧٣ ــــ ٢٨٧. راجع أيضاً: موسوعة التاريخ الإسلامي الجزء الثاني (القسم الأول من العهد المدني) نشر مجمع الفكر الإسلامي.

الخلاصة :

أهم حوادث السنة الثانية للهجرة:

وكانت أهمّ سرايا وغزوات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ضدّ قريش هي بدر الكبرى. لأنّها قد حطّمت معنويات قريش ورفعت من معنويات المسلمين. ممّا أثار يهود بني قينقاع فنكثوا العهد فأجلاهم الرسول عن المدينة. وبهذا أدخل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الرعب في نفوس القرشيين واليهود والمنافقين حتى باتوا على حذر دائم من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

المرحلة الثانية: مرحلة البناء والدفاع عن كيان

أول دولة إسلامية (٢)

المقدمة:

الهدف الدراسي:

تشريح مرحلة البناء و الدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٣)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماهي أهم حوادث السنة الثالثة في الدولة الإسلامية؟

٢. لماذا حدثت غزوة أحد؟

٣. ما هي الآثار التي ترتبت على غزوة أحد؟

٤. متى و لماذا تحقق إجلاء بني النضير؟

المحتوى العلمى:

المرحلة الثانية:

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٣)

أهمّ حوادث السنة الثالثة للهجرة

في السنة الثالثة من الهجرة رأت القبائل القريبة من المدينة بعد انتصارات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) علي قريش و اليهود أنّ قوّته تهدّد وجودها ومصالحها المرتبطة بوجود قريش وتجارتها، ولذا بدأت تتحرك بعض القبائل ضدّ المسلمين، إلاّ أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخرج بنفسه لإفشال تحرّكهم أو يبعث بعض السرايا لذلك و لم يسجّل التاريخ حدثاً مهماً إلاّ غزوة اُحد.

غزوة اُحد

في شوّال من السنة الثالثة من الهجرة تجهّزت قريش لقتال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والثأر من المسلمين، وسارت في ثلاثة آلاف فارس وراجل، حتى نزلت عند بعض السفوح من جبل اُحد على خمسه أميال من المدينة.

وخرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بألف من المسلمين وبدأ ابن أبي سلول بعمليّة تخذيل المسلمين فأرجع ثلاثمائة من الخزرج إلى المدينة مثبّطاً لهم عن القتال.

وأحكم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خطتّه للقتال وكادت المعركة أن تنتهي لصالح المسلمين إلاّ أن انهيار الرُّماة أمام الغنائم بدّل النصر إلى هزيمة منكرة و لم يثبت مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)

إلاّ علي بن أبي طالب(عليه السلام) وأبو دجانة وسهل بن حنيف الأنصاريّان ونسيبة الخزرجية، و لم تضع الحرب أوزارها إلاّ بعد استشهاد سبعين من المسلمين بما فيهم حمزة بن عبد المطّلب عمّ النبي(عليه السلام) كما جُرِح النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والثابتون معه من أصحابه على خط الجهاد والمقاومة والاستشهاد في سبيل الله.

وبعد أن وقف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهؤلاء الأربعة من صحابته أمام جحافل جيش المشركين وتراجع المسلمون الى ساحة القتال بعد اطّلاعهم على حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، استعاد المسلمون قواهم القتاليّة وانسحبت قوّات قريش باتّجاه مكّة،بعد أن دفنت قتلاها ودفن المسلمون قتلاهم.

واستغلّ اليهود والمنافقون في يثرب هزيمة المسلمين في اُحد وراحوا يقولون: مامحمّد إلاّ طالب ملك اُصيب في أصحابه واُصيب في بدنه وما اُصيب هكذا نبيّ قطّ.

ولأجل أن يخفّف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من وطأة الهزيمة ويعيد للمسلمين معنويّاتهم وهيبتهم قرّر أن يطارد المشركين في الغد من يوم اُحُد، فأذّن مؤذن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في المسلمين ــ الذين كانوا قد حضروا (اُحداً) وكلُّ مَن كان به جراحة من أصحابه ــ بلزوم طلب العدّو، فاستنفرهم لمطاردته وانتهى المسلمون إلى حمراء الأسد، وظنّ أبو سفيان أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)قد جاء بمدد جديد وقوّة قتالية فخاف لقاءه وولّى دبره. ورجع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة بعد أن استردّ كثيراً من معنويّات قوّاته التي كانت قد تزعزعت على أثر هزيمة اُحد.

حادثة الرجيع

و هي من الحوادث المؤلمة على المسلمين حيث استشهد فيها جمع من القرّاء إذ كانوا قدذهبوا لتعليم القرآن بناءً على طلب رهط من قبيلتي(عضل) و(القارة)من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)حتى إذا بلغوا بطن الرجيع غدروا بهم حيث استصرخوا عليهم هذيلا فهجم عليهم حيٌ من هذيل فأصابوهم جميعاً، واستبقَوا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وباعوهما إلى مشركي مكّة[١].

أهمّ حوادث السنة الرابعة للهجرة

حادثت بئر معونة

وبالرغم من تألّم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من مقتل أصحاب الرجيع وبالرغم من حذره أن تتكرّر تلك الحادثة جاء أبو براء (ملاعب الأسنّة) إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم، و لكنّه طلب من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إيفاد جمع من القرّاء إلى نجد لتبليغ الرسالة الإسلامية و عَهِدَ أن يكونوا في جواره، فنزل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عند رغبته فبعث سبعين أو أربعين من قرّاء المدينة لهذه المهمّة، حتى إذا نزلوا بئر معونة وبعثوا كتاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أخيه عامر بن الطفيل، قتلَ عامرُ حاملَ الكتاب قبل أن يفتح الكتاب واستصرخ قبائلَ بني سليم لمقاتلتهم فقُتِلوا عن آخرهم سوى رجلين منهم، وبلغ الخبر أبا براء

---

١ . تاريخ الطبري ٢ : ٧٧.

فشقّ عليه ماأصاب أصحاب الرسول، فحمل ابنه ربيعة على قتل عمّه (عامر) فطعنه فأصاب فخذه، وحزن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون لقتلى بئر معونة أشدّ الحزن[١].

جلاء بني النضير

كان سبب جلائهم عن المدينة هو غدرهم و نقضهم العهد الذي بينهم وبين الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك عندما قتل رجل من المسلمين رجلين من المشركين غيلةً لعدم علمه بحصولهما على عهد من الرسول، فلمّا علم الرسول بذلك عزم على دفع ديتهما، فخرج إلى بني النضير ليعينوه في الدية لما بينه وبينهم من الحلف فأظهروا الموافقة، فجلس الرسول عند جدار من بيوتهم ينتظرهم، ودخل اليهود يتشاورون في اغتياله باعتبار أنّ وجود الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عند الجدار آمناً يعتبر فرصة لاتتكرر وذلك بأن يلقوا عليه من أعلى الجدار رحى فتقتله وتطوع عمروبن حجاش بإلقائها على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبذلك يتخلصوا منه ومن دعوته، ولكن الله أخبره بما تآمر عليه اليهود فنهض من وقته راجعاً إلى المدينة[٢] ثمّ أرسل إليهم من يطّلعهم على علم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بغدرهم ونقضهم لعهدهم، فهدّدهم بالجلاء عن المدينة، ولكن ابن أُبيّ مَنّاهم بالدّفاع عنهم إن ثبتوا لحرب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، فحاصرهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أخذ بقطع نخيلهم حتى نزلوا على حكمه، وتمّ إجلاؤهم من المدينة واصطفى

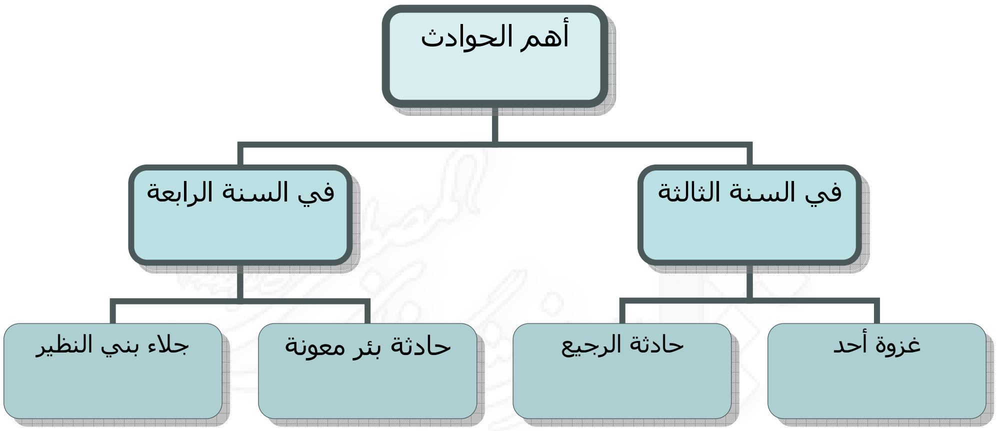
---

١ . السيرة الحلبية ٣ : ١٦٦ ــ ١٦٩ و زاد المعاد ٣ : ٢٤٦ ــ ٢٤٧.

٢ . زاد المعاد ٣ : ٢٤٨.

الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أموالهم وقسّمها بين المهاجرين، وهكذا تمّت تصفية ثاني حصن من ثلاثة حصون يهوديّة مهمّة داخل المدينة[1].

و أقام رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة مستريحاً إلى نصر الله إيّاه، مطمئناً إلى ماأعاده الله للمسلمين من هيبتهم، حَذِراً غدرة العدّو، باثّاً عيونه في كلّ النواحي.



١ . السيرة الحلبية ٢ : ٥٥٩ ـــ ٢٦٠.

الخلاصة :

لئن كانت السنة الثالثة تحمل نصراً تعبوّياً للمشركين فإنّها كانت تحمل فشلا سوقيّاً لهم أمام المسلمين حيث فشل المشركون في القضاء على قوّات المسلمين، ونجح المسلمون في الخروج من تطويق المشركين رغم الخسارة التي بلغت نسبتها ١٠% من قوّاتهم.

وعرفوا مواطن الضعف والقوة في قوّاتهم واكتشفوا المنافقين في صفوفهم ممّا أتاح لهم القيام بعملية التطهير بعد اُحد. وهكذا جاءت هزيمة اُحد تعليماً قيّماً للمسلمين.

لئن وجدت الوثنية العربية فرصتها للانتقام من المسلمين في أعقاب هزيمة أحد فإنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) استطاع أن يتصدّى لكل المؤامرات ضدّ دولته الفتيّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

المرحلة الثانية: مرحلة البناء والدفاع عن كيان

أول دولة إسلامية (۴)

المقدمة:

الهدف الدراسي:

تشريح مرحلة البناء و الدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (۴)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

۱. ما هي أهم حوادث السنة الرابعة للهجرة؟

۲. بماذا تميزت السنة الخامسة للهجرة؟

۳. متى و لماذا كانت غزوة بني قريضة؟

المحتوى العلمي:

المرحلة الثانية:

بعض الاحداث الإجتماعية

☐ توفّيت فاطمة بنت أسد، وكانت أوّل امرأة بايعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال(صلى الله عليه وآله وسلم)في وفاتها: «اليوم ماتت أُمّي»، وكفّنها بقميصه ونزل في قبرها واضطجع في لحدها. قائلا عنها: «إنّها كانت تجيع صبيانها وتشبع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وتشعثهم وتدهنه».

☐ وانتفض جرح أبي سلمة ــ وهو ابن عمة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ــ بعد رجوعه من بعثه إلى بني أسد، فمات لثلاث مضين من جمادى الآخرة.

☐ ووُلِد الحسين بن علي(عليهما السلام) في أوائل شعبان المعظّم من هذه السنة. وتزوّج رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأُمّ سلمة وهي ابنة عمّ أبي جهل بعد أن انقضت عدّتها في شوال من هذه السنة وقد أبت الزواج بأبي بكر وعمر.

☐ وهنا يُذكر أنّ عثمان بن عفّان قال: «أيَنكحُ محمدٌ نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات؟! والله لو قد مات أجبلنا على نسائه بالسهام»[1]، وكان يريد أُمّ سلمة. وكذلك قال طلحة، وكان يريد عائشة، فانزل الله: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالاْخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**)[2].

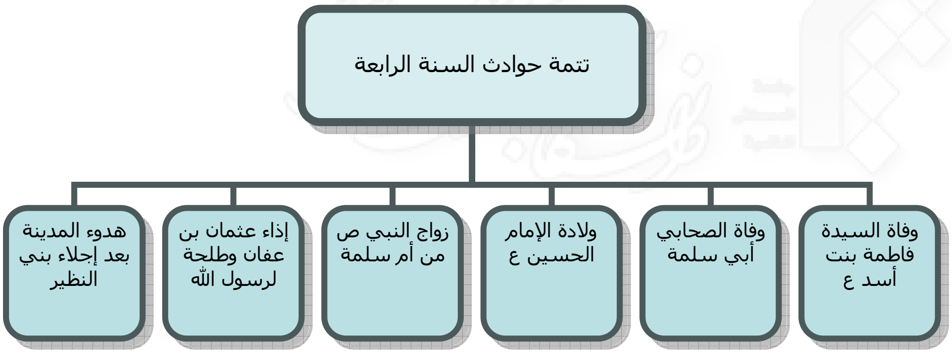
---

١ . كشف الحق: ٢٤٧ طبعة بغداد.

٢ . الأحزاب: ٥٧.

□ وفي شوال أو ذي القعدة من هذه السنة رجم رسول الله زانيين محصَنَين يهوديين بحكم التوراة بعد أن كره اليهود رجم المرأة لكونها في شرف منهم، وهنا نزلت مجموعة من آيات سورة المائدة (٤١ ـــ ٥٢) توضّح للمسلمين كيف أنّ أهل الكتاب كانوا يخفون كثيراً من أحكام الله. كما نزلت آيات من سورة النساء (١٠٥ ـــ ١١٣) تتعلق بسرقة ابن اُبيرق وهو من المنافقين الذين كانوا يهجون رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). ثم اتهامه لبيد بن سهل وهو من المؤمنين، وشكوى اُسيد بن عروة عند رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

لقد اطمأنت المدينة بعد إجلاء بني النضير عنها، وكانت فترة هدوء، استراح إليها المهاجرون والأنصار جميعاً.



أهمّ حوادث السنة الخامسة للهجرة

لقد كانت قريش ويهود بني قينقاع ويهود بني النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربّص ـــ بالنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه ـــ الدوائر، لتدرك ثأرها منه.

١ . راجع بحار الأنوار ٢٠: ١٨٤.

و قد اختمرت فكرة تأليب العرب على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في نفوس أكابر بني النضير واستطاع هؤلاء أن يحزّبوا قريشاً وحلفاءها كسُلَيم و غطفان من جهة، كما استطاعوا أن يقنعوا بني قريظة بنقض العهد وإعانتهم لِقريش من داخل المدينة، ولّما سمع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)بالأحزاب جمع المسلمين واستشارهم و كان الرأي النهائي هو ما أبداه سلمان الفارسي(قدس سره)من حفر الخندق من الجهة الشمالية للمدينة، فلما جاءت الأحزاب فوجئوا بالخندق ولما لم يتمكّنوا من اجتيازه عسكروا في الجانب الآخر يفكّروا في إيجاد طريقة لاجتيازه و في هذه الأثناء دخل الخندق عمرو بن عبدود العامري أحد أبطال الشرك مع بعض المقاتلين ، و طلب من المسلمين البراز و لكن لم يجبه أحد حتّى قال قولته(ولقد بحث من النداء بجمعكم هل من مبارز) والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو المسلمين لمناجزة عمرو بن عبدود ويكرّر نداءه بقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) (من يبرز له وأنا ضامن له على الله الجنة).

ولكن لم يجبه أحد سوى الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) فكان ينادي: أنا يا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يستمهله عسى أن يجبه أحد من المسلمين، وبعد يأسه أذن للإمام علي وأعطاه سيفه ذاالفقار وألبسه درعه وعمّمه بعمامته ثمّ قال(صلى الله عليه وآله وسلم)(اللّهمّ هذا أخي وابن عمّي فلاتذرني فرداً، وأنت خير الوراثين)[1] ولما برز علي(عليه السلام) قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)(برز الإيمان كلّه إلى الشركِ كلِهِ، اللّهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه)[2].

١ . السيرة النبوية ٧ : ١١١.

٢ . دراسات في التاريخ الإسلامي للسيد جعفر مرتضى العاملي ، ص ١٢٨.

و مضى علي(عليه السلام) إلى الميدان ، و خاطب ابن عبدود : إنّي أدعوك إلى الله و إلى رسوله و إلى الإسلام. فقال : لا حاجة لي بذلك، قال له الإمام علي(عليه السلام) : فإنّي أدعوك إلى البراز. فقال عمرو : إنّي أكره أن اُهرق دمك ، و إنّ أباك كان صديقاً لي.

فردّ عليه الإمام(عليه السلام) قائلا : لكنّي و اللهِ اُحبُّ أن أقتلك ، فغضب عمرو وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج البلاغة : و كان شيخنا أبوالخير مصدّق بن شبيب النحوي يقول: إذا أمرنا في القراءة عليه بهذا الموضع : و اللهِ ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه ، بل خوفاً منه ، فقد عرف قتلاه ببدر و اُحد و علم أنّه إن ناهضه قتله ، فاستحى أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء و إنّه لكاذب فيها)[1] و بالفعل استطاع الإمام علي(عليه السلام) قتل فارس الأحزاب و بقتله انخذل المشركون و ازدادت معنويات المسلمين فاستقبلوه بالتكبير و التهليل و استقبله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و هو يقول : لمبارزة علي بن أبي طالب(عليه السلام) لعمرو بن ود ، أفضل من عمل اُمتي إلى يوم القيامة[2].

و بعد المبارزة هذه التجأ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الى وسيلة للإيقاع بين عدوّه الخارجي قريش و بين عدوّه الداخلي يهود بني قريظة ، اللذين تحالفا على قتال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) و ذلك عن طريق بعث نُعَيْم بن مسعود ــ والذي كان قد كتم إسلامه ــ وكان في الجاهلية نديماً لبني قريظة، ليحذرّهم من عدم وفاء قريش لهم، ويحذّر قريشاً من تراجع بني قريظة أمام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، واطمأنّ كلٌ منهما لما حذّرهم منه، وتردّدت غطفان في قتال محمد(صلى الله

١ . شرح النهج ٢ : ١١٢.

٢ . تاريخ بغداد ٣ : ١٩.

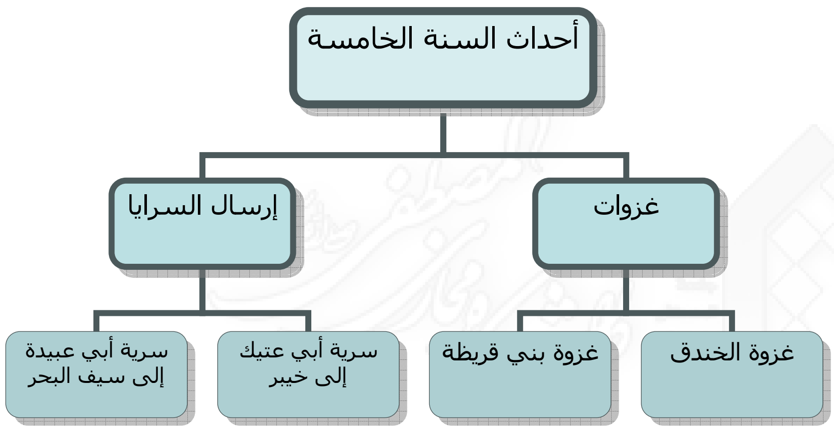
عليه وآله وسلم) بما وعدها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من ثمار المدينة، وقد حالفهم نصر الله الذي تمثل في عصف الرياح، وهطول المطر، وقصف الرعد، وخطف البرق، واشتداد العاصفة، وقلع خيام الأحزاب، وانكفاء قدورهم، ودخول الرعب إلى نفوسهم. حتّى هزم الله الأحزاب وحده ونصر عبده وأعزّ جنده، فتراجعت قريش وارتحلت القبائل إلى محالّها، وأصبح المسلمون وليس حول الخندق أحد من الأعداء. وبقيت بنو قريظة تنتظر مصيرها الأسود بعد خيانتها للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في أشد الظروف حراجةً ; فإنّه في نفس اليوم الذي تراجعت قريش عبّأ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين واتّجه إلى محاصرة بني قريظة بالرغم من شدّة البرد، والجوع الذي كان قد أجهدهم، وطال حصار اليهود خمساً وعشرين ليلة، واضطروا للاستسلام للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، فطلبوا تحكيم حلفائهم من الأوس، فحكّم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) سعد بن معاذ، فحكم عليهم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم ومصادرة أموالهم، وأيّد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)هذا الحكم وذلك للخيانة الكبرى التي ارتكبوهاضد المسلمين، على أنّهم لو كانوا قد انتصروا لما كانوا يقنعون إلاّ باستئصال المسلمين.

وهكذا انتهت السنة الخامسة بأهّم غزوتين حُطِّمت فيهما كبرياء قريش وحلفائها من العرب، واستئصل اليهود داخل المدينة و لم يبق من أعداء هذه الدولة الفتيّة إلاّ المنافقون. وذهبت العرب كلهّا تتحدّث عن قوّة المسلمين وسلطانهم، وبمقام محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)وقوتّه.

وانتهت السنة الخامسة بسريّتين: الأُولى سرية أبي عتيك إلى خيبر لاغتيال أحد رؤوس بني النضير الذي كان قد تحصّن في خيبر، والثانية سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر.

و هكذا وقفنا علي أهم الإنجازات التي تحققت لرسول الله (ص) في هذه السنة الخامسة.

ولو أردنا أن نقف علي إنجازات الرسول (ص) في السنوات الخمس لوجدنا أن الدولة الإسلامية قد قطعت شوطين مهمين: ١. مرحلة تثبيت القواعد في السنة الأولي و الثانية ٢. مرحلة البناء و الدفاع في السنوات الثلاثة الأخري في غزوات ثلاث تجاه قريش: بدر، أحد و الخندق. و ثلاثة حوادث مهمة تجاه اليهود: إجلاء بني قينقاع و إجلاء بني نضير و غزوة بني قريظة.



الخلاصة :

توّج الله جهود النبيّ (ص) والمخلصين من أصحابه بالنصر في ثلاث غزوات تجاه قريش و ثلاث غزوات تجاه اليهود و لكن في السنة الخامسة التي كانت بين مرحلتين و بين عهدين متميزين في المدينة و هما الدفاع و الانتشار وكان نصراً حاسماً ذا آثار عظيمة في انتشار الإسلام وقوّته فيما بعد.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى (تاريخ صدر الاسلام)

المرحلة الثانية: مرحلة البناء والدفاع عن كيان

أول دولة إسلامية (٥)

المقدمة:

الهدف الدراسي:

تشريح مرحلة البناء و الدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٥)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماهي أهم معالم السنة السادسة للهجرة؟

٢. لماذا باغت النبي (ص) قريش بالعمرة في السنة السادسة؟

٣. كيف انتهت العمرة إلى صلح الحديبية و لماذا؟

٤. ماهي أهم نتائج صلح الحديبية؟

المحتوى العلمى:

المرحلة الثانية:

حوادث السنة السادسة للهجرة

لقد كان من الطبيعي أن تنتشر أخبار انهزام الأحزاب الذين تحالفوا لقمع الدين الإسلامي وأتباعه في شبه الجزيرة العربية بسرعة فائقة.

وقد كان لانهزام قريش ـــ وهي أكبر قوة سياسية وعسكرية في المنطقة ـــ أكبر الأثر في الهزيمة النفسية لها ولحلفائها.

وشكّلت هذه الهزيمة منعطفاً سياسيّاً كبيراً في قرارات قريش والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)... فقريش لاتفكّر بعد هزيمتها مع الأحزاب التي حزّبتها ضدّ المسلمين في معاودة قتال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)الذي أصبح قوّة كبيرة تصمد أمام الأعاصير..والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لابدّ أن يخرج من هذا الحصار الذي حطّمتْه غزوة الأحزاب بنتائجها الباهرة.

من هنا انطلق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن نصره الله على ألدّ أعدائه في التخطيط لاقتحام مركز قريش والوصول إلى بيت الله الحرام الذي احتكرته قريش لنفسها وللمشركين بالرغم من أنه ليس ملكاً لأحد...وقررّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون اقتحامه للبيت الحرام سلميّاً عبر رحلة عباديّة متمثّلة في العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته لنشاطه الرسالي وليبيّن مفاهيم الرسالة الإلهية الخاتمة ويعبّر عمليّاً عن تقديسه لبيت الله الحرام.

وبهذا سوف ينتقل بشكل طبيعيّ من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الانتشار والتوسّع لتبليغ رسالة الله تعالى متحدّياً كبرياء قريش التي أَبَتْ الانصياع إلى صوت الحق الهادر، لاسيّما وهي الآن تعيش هزيمة نفسية كبرى لاتستطيع معها الدفاع فضلا عن الهجوم.

لقد كانت قريش ترصد حركات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هزيمتها، وكان ورود النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)(الحديبية) وروداً مباغتاً لقريش حيث سلك طريقاً وعراً، وبركت ناقة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)ـ على خلاف عادتها ـ في هذه المنطقة السهلة، وعلمت قريش باتّجاه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) نحو مكة. وبالرغم من أنها استخبرت عن هدف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من هذا التحرّك ولكنّها أبت أن يدخل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مكّة إذ اعتبرته دخولا مفروضاً عليها فيكون سحقاً لكبريائها.

وكانت كل الشواهد تشير إلى أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد جاء زائراً لا محارباً; لأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)قد استنفر ألفاً وأربعمائة مسلم ـ على أقلّ التقادير ـ وساق الهدي أمامه (سبعين بعيراً)... وبلغ قريشاً نبأ خروج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين بأنهم يريدون أداء العمرة فأصبحت قريش في ضيق من أمرها إذ كان أمامها طريقان: إمّا أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة وبذا يتحقّق للمسلمين أملهم في زيارة البيت الحرام وللمهاجرين خاصّة تتهيّأ فرصة الاتصال بأهلهم وذويهم ـ وربّما دعوتهم إلى الإسلام ـ أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكّة وبذا ستتعرض مكانة قريش للاهتزاز وتكون محطّاً لِلَوْم القبائل الأُخرى وذلك لِسوء معاملتها لقوم مسالمين يبتغون أداء مناسك العمرة وتعظيم الكعبة المشرّفة.

أبت قريش إلاّ المنع فأخرجت مجموعة من فرسانها تقدّر بمأتي فارس بقيادة خالد بن الوليد، وكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد خرج محرِماً وليس غازياً وهنا كشف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)النقابَ عن الهزيمة النفسية لقريش فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب؟! فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله لاأزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة».[1]

ثمّ أمر بالعدول عن الطريق تجنّباً لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعة لصحّة موقفها وفخراً لها. وأرسل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خراش بن اُميّة الخزاعي ليفاوض قريشاً في الأمر فعقروا ناقته وكادوا أن يقتلوه و لم ترع قريش حرمةً ولاذمّةً للأعراف والتقاليد المعترف بها لديهم.

وكلّفت قريش خمسين رجلا للتحرش بالمسلمين عسى أن يبدر منهم ماينفي صفة السلم عنهم وفشلت هذه المحاولة وتمكّن المسلمون من أسرهم فعفا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)عنهم مؤكّداً هدفه السلمي[2].

وأراد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبعث إلى قريش رسولا آخر، و لم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثّلا عنه إذ أنّ علياً كان قد وتر أغلب بطون قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والدولة الإسلاميّة فانتدب عمر بن الخطاب ولكن عمر

١ . تاريخ الطبري ٣: ٢٢٣.

٢ . المصدر السابق.

خاف من قريش على نفسه رغم أنّه لم يقتل فرداً من أفرادها واقترح على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرسل عثمان بن عفان[1]; لكونه أموياً وذا قرابة مع أبي سفيان.

وتأخر عثمان حين ذهب للتفاوض مع قريش وشاع خبر مقتله فكان هذا إنذاراً بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكة.

و لم يجد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بدّاً من التهيؤ للقتال، ومن هنا كانت بيعة الرضوان إذ جلس النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تحت شجرة وأخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامة والثبات مهما كلّف الأمر، وهدأ استنفار المسلمين بعودة عثمان. وأرسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالرغم من تشدّد سهيل في الشروط، أسفرت المفاوضات عن شروط الصلح التالية:

١ ــ تعهّد الطرفان بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض.

٢ ــ من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمّد لم يردّوه عليه.

٣ ــ من أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل فيه ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ ــ يرجع محمّد بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكّة، وإنّما يدخل مكّة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثة أيّام ليس معه سوى سلاح الراكب، والسيوف في القرب[2].

١ . السيرة النبوية ٢ : ٣١٥.

٢ . السيرة الحلبية ٣ : ٢١.

٥ ــ لايُستكره أحد على ترك دينه ويعبد المسلمون الله بمكّة علانية وبحرّية وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة وأن لايؤذى أحد ولا يعيّر[١] .

٦ ــ لا إسلال (سرقة) ولا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر[٢] .

٧ ــ لاتعينُ قريشٌ على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح[٣] .

و لم يرضَ بعض الصحابة ببنود الصلح، فاعترض على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) زاعماً أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)قد وقف موقف المنهزم أمام جبروت قريش[٤] و لم يدرك أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مسدَّد من قِبَلِ الله وأنّه ينظر بنور الله الى مستقبل الرسالة والدعوة الإسلامية ومصالحها العليا.

وردّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الاعتراض قائلا: «أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني»، وتمّ الصلح لولا هروب أبي جندل والتماسه من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يرجعه إلى قريش واضطر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تسليمه.

لكن قضية تسليم أبي جندل لقريش[٥] في ظرف توتر الوضع النفسي لجمع من المسلمين، كان مثيراً لهم[١] .

---

١ . بحار الأنوار ٢٠ : ٣٥٢.

٢ . مجمع البيان ٩ : ١١٧.

٣ . بحار الأنوار ٢٠ : ٣٥٢.

٤ . لقد سجّل عامة المؤرخين اعتراض عمر على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يخص هذا الصلح وشروطه معتبراً ذلك من إعطاء الدنية في الدين.

٥ . السيرة الحلبية ٣ : ٢١، السيرة النبوية ٢ : ٢١٨، بحار الأنوار ٢٠ : ٢٥٢.

لقد كان هذا الصلح فتحاً مبيناً للمسلمين خلافاً لما استظهره البعض من بنود الصلح; إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بشكل تام كما سنرى فيما بعد.

وفي طريق الرجوع إلى المدينة نزلت آيات القرآن الكريم[2] لتؤكّد البعد الحقيقي للصلح مع زعيمة الوثنية. ومبشرةً المسلمين بدخولهم مكة في زمن قريب.

نتائج صلح الحديبية

١ ــ لقد اعترفت قريش بكيان المسلمين كقوّة عسكرية وسياسية مشروعة.

٢ ــ دخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين وتصاغر دَوْرُهم، وظهر ضعفهم عند المواجهة.

٣ ــ أعطت الهدنة للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين فرصة لنشر الإسلام ودخول كثير من القبائل في الإسلام، وقد كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حريصاً منذ بدء دعوته أن تترك قريش له فرصة يعبّر فيها بحرّية عن موقفه، ويشرح الإسلام للناس بأمان.

٤ ــ بعد أن أمن المسلمون جانب قريش حوّلوا ثقلهم وجهودهم لمواجهة اليهود وسائر المناوئين.

٥ ــ جعلت مفاوضات الصلح حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليهم بالتدريج.

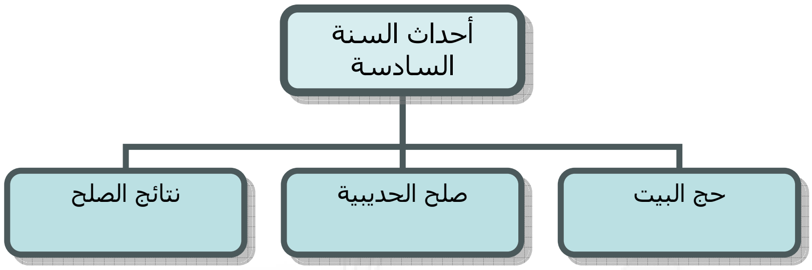
---

١ . و لا بأس أن ننبّه إلى أنّ هذا الشرط كان وبالا على قريش ، لأنّ الكثير ممن أسلم في مكة كان يهرب منها و يلتجأ إلى الجبال القريبة من مكة حتى اجتمع سبعون رجلا من المسلمين في منطقة ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام و كانوا يقطعون الطريق على تجارة قريش و أهلها ، و هذا ممّا أزعج قريشاً فكتبت إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تسأله بأرحامها ألاّ آواهم فلا حاجة لهم بهم فآواهم.(السيرة النبوية ٢ : ٢٩٣) و هذا الذي حدث مصداق قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي جندل: يا أباجندل اصبر و احتسب ، فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً و مخرجاً ... ، (السيرة الحلبية ٢ : ٧١٠).

٢ . راجع سورة الفتح.

٦ ــ مكّن الصلح النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يراسل الملوك خارج الجزيرة لدعوتهم إلى الإسلام، وأن يستعدّ لنقل الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية.

٧ ــ مهّد الصلح لفتح مكّة التي كانت أهم قلاع الوثنية حين ذاك، كما سنرى، في مراحل لاحقة.



تبليغ الرسالة خارج الجزيرة

لقد كانت محاولات قريش للقضاء على الإسلام سبباً لانشغال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين في معارك الدفاع والتحصين وتثبيت أركان الدولة والمجتمع الإسلامي عدّة سنين، فلم يستطع خلالها أن يبلّغ فيها رسالته السماوية العالمية و خاتمة لكل الأديان بحرّية تامّة.

وبتوقيع معاهدة صلح الحديبية أمن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) جانب قريش وأتاحت فرصة الأمان هذه أن يبعث الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) سفراءه إلى زعماء القوى الكبرى المحيطة بالجزيرة العربية وإلى كلّ رؤساء القبائل في الجزيرة وخارجها يدعوهم إلى الإسلام ويوضّح لهم التعاليم الإلهية.

فقد روي أنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) قال في أصحابه: «أيّها الناس إنّ الله قد بعثني رحمة وكافّة فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم».

فقال أصحابه:وكيف اختلف الحواريون يارسول الله؟قال(صلى الله عليه وآله وسلم):«دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه فأمّا من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلّم وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل».

واتخذ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) خاتماً من فضّة نقشت على فصّه «محمد رسول الله» وختم به الكتب ; لأنّ الملوك لايقرأون كتاباً إلاّ مختوماً[1] .

وتوجّهت رسل الهداية تنقل رسائل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مختلف بقاع الأرض[2]، وأهمّها دعوة النجاشي في الحبشة إلى الإسلام ودعوة المقوقس في الاسكندرية والحارث الغسّاني بالشام ودعوة قبائل غطفان إلى رسالة الإسلام الخاتمة.

١ . السيرة النبوية ٢ : ٦٠٦.

٢ . لاحظ مكاتيب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

الخلاصة :

لقد كانت السنة السادسة سنة الانتقال من خندق الدفاع إلى مرحلة الانتشار التي كانت تتطلّبها عالميّة الرسالة الخاتمة.

وبقيت قريش تعيش غرورها وكبرياءها وتتصوّر أنّها قد وقفت أمام امتداد الرسالة الإلهية بمنعها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من أداء العمرة.

بينما بشّر القرآن الكريم الرسول الأمين(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّه سيدخل المسجد الحرام إن شاء الله آمناً محلّقاً رأسه، وسوف ترتفع كل الحواجز المصطنعة أمام رسالة الله إلى البشريّة كافّة إذ ستسفر الأيّام القريبة القادمة عن دقّة التخطيط الرباني لإظهار كلمة الله تعالى عالية خفّاقة ويتبينّ الحق حيث يقول:

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[1] .

---

١ . التوبة : ٣٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ١۶)

العهد المدنى _ مرحلة الفتح والانتشار (١)

المقدمة:

الهدف الدراسي: تبيين مرحلة الفتح و الانتشار من العهد المدني (١)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما المقصود بدور السلام المشروط؟

٢. متى و كيف فتحت قلاع خيبر؟

٣. لماذا استسلم أهالي فدك؟

٤. متى و لماذا كانت عمرة القضاء؟

المحتوى العلمي :

حوادث السنة السابعة للهجرة

دخلت السنة السابعة للهجرة والمسلمون لازالوا في مرحلة السلام المشروط وقد استطاعوا بعد مضي ست سنوات أن يتخلصّوا من أشرس أعدائهم (اليهود) وأن يواصلوا تبليغ رسالتهم (رسالة الله) إلى القبائل العربية داخل الجزيرة، كما تمكّنوا من أن يُقْبِروا إرادة القتال عند قريش، وهم على أتّم استعداد لمواصلة الدفاع بروح قتالية عالية وكفاءة وخبرة متنامية...وبهذا أصبح المسلمون يشكّلون القوة الرئيسة في جزيرة العرب لاينافسهم فيها أحد.

وقد أخذت آثار وأبعاد هذا الفتح المبين تظهر بالتدريج: فالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة مسلم ثم خرج إلى فتح مكّة بعد سنتين في عشرة آلاف رجل مسلم.

وذلك لأنّ الهدنة جعلت الناس يأمن بعضهم بعضاً...وكان عرض الإسلام على الناس عاملا لقبوله دون خوف أو تهديد من تبعات هذا الأمان، والقبائل العربية رأت نفسها في حلٍّ من الانتماء لزعيمة الوثنية لاسيّما وهي ترى فشل قريش في مواجهة الإسلام من جهة وتنامي قدرة المسلمين من جهة أُخرى.

وكان انضمام خزاعة إلى معسكر المسلمين نصراً كبيراً لهم لأنّ جزءً كبيراً من الأحابيش الذين كانت تعتمد عليهم قريش يعدّون من بطونها...وبهذا ضعف ركن قريش الحربي[١].

وكان لانتشار الإسلام في اليمن في الفترة التي أُعقبت الحديبية أهميّة خاصّة من الناحية العسكرية إذ أصبحت قريش محفوفة بالمسلمين من الشمال والجنوب وبذلك تقرّر مصير مكّة وقريش نهائيّاً.

وحين أمِن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) جانب قريش والقبائل الموالية لها كان قد تفّرغ للقوى المضادّة الأُخرى. فخيبر والمواقع اليهودية المجاورة لها لازالت مناطق خطر على الدولة الإسلامية الفتية، والبيزنطيون وحلفاؤهم العرب الذين ازداد تكالبهم في الجهات الشمالية بازدياد نشاط الإسلام هناك، فضلا عن التجمعات البدوية المنتشرة

---

١ . عماد الدين خليل: دراسة في السيرة: ٢٣٢ عن الشريف احمد ابراهيم ص ٤٦٩.

في الصحراء والتي كانت تنتظر الفرصة السانحة للنزال...فبعد فصم عقدها بالهدنة مع قريش أخذ يوجّه إليها السرايا تلو السرايا طيلة السنة السابعة ليصدّها عن المضيّ فيما تبتغيه وليشعرها بمقدرة المسلمين على العقاب.

من هنا نجد سريّة زيد إلى حسمى وسرية ابن سعد الى بني مرة وسريتين الى هوازن وسرية بشير إلى غطفان وسريّة السلّمي إلى بني سُلَيم قد كانت كلّها في هذه السنة بالذات ، و قد لقّنت الأعراب و دعاة الفتنة دروساً لن ينسوها[١] .

ونشط الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الحديبية وحتى فتح مكّة في توجيه دعاته وسفرائه إلى كبار أمراء العرب الوثنيين يدعوهم إلى الإسلام في نفس الفترة التي كان قد وجّه فيها سفراءه إلى أباطرة العالم وملوكه لعرض الإسلام عليهم.

فأسلم المنذر بن ساوي العبدي أمير البحرين ومعه الكثير من رعاياه وصالح النبي من بقي على مجوسيّتهم وبقي العلاء بن الحضرمي أميراً من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على البحرين[٢]ـ كما بعث إلى عمان واليمامة فأسلم أمراؤهما. كما أسلم زعماء اليمن ومشايخها وبقايا ملوك حمير. وأسلم جمع من أُمراء كندة وحضر موت وبقي بعضهم على شركهم...كما وجّه كتاباً إلى جماعة من العبيد وقطّاع الطريق في جبل تهامة بعد أن استقبل وفداً منهم[٣].

وجاءت غزوة خيبر واستسلام أهالي فدك ومعركة مؤتة لإزالة الخطر اليهودي وايقاف الخطر البيزنطي طيلة العامين السابع والثامن.

كما كانت عمرة القضاء في نهاية السنة السابعة تصديقاً لوعد الله الذي جاء في سورة الفتح.

فتح خيبر واستسلام أهالي فدك

بعد إجلاء بني قينقاع وبني النضير أصبحت خيبر مركزاً للتجمع اليهودي السياسي ومنها انطلق زعماء اليهود لدعوة القبائل العربية وتحزيبها ضدّ المسلمين، ومنها خرج حيي بن أخطب ودفع بني قريظة إلى نقض معاهدة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين في اللحظات العصيبة، وغدت خيبر بمرور الأيام ملجأً يأوي إليه

---

١ . الواقدي ٢ : ٧٢٢ ـ ٧٣١ و ٧٤١ ـ ٧٥٣ و ٧٧٧ ـ ٧٨٠.

٢ . فتوح البلدان ١ : ٩٥ ـ ٩٩.

٣ . انظر بالتفصيل ابن سعد ١ : ١٨٨ ـ ٣٨.

اليهود المبعدون عن المدينة ينتظرون الفرصة للانتقام من الإسلام والمسلمين واسترداد مواقعهم التي جُرّدوا منها، وبعد وصول نبأ هزيمة بني قريظة إلى خيبر أعلن سلام بن مشكم السير إلى محمد في عقر داره بما معهم من يهود خيبر مع استجلاب يهود تيماء وفدك ووادي القرى.

وفي أواخر العام السادس توجّهت سرية علي بن أبي طالب(عليه السلام) إلى فدك حيث كان يقطن عندها حيّ من بني سعد بن بكر وكانوا قد سعوا إلى مدّ أيديهم لاولئك اليهود لقاء أن يمنحوهم جزءً من ثمار خيبر[١].

وهم الآن يتحالفون مع غطفان في محاولة جديدة ضد المدينة تمهيداً لدخول أهل خيبر في حرب مع المسلمين.

إذن فالخطر اليهودي لازال قابعاً في الجزيرة حيث لم يكف اليهود عن التآمر والعدوان، من هنا انطلق الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في مطلع السنة السابعة صوب خيبر على رأس حملة استنفر لها الراغبين في الجهاد فحسب دون الغنائم.

ولما كانت يهود خيبر أعظم الطوائف اليهودية بأساً ودربةً على القتال، كانت شبه الجزيرة متطلعة إلى نتائج هذه الغزوة، وكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يدرك أن الفشل فيها سوف يغيّر ميزان القوى من جديد...من هنا كان عليه أن يقود جيشاً مؤمناً بأهدافه مقدّراً لحراجة الظروف...وكان الجيش الذي أعدّه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قليلا بعدده كثيراً بايمانه[٢].

واستهدف الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) السيطرة على الطريق الواصل بين غطفان وخيبر ليمنع المدد عنهم واستطاع أن يحول بين غطفان وبين يهود خيبر، ثم باغت خيبراً في وقت كان قد خرج أهلها إلى مزارعهم.

لقد تمالكهم الخوف حين رأوا جيش المسلمين وهربوا لائذين بحصونهم وهيّأوا أنفسهم لحصار طويل[٣].

وتلخّصت خطة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بمشاغلة بعض الحصون بقوآت صغيرة وتركيز الهجوم على حصن واحد ثم الانتقال إلى سائر الحصون. مع تقسيم

---

١ . الطبري ٢ : ٦٤٢، ابن سعد ٢ : ١ : ٦٥.

٢ . الشريف: مكّة والمدينة: ٤٩٥ ـ ٤٩٨ وإمتاع الأسماع ١ : ٣٢٧.

٣ . ابن هشام: ٢٥٩ ـ ٢٦١، الطبري ٣ : ٩.

القوآت بنحو يشتدّ التنافس بينها مع قيام بعضها بالاستراحة بشكل متناوب لتكون مستعدّة للقتال على أيّ حال[١].

وبدأ الهجوم وراحت الحصون تسقط بأيدي المسلمين حصناً بعد حصن، وكان آخرها مقاومةً سلاسل الوطيح والسلالم وقلعة الزبير وظلّوا يقاومون بضعاً وعشرين ليلة جرت خلالها مبارزات فرديّة. و بعد أن فشل جمعٌ من الصحابة في اقتحام هذه الحصون في هجومين منفصلين كان الأول بقيادة أبي بكر ، حيث رجع يجبّن أصحابه و يجبنونه ، و كان الثاني بقيادة عمربن الخطاب الذي رجع يجبّن أصحابه و يجبنونه أيضاً ، قال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كلمته المعروفة: لأعطينّ الراية غداً رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّار غير فرّار ودعا عليّاً و كان أرمد العينين ، ممّا أوجب أن يمسحها الرسول بلعابه المبارك وأعطاه الراية وتمّ الفتح على يديه.

وحين أيقنوا بالهلكة سألوا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الجلاء من المنطقة وحقن دمائهم فأجابهم الى طلبهم، فلّما نزلوا إليه عرضوا عليه أن يبقيهم في أرضهم لقاء نصف حاصلاتهم فوافق على ذلك بشكل مشروط من دون أن يكون ملزماً إلى الأبد بذلك. فإنّ اليهود قد عرفوا بالغدر في أية فرصة تسنح لهم للغدر[٢].

وفي يوم فتح خيبر أقبل جعفر بن أبي طالب(عليه السلام) من الحبشه فاستقبله الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وقبّل مابين عينيه ثم قال: بأيّهما أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر[٣]؟!

وتناسى اليهود كل المواقف السمحة والعادلة إزاءهم، وكانت اولى محاولات الغدر ماتمّ على يد زينب ابنة الحارث زوجة سلام بن مشكم إذ أهدت للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) شاة مشوّية نثرت فيها السمّ وعرف النبي ذلك بعد أن مضغ من ذراعها مضغة ولفظها وكان بشر بن البراء قد أكل منها فمات بعد قليل.

واعترفت الجانية قائلة للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): بلغتَ من قومي مالم يخفَ عليك، فقلتُ: إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقيل: إنّه قتلها[٤].

١ . الرسول القائد: ٢٠٨ ـ ٢٠٩ وأنساب الأشراف ١ : ٣٥٢.
٢ . الطبري ٢ : ١٠ ـ ١٥ وفتوح البلدان ١ : ٢٥ ـ ٢٦.
٣ . الطبقات الكبرى ٢ : ١٠٨.
٤ . الواقدي ٢ : ٦٧٧ ـ ٦٧٩ وابن سعد ٢ : ١ : ٧٨.

ويذكر عدد من المؤرّخين أنّ وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ثلاث سنوات كانت بسبب هذا السم الذي دسّته له بنت الحارث يوم فتح خيبر[١].

ولمّا سمع يهود فدك ماحلّ برفاقهم في خيبر من معاملة طيبة بعثوا إلى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)يعلنون رغبتهم في المصالحة على مناصفة أراضيهم[٢].

وأمّا وادي القرى فقد بقيت عاصية فتوجه إليها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وفرض الحصار عليها ودعا أهلها إلى الإسلام ولكنهم أصرّوا على القتال وجرت بين الطرفين مناوشات محدودة وشدّد الحصار عليهم حتى فتح بلدهم عنوة وبقي أربعة أيام قسمّ خلالها الغنائم على أصحابه وترك المزارع بيد اليهود مناصفة عليها ولمّا بلغت يهود تيماء أنباء الانتصارات الإسلامية صالحوا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) على الجزية وأقاموا في بلدهم[٣].

وأصبحت فدك ملكاً للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) خاصّة بحكم القرآن الكريم لأنّها ممّا لم يوجف عليه بخيل ولاسلاح بعد استسلام أهاليها للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) دون تهديد أو قتال.

وقد وهب الرسول (ص) بأمر من الله تعالى فدكاً لابنته الصديقة فاطمة الزهراء(عليها السلام)[٤].

روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن علي بن اسباط عن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)أنّه قال: ـ حين طالب المهديّ بردّ مظلمة، وكان يعني بها فدكاً ـ : إنّ الله عزّ وجلّ لما فتح على نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) فدكاً وما والاها ولم يوجف عليها بخيل ولاركاب فأنزل الله تعالى على نبيّه(صلى الله عليه وآله وسلم) «وآتِ ذا القربى حقّه» فلم يدر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من هم،فراجع في ذلك جبرئيل(عليه السلام)فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك فأوحى الله إليه أن ادفع فدكاً إلى فاطمة(عليه السلام) فدعاها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال

١ . المسعودي: الاشراف والتنبيه: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
٢ . الواقدي ٢ : ٧٠٦ ـ ٧٠٧.
٣ . الواقدي ٢ : ٧٠٩ ـ ٧١١.
٤ . مجمع البيان ٣ : ٤١١ والدر المنثور ٤ : ١٧٧.

لها: يافاطمة إنّ الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدكاً فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وتزوّج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بصفيّة بنت حيي بن أخطب بعد رجوعه من فتح خيبر.

عمرة القضاء

انقضت الأيام والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون في عمل دؤوب متواصل لتركيز دعائم الحكم الإسلامي، ولم تحدث تحركات عسكرية بعد فتح خيبر سوى خروج سرايا تبليغية أو تأديبية لبعض العناصر التي كانت تظهر الشَغَب.

ومضى عام على صلح الحديبية التزم خلالها الطرفان ببنود الاتفاق وحلّ الوقت الذي أصبح النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون فيه في حلٍّ من عهدهم للدخول إلى مكّة، فنادى منادي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتجهز المسلمون لأداء عمرة القضاء. وخرج مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ألفان من المسلمين لايحملون سلاحاً إلاّ السيوف في القِرب، ومن حيطة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وحذره من احتمال الغدر جهّز مجموعة مسلحة تستعد للدفاع عن المسلمين عند أي طاريء وأوقفهم عند (مرّ الظهران).

ولما وصل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ذا الحليفة أحرم هو وأصحابه وساق معه ستين بدنة، وقدّم الخيل أمامه (وكانت نحواً من مائة بقيادة محمد بن مسلمة)، وخرج زعماء مكّة ومن تبعهم إلى رؤوس الجبال والتلال المجاورة المطلة على مكّة زاعمين أنّهم لايريدون النظر إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ولا إلى أصحابه، ولكن جلالة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وهيبة منظر المسلمين الذين يحتفون حول الرسول وهم يرددّون التلبية بهرت عيونهم وهلع قلوبهم وشدّهم مذهولين للنظر للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين وهم يؤدوّن مناسكهم.

وطاف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حول البيت على راحلته يقودهاعبدالله بن رواحة وأمر(صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينادي المسلمون:«لا إله إلاّ الله وحده،صدق وعده،ونصر عبده،وأعَزَّ جنده وهزم الأحزاب وحده».

---

١ . تهذيب الأحكام ٤ : ١٤٨.

فدوّى النداء في مكّة وشعابها فانصدعت قلوب المشركين رعباً وتملكهم الغيظ والحقد من مظاهر النصر الإلهي للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي خرج منهم طريداً قبل سبعة أعوام.

وأتم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون معه مناسك العمرة، وأيقنت قريش قوّة الإسلام والمسلمين وكذب من أخبرها أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه في جهد وتعب وضيق وحرج.

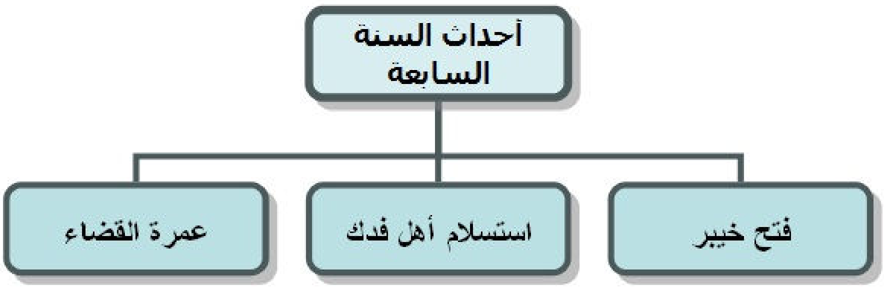
وصعد بلال على ظهر الكعبة يعلن نداء التوحيد مؤذّناً لصلاة الظهر بمظهر روحاني بهيج أغاظ رؤوس الكفر من قريش...وقد كانت كل مكة تحت تصرف المسلمين بكلّ مرافقها.

وتفرّق المهاجرون يصحبون إخوتهم الأنصار يعودون دورهم التي غادروها في سبيل الله ويلتقون بأهليهم وذويهم بعد طول فراق.

وأمضى المسلمون ثلاثة أيام في مكّة وغادروها حسب الاتفاق مع قريش.

وهكذا انتهت السنة السابعة والمسلمون أقوى شوكةً وأشد عزيمةً على المضّي لإعلاء كلمة الله في ربوع الأرض.

واعتبر بعض المؤرّخين أن مكّة قد تمّ فتحها للمسلمين من يوم عمرة القضاء لأنّها قد أثّرت على معنويّات المكيّين أعظم تأثير، فعمرة القضاء فتحت قلوبهم وغزوة الفتح فتحت أبوابها[1].



١ . شيت خطّاب، الرسول القائد: ٢٣٨.

الخلاصة:

١. تعتبر السنة السابعة من العهد المدني بدء مرحلة الفتح من خلال السلام المشروط الذي حققّه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة.

٢. وهذا الفتح هو فتح القلوب قبل فتح الأراضي والبلدان، كما أنّه فتح الجزيرة العربية وما والاها وأحاط بها من خلال توفر فرص التبليغ والدعوة إلى الله، ومن خلال الأمن الذي حققه الصلح للمسلمين.

٣. وكانت تصفية قلاع خيبر واستسلام فدك من النتائج القريبة لهذا الصلح فضلا عن تأديب دعاة الفتنة في قلب الصحراء.

٤. وكانت عمرة القضاء تحقيقاً لوعد الله تعالى وأيقنت قريش خلالها بقوة المسلمين وتفانيهم في سبيل دينهم ونبيّهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ١٧)

العهد المدنى _ مرحلة الفتح والانتشار (٢)

المقدمة:

الهدف الدراسي: تبيين مرحلة الفتح و الانتشار من العهد المدني (٢)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هو دور التحرير و متى كان؟

٢. لماذا قرر رسول الله (ص) فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة رغم معاهدة الصلح التي كانت لعشر سنين؟

٣. كيف فتح الله مكة لنبيه الكريم؟

٤. ماذا ترتب على فتح مكة من آثار؟

المحتوى العلمي :

دور التحرير

كان لبعض أُمراء القبائل العربية النصرانية الموالية للبيزنطيين في شمال الجزيرة عدّة مواقف غادرة من دعاة الإسلام المبعوثين إلى الشام ممّا دعا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) للتخطيط لتأديبهم وإشعارهم بقدرة الدولة الإسلامية الفتيّة، فجهزّ(صلى الله عليه وآله وسلم) جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل وولىّ زيد بن حارثة قيادة الجيش وألحق به قائدين احتياطيين نظراً لبعد الطريق واحتمال مجابهة قوى كثيرة العدد.

وتقدّم الامبراطور البيزنطي على رأس مائة ألف مقاتل من الروم سوى القوات العربية الموالية، وهذا العدد وإن كان خياليّاً ومبالَغاً فيه فإنّ المسلمين الذين عسكروا جنوب الأُردن طلبوا من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يمدّهم بالرجال إلاّ أنّ عبدالله بن رواحة اندفع بفورة حماسه الإيماني نحو الشهادة قائلا: «إنمّا هي إحدى الحسنيين» واستجاب له جمع من الجيش مؤيدين رأيه فلم ينتظروا المدد وغادروا معسكرهم حتى بلغوا تخوم البلقاء، ولقيتهم جموع الروم والعرب فانحازوا صوب قرية مؤته: فعبّأوا أنفسهم وانطلق زيد بن حارثة يقاتل حتى استشهد ثم استلم الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل حتى استشهد، ثم حمل عبدالله بن رواحة الراية وقاتل حتى استشهد فأخذ الراية رجل من المسلمين منادياً: يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. واتّفق المسلمون على قيادة خالد بن الوليد. وقرّر خالد حسب خطة تمويهيّة أن ينسحب بالمسلمين .

ولم يخسر المسلمون سوى ثمانية أو اثني عشر قتيلا بينما كانت خسائر العدوّ أضعافاً مضاعفة ممّا أثّر في معنويّاتهم وصدّهم عن مطاردة المسلمين.

لقد اطّلع المسلمون على خصائص قوّات الروم و تنظيمها و درجة تسليحها وأساليب قتالها.

ووصلوا المدينة بعد مسيرة مجهدة في جحيم الصحراء وتلقّاهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)والمسلمون، والصبيان يعدون من ورائهم هاتفين: يافُرّار فررتم عن سبيل

الله؟ فيجيبهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): ليسوا بالفرّار ولكنّهم الكرّار إن شاء الله تعالى[1].

وكما عقّب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) غزوة أحد بغزوة حمراء الأسد استرداداً لهيبة المسلمين بايهام قريش بقدرة المسلمين على متابعة القتال، كذلك نجد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هنا وبعد معركة مؤتة يقوم بإرسال جيش إلى الشمال ليشتت جموع أهل الشام استرداداً لهيبة المسلمين في تلك النواحي[2].

فتح مكّة[3]

لقد كانت ردود فعل القوى في المنطقة بعد معركة مؤته مختلفة، فالروم فرحوا إذ انسحب المسلمون ولم يتمكّنوا من دخول الشام وخشوا أن يلاحقوهم إلى الجزيرة.

أمّا قريش فقد سادها الفرح وانبعثت فيهم الجرأة على المسلمين وأخذت تسعى لنقض صلح الحديبية عبر الإخلال بالأمن فحرّضت قبيلة بني بكر على بني خزاعة ـ بعد أن كانت قبيلة بني بكر قد دخلت في حلف قريش وخزاعة في حلف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بعد صلح الحديبية ـ وأمدّتها بالسلاح فعَدَتْ بكر على خزاعة غيلة وقتلوا عدداً من أفرادها، ففزعوا إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) طالبين النصرة، ووقف عمرو بن سالم بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جالس في المسجد ينشد أبياتاً يعرض فيها نقض العهد. فتأثّر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: نُصِرْتَ ياعمرو بن سالم.

انتبهت قريش الى سوء فعلتها وتملّكها الخوف من المسلمين فاجتمع رأيهم على إيفاد أبي سفيان إلى المدينة ليجدّد الصلح ويطلب تمديد المدة من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

ولكن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يصغ لطلب أبي سفيان وسأله، هل كان من حدث؟

فقال أبو سفيان: معاذ الله.

فأجابه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): نحن على مدّتنا وصلحنا.

---

١ . تاريخ الطبري ٣ : ٤٢ والواقدي ٢ : ٧٦٥ والسيرة النبوية ٢ : ٣٨١.

٢ . محمد حسين هيكل: حياة محمد ٣٩٦.

٣ . تم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

لكنّ أبا سفيان لم يهدأ له بال ولم يقنع بل أراد أن يستوثق عهداً وأماناً جديداً من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فسعى لتوسيط مَن يؤثّر على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقابله الجميع بالرفض واللامبالاة.

فقفل راجعاً بالخيبة إلى مكّة وقد ضاقت الأمور على قوى الشرك حيث تبدلت الظروف، فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يطلب مكة فاتحاً، بعدّة تتزايد وإيمان يترسخ، وقريش تطلب الأمان والسلامة في دمائها وأموالها، بعد أن سنحت الفرصة بنقض الصلح.

وإنّ مكّة هي آخر خطوة مهمّة في تمام سيطرة الإسلام على الجزيرة العربية آنذاك.

من هنا أعلن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) النفير العام، وتوافدت عليه جموع المسلمين ملبّية نداءه فجهّز جيشاً قارب تعداده عشرة آلاف رجل. واجتهد في كتمان قصده، وهدفه إلاّ على الخاصة وكان(صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو الله قائلا: «اللّهم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها»[١].

ويبدو أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يودّ أن يتحقّق النصر المؤزّر سريعاً دون إراقة قطرة دم متخّذاً أسلوب المباغته. ولكن الخبر تسرّب إلى رجل كان قد ضعف أمام عواطفه فكتب إلى قريش كتاباً بذلك وبعثه مع امرأة توصله.

ونزل الوحي يخبرالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فأمر(صلى الله عليه وآله وسلم) علياً والزبير بأن يلحقا المرأة ويسترجعا الكتاب، وانتزع علي بن أبي طالب(عليه السلام) بقوة إيمانه برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الكتاب من المرأة[٢].

ولما استلم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الكتاب جمع المسلمين في المسجد ليثير ويحذّر من مسألة الخيانة ويؤكدّ ضرورة كبت العواطف مرضاةً لله. وقام المسلمون يدفعون حاطب بن أبي بلتعة صاحب الكتاب الذي حلف بالله أنّه لم يقصد الخيانة وانفعل عمربن الخطاب وطلب من رسول الله أن يقتله [٣].

وتحرّك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان ولما بلغ «الكديد» طلب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ماءاً فأفطر به أمام المسلمين وأمرهم أن يفطروا لكن

---

١ ـ السيرة النبوية ٣ : ٣٩٧، المغازلي ٢ : ٧٩٦.

٢ . السيرة النبوية ٢ : ٣٩٨.

٣ . إمتاع الأسماع ١ : ٣٦٣ ; المغازلى ٢ : ٧٩٨.

بعضاً منهم عصوا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)ولم يفطروا فغضب الرسول وقال: «أولئك العصاة» وأمرهم أن يفطروا[١].

ولمّا وصل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى «مرّ الظهران» أمر المسلمين أن ينتشروا في الصحراء ويوقد كل منهم ناراً. فأضاء الليل عن جيش عظيم تضيع أمامه كل قوى قريش ممّا أقلق العباس بن عبدالمطلب ـ آخر المهاجرين إذ التحق بركب رسول الله في منطقة الجحفة ـ وتحرك يبحث عن وسيلة يُبلغ بها قريشاً أن تأتي مسلمة قبل دخول الجيش عليها.

وفجأة سمع صوت أبي سفيان يحادث بديل بن ورقاء مستغرباً وجود هذه القوة الكبيرة على مشارف مكّة. وارتعد أبو سفيان خوفاً حين أخبره العباس بزحف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بجيشه لفتح مكّة،ولم يجد أبوسفيان بدّاً من اصطحاب العبّاس لأخذ الأمان من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

ولم يكن بوسع ينبوع العفو والأخلاق الكريمة أن يبخل بإجازة جوار عمّه لأبي سفيان فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «إذهب فقد أمناه حتى تغدو به عليّ».

ولما مثل أبو سفيان بين يدي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: «ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنّه لا إله إلاّ الله؟».

فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ماأحلمك، وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟

قال: بأبي أنت وأمي ماأحلمك وأكرمك وأوصلك، أما والله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً[٢].

وتدارك العباس الموقف ليضغط على أبي سفيان ليسلم وقال له: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله قبل أن يُضرب عنقك، فشهد أبو سفيان الشهادتين ودخل في عداد المسلمين.

كان إسلام أبي سفيان بمثابة إزالة لكل العقبات أمام إسلام البقية من زعماء الكفر من قريش، ولكن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إستتماماً للضغط النفسي على

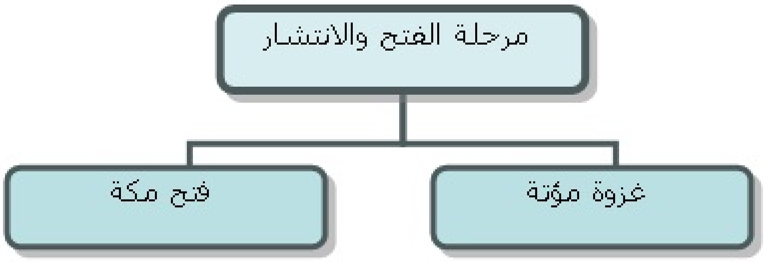
١ . وسائل الشيعة ٧ : ١٢٤، السيرة الحلبية ٣ : ٢٩٠، المغازلي ٢ : ٨٠٢.

٢ . السيرة النبوية ٢ : ٤٠، مجمع البيان ١٠ : ٥٥٤ ، المغازلي ٢ : ٨١٦ .

قريش كي تستسلم دون إراقة دماء قال للعباس: «ياعباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها».

ولإشاعة الاطمينان إلى رحمة الإسلام ورحمة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وإرضاءً لغرور أبي سفيان كي لايكابر قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن».

ومرّت جنود الله تعبر المضيق والعباس يعرّف الكتائب لأبي سفيان وهو مندهش فقال أبو سفيان: والله ياأبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فأجابه العباس: ياأبا سفيان إنّها النبوة، وتردد أبو سفيان في الجواب فقال: فنعم إذن. ثم انطلق أبو سفيان إلى مكّة يحذّر أهلها ويعلن أمان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).



دخول مكّة

أصدر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أوامره الحكيمة بتوزيع مداخل القوّات إلى مكّة مؤكداً عدم اللجوء إلى القتال إلاّ ردّاً عليه. وأهدر(صلى الله عليه وآله وسلم) دماء عدد من المشركين ولو وُجدوا متعلقين بأستار الكعبة، لعظيم جنايتهم ومعاداتهم للإسلام وللنبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

وما إن لاحت بيوتات مكّة حتّى اغرورقت عينا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالدموع، ودخلت قوّات الإسلام الظافرة مكّة من جهاتها الأربع ومظاهر العز والنصر تجللّها ودخل الفاتح العظيم الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) مكّة مطأطئاً رأسه شكراً لله على مامنحه من الفضل والنعمة إذ دانت له أمّ القرى، بعد طول جهد في سبيل إعلاء كلمة الله.

وبعد استراحة في قبّة من أدم نصبت له قرب قبر أبي طالب(عليه السلام) ـ إذ رفض أن يدخل دار أحد من أهالي مكة رغم كثرة عروضهم ـ اغتسل وركب راحلته وكبّر فكبّر المسلمون فدوّى الصوت في الجبال والوهاد ـ التي فرّ إليها بعض رؤوس الشرك خوفاً

ورعباً من الإسلام ـ وجعل يشير وهو يطوف في البيت إلى كل صنم موجود حوله ويقول: قل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً فيسقط الصنم لوجهه.

ولم يستطع علي بن أبي طالب(عليه السلام) أن يحمل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على كتفه لكسر الأصنام التي كانت فوق الكعبة، فصعد عليّ على كتف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وكسّر الأصنام.

ثم دعا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بمفاتيح الكعبة ففتحت ودخلها ومسح مافيها من صور.

ثم وقف على بابها يخطب الجموع المتكاثرة خطبة الفتح العظيم فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، إلا كل مأثرة أو فاصلة أكثر دم أو مال يدّعى فهو تحت قدمي هاتين، إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج.

ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «يامعشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب...» ثم تلا قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[١]يامعشر قريش ماترون أنّي فاعل بكم»؟.

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «إذهبوا فأنتم الطلقاء»[٢].

ثم ارتقى بلال سطح الكعبة ليؤذّن لصلاة الظهر فصلى المسلمون بإمامة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)في المسجد الحرام.

ووقف المشركون والحيرة تملكهم وخشيت الأنصار أن لايرجع معها الرسول الكريم حين رأوا تفاعل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع أهل مكّة ووقفوا تدور في مخيّلتهم الأسئلة والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)واقف يدعو الله وقد علم مايدور بينهم فالتفت إليهم قائلا: «معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم» معلناً بذلك أنّ المدينة ستبقى عاصمة الإسلام.

ثم أقبل الناس يبايعونه فبايعه الرجال ـ وتشفّع عدد من المسلمين لدى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ليعفو عمن أهدر دمه فعفا وصفح.

---

١ . الحجرات: ١٣.

٢ . بحار الأنوار ٢١ : ١٠٦، والسيرة النبوية ٢ : ٤١٢.

وجاءت النساء ليبايعن ـ فكانت المرأة تدخل يدها في قدح فيه ماء وضع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)يده الكريمة فيه ـ على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين النبي في معروف[١].

وغضب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حين عدت خزاعة(حليفة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)) على رجل من المشركين فقتلته وقام(صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً قائلا: «يأيها الناس إن الله حرّم مكّة يوم خلق السماوات والأرض فهي: حرام من حرام من حرام إلى يوم القيامة، لا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دماً أو يعضد فيها شجراً...».

ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولو إنّ الله قد أحلّها لرسوله ولم يحلها لكم يامعشر خزاعة».

وأكبرت قريش جميع مواقف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من مكّة وأهلها من عطف ورحمة وسماحة وعفو واحترام وتقديس فمالت قلوبهم إليه وأقبلوا على الإسلام آمنين مطمئنّين.

وأرسل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) سراياه إلى أطراف مكّة وما حولها لهدم ماتبقّى من الأصنام وأماكن عبادة المشركين فأخطأ خالد بن الوليد إذ قتل عدداً من قبيلة بني خزيمة بعد استسلامهم ثأراً لعمّه وغضب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حين علم بذلك وأمر علياً أن يأخذ أموالا ويدفع ديّة المقتولين ثم قام(صلى الله عليه وآله وسلم) واستقبل القبلة رافعاً يديه وهو يقول: «اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، وبذلك هدأت نفوس بني خزيمه[٢].

---

١ . نفس المصدر.

٢ . السيرة النبوية ٢ : ٤٢٠، الخصال : ٥٦٢ وأمالي الطوسي ٣١٨ و بحار الأنوار ٢١ : ٥٤ والمغازلي ٢ : ٧٦٦ والسيرة الحلبية ٣ : ٦٨ وبحار الأنوار ٢١ : ١١٣، والممتحنة، ١٢.

الخلاصة:

١. إنّ هيبة المسلمين ورهبة المشركين هي التي منعت من استمرار الفريقين في معركة مؤتة فقنع كلٌ منهما بالمناورة.

٢. وأدرك المسلمون من معركة مؤتة أنّ الجولة الحربية الحقيقية ستكون ضد الروّم وأعقب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) هذا التراجع بإرسال جيش لتشتيت جموع أهل الشام استرداداً لهيبة المسلمين.

٣. وكان نقض قريش لأحد بنود المعاهدة مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) سبباً لتوجه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بشكل سرّي وسريع نحو مكّة. وتمّ فتحها بغتة. وكان استسلام أهل مكّة عملا هائلا في تاريخ حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقد توقّف النشاط المعادي للإسلام من أخطر مركز باشر العداء للدين الجديد أكثر من عشرين عاماً.

٤. كما أنّه مهّد الطريق لاستسلام الجزيرة العربية كلها. وسمي العام الثامن الهجري بعام الفتح وأصبح المسلمون سادة مكّة وحماة البيت الحرام.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ١٨)

العهد المدنى _ مرحلة الفتح والانتشار (٣)

المقدمة:

الهدف الدراسي: تبيين مرحلة الفتح و الانتشار من العهد المدني (٣)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. متى كانت غزوة حنين و لماذا؟

٢. متى كان حصار الطائف و لماذا؟

٣. ماهي النتائج التي ترتبت على غزوة حنين و حصار الطائف؟

المحتوى العلمي :

دور التحرير وإحكام المواقع

غزوة حنين وحصار الطائف

كان فتح مكّة تعبيراً عن دخول راية التوحيد إليها وسقوط لواء الشرك من جديد وأمضى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة عشر يوماً في مكّة والأمان والسرور يعمّان المسلمين.

وترامت إلى أسماع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ قبيلتي هوازن وثقيف قد أعدّتا العدة لمحاربة الإسلام ظنّاً منهما أنّهما سوف يُحققّان ماعجزت عنه قوى الشرك والنفاق.

وعزم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على الخروج إليهم بعد أن وطّد دعائم الإدارة في مكّة كما هي سيرته عند كل فتح، فعيّن معاذ بن جبل ليعلّم الناس القرآن وأحكام الإسلام وعتاب بن أسيد للصلاة بالناس وإدارة شؤونهم.

وخرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بأثني عشر ألفاً من المسلمين، وهي قوة لم يشهد المسلمون مثلها ممّا أدّى بهم إلى الغرور حتى أنّ أبا بكر قال: لو لقينا بني شيبان لن نغلب اليوم من قلّة[١].

أمّا (هوازان) و(ثقيف) فقد تحالفتا وخرجتا بعدّة قوية تصحبهم نساؤهم وأطفالهم وكمنوا للمسلمين، وما إن دخلت طلائع الجيش الإسلامي أطراف الكمين حتى فرّت مجاميعهم فزعاً من أسلحة العدو الموجّهة نحوهم من أعالي الجبال.

ولم يثبت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلا تسعة أشخاص من بني هاشم عاشرهم أيمن (ابن أم أيمن).

سرّ المنافقون سروراً عظيماً حتى قال أبو سفيان: لاتنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال آخر:ألابطل السحر اليوم، وعزم آخر على قتل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك الوضع المضطرب[٢].

---

١ . الطبقات الكبرى ٢ : ١٥٠، المغازلي ٢ : ٨٨٩ .

٢ . السيرة النبوية ٢ : ٤٤٣، المغازلي ٣ : ٩٩.

وأمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عمّه العباس أن يصعد على صخرة وينادي فلول المهاجرين والأنصار المُدبِرة: ياأصحاب سورة البقرة، ياأهل بيعة الشجرة، إلى أين تفرّون؟ هذا رسول الله!

وعاد الوعي إلى الجموع الهاربة فعادوا يوفون بوعود النصرة والدفاع عن الإسلام والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

ولمّا رأى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حماسهم قال: الآن حمي الوطيس، أنا النبي لاكَذِب أنا ابن عبدالمطلب.

فأنزل الله السكينة على المسلمين وأيّدهم بالنصر فولّت جموع الكفر منهزمة تاركة وراءها ستة الآف أسير وغنائم كبيْرة جداً، وأمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن تحفظ الغنائم وتراعى أحوال الأسرى حتى تتم ملاحقة العدو الفارّ نحو منطقة أوطاس ونخلة والطائف.

ومن سموّ أخلاق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وعظيم عفوه وسعة رحمته حين عفى عن الذين فرّوا عنه وخذلوه.

غضب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حين علم أنّ بعض المسلمين يقتل ذرية المشركين فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «مابال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية، أَلا لاتقتل الذرية» فقال أسيد بن حضير: يارسول الله أليس هم أولاد المشركين؟! فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): أوليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها[1].

وواصلت قوّات المسلمين ملاحقتها للعدو حتى الطائف فحاصروهم بضعاً وعشرين يوماً يترامون بالنبل من خلف الجدران والبساتين، ثم عدل النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) عن الطائف لاعتبارات شتى.

وعند وصوله إلى الجعرانة (وهو محل جمع الأسرى والغنائم) قام إليه وفد هوازن يلتمسون العفو منه فقالوا: يارسول الله إنّما في الأسرى عمّاتك وخالاتك اللاتي كن يكفلنك (ـ لأنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد رضع في بني سعد وهم من هوازن ـ) ولو أنّا مالحنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منّا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين.

---

١. إمتاع الأسماع ١ : ٤٠٩.

فخيّرهم(صلى الله عليه وآله وسلم) بين الأسرى والمال فأختاروا الأسرى ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «أمّا ماكان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم».

واقتدى المسلمون جميعاً بالرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذوا يهبون له مالهم من نصيب[١].

وبحكمة بالغة ودراية عميقة بنفوس الناس وسعياً لهداية الجميع وإطفاءاً لنار الحرب منّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بعفوه على مثير هذه الحرب «مالك بن عوف» فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «أخبروا مالكاً أنّه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل». وما أسرع ماأسلم مالك، بعد هذا العفو.

وتدافع المسلمون على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يطلبون منه أن يقسّم الغنائم حتى ألجأوه إلى شجرة وأخذوا رداءه; فقال: «ردوا عليّ ردائي فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسّمته عليكم، ثم ماألفيتموني بخيلا ولا جباناً ولاكذّاباً».

ثم قام(صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذ وبرة من سنام بعيره فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها وقال: «أيّها الناس والله مالي في فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم».

ثم أمر أن يُردّ كل ماغنم حتى تكون القسمة عدلا.

وبدأ(صلى الله عليه وآله وسلم) بإعطاء المؤلفة قلوبهم كأبي سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام وغيرهم ممّن كان يحاربه بالأمس القريب من رؤوس الكفر ثمّ قسّم عليهم حقّه من الخمس.

وهذا الموقف أثار الحفيظة في نفوس بعض المسلمين حتى قال أحدهم للنبي: لم أرك عدلت. فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟[٢].

ورأى سعد بن عبادة أن يبلغ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بما كان يدور بين الأنصار من تصورّهم أنّ رسول الله قد لقي قومه ونسي أصحابه. فجمع سعد الأنصار وأقبل الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)يحدّثهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«يامعشر الأنصار مامقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموهما في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلاّلا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى! الله ورسوله

١ . سيد المرسلين ٢ : ٥٣ ، المغازي ٣ : ٩٤٩ ـ ٩٥٣.

٢ . السيرة النبوية ٢ : ٤٩٦، وراجع المغازلي ٣ : ٩٤٨.

آمَن وأفضل، قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ألا تجيبوني يامعشر الأنصار؟ قالوا: وماذا نجيبك يارسول الله؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): أما والله لوشئتم قلتم فصدقتم، أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك ومخذولا فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلا فآسيناك. وجدتم في أنفسكم يامعشر الأنصار في شيء من الدنيا تألّفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار».

وأثارت هذه الكلمات في قلوب الأنصار الشعور بالخطأ في تصوّرهم عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فضجّوا بالبكاء وقالوا: رضينا يارسول الله حظّاً وقسماً.

وخرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بمن معه من الجعرانة متّجهاً نحو مكّة في شهر ذي القعدة فأتمّ عمرته وحلّ من إحرامه واستخلف على مكّة عتّاب بن أسيد ومعه معاذ بن جبل وخرج متجهاً إلى المدينة بمن معه من المهاجرين والأنصار[١].

---

١ . السيرة النبوية ٢ : ٤٩٨، المغازلي ٣ : ٩٥٧.

الخلاصة:

١. أحدث فتح مكّة واستسلامها للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ردّ فعل عنيف لدى القبائل العربية كهوازن وثقيف وحاولت أن توجّه ضربتها للقوات الإسلامية. وأفلحت في أوّل الطريق، ولولا ايمان المسلمين ورجوعهم إلى دعوة رسولهم العظيم لاكتسحت هاتان القبيلتان قوّات المسلمين.

٢. وكانت غزوة حنين تجربة قيّمة للمسلمين لئلاّ يغترّوا بكثرة العدد فإن قدرة الإيمان هي التي تؤدّي إلى النصر دائماً.

٣. وحاصر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الطائف ثم تركها لما كان يراه من أنّها ستسعى للانتماء لدولة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر المطاف.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ١٩)

العهد المدنى _ مرحلة الفتح والانتشار (٣)

المقدمة:

الهدف الدراسي:

تبيين مرحلة الفتح و الانتشار من العهد المدني (۴)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ما هي أهم أحداث السنة التاسعة للهجرة؟
٢. لماذا كانت غزوة تبوك؟
٣. و ماذا كانت نتائجها؟

المحتوى العلمي :

غزوة تبوك

أصبحت الدولة الإسلامية كياناً يُهاب جانبه بعد فتح مكّة وكان على المسلمين الحفاظ على هذا الكيان حتى تبلغ دعوة الرسالة الإسلامية أرجاء الأرض، واستنفر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)المسلمين من جميع نقاط الدولة الإسلامية استعداداً لحرب الروم إذ وردت أخبار تؤكّد استعدادهم لغزو الجزيرة وضرب الرسالة الإسلامية ودولتها الفتية وصادف أن كان ذلك العام عام جدب وكان الوقت صيفاً حارّاً مما زاد من صعوبة الخروج لملاقاة عدوٍ قويّ متمرس كبير العدد والعدّة. فتقاعس بعض المسلمين وبدأت رموز النفاق تثبّط العزائم وتخذّل النفوس وتخلّف بعض عن الالتحاق بالجيش الإسلامي متعلليّن بعلل شتّى.

وبلغ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود يثّبطون الناس ويخوفّونهم من اللقاء فتعامل معهم بحزم وشدة فأرسل إليهم من يحرق عليهم دارهم ليكونوا عبرةً لغيرهم.

وقد أنزل الله في ذلك آيات تفضح المنافقين وتؤنّب المتقاعسين وتعذر الضعفاء.

وبلغ عدد جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل ـ على أقلّ تقدير ـ واستخلف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)علي بن أبي طالب في المدينة لما كان يعلم منه من حنكة وحسن تدبير وقوة يقين; وكان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يخشى من قيام المنافقين بعمل تخريبي في المدينة، وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «ياعلي إنّ المدينة لاتصلح إلاّ بي أو بك»[1] فإنّ حركة النفاق أخذت تنمو بعد اندحار المشركين. وتتابع آيات القرآن الكريم بالتحذير من خطط وأساليب المنافقين خير دليل على تنامي قدرة هذا العدو داخل أراضي الدولة الإسلامية بعد الفتح.

وأشاع المنافقون عن بقاء علي بن أبي طالب(عليه السلام) في المدينة أُموراً إذ قالوا: إنّما تركه رسول الله استثقالا له وتخففاً منه; سعياً منهم للإثارة وعسى أن يخلو جوّ المدينة لهم فأسرع عليٌّ(عليه السلام) فلحق بالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم

---

١ . الإرشاد للمفيد ١ : ١١٥،وأنساب الأشراف ١ : ٩٤ ـ ٩٥،وكنز العمّال: ١١، باب فضائل علي(عليه السلام).

على مقربة من المدينة وقال له: يانبي الله زعم المنافقون أنّك إنما خلّفتني أنك استثقلتني وتخفّفت مني.

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «كذبوا ولكنني خلّفتك لما تركت ورائي فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلاترضى ياعلي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟! إلاّ أنّه لا نبي بعدي»[١].

جيش العسرة

وانطلق جيش المسلمين في طريق وعر طويل بعد أن بيّن لهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) هدف المسيرة خلافاً لسيرته في الغزوات الماضية. وأخذ يتخلّف عنه في الطريق بعض ممّن خرجوا معه من المدينة فكان يقول(صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه دعوه فإن يكن به خير فسيلحقه الله بكم وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

وأسرع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) السير حين مرّ على أطلال قوم صالح(عليه السلام) وقال لأصحابه ـ وهو يعظهم: ـ «لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ماأصابهم»، ونهاهم عن استعمال الماء من هذه المنطقة[٢].

ونظراً للصعوبات التي أحاطت بهذه الغزوة في الماء والغذاء والنفقة والظهر (الخيل والإبل) فقد سمّي هذا الجيش بـ«جيش العسرة».

ولم يجد المسلمون جيش الروم; إذ كان قد تفرّق جمعهم، واستشار الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)أصحابه في ملاحقة العدو أو العودة إلى المدينة فقالوا:إن كنت أُمِرت بالسير فسِرْ. فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «ولو أُمرت به ماااستشرتكم فيه[٣]» فكان قرار العودة إلى المدينة.

واتصل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بزعماء المنطقة الشمالية للجزيرة وعقد معهم عدة معاهدات تتضمّن عدم التعرّض من الجانبين[٤].

---

١ . إمتاع الأسماع ١ : ٤٤٩.

٢ . السيرة النبوية ٢ : ٥٢١ ، السيرة الحلبية ٣ : ١٣٤.

٣ . المغازلي ٣ : ١٠١٩.

٤ . الطبقات الكبرى ٢ : ١٦٦، بحار الأنوار ٢١ : ٢٤٦.

محاولة اغتيال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)

واقفل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) راجعاً مع المسلمين إلى المدينة بعد أن أمضوا بضع عشرة يوماً في تبوك، وتحرّك المنافقون فعزموا على اغتيال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بتنفير ناقته عند مرورها ليطرحوه في واد كان هناك.

وحين وصل الجيش إلى عقبة (بين المدينة والشام) قال(صلى الله عليه وآله وسلم): من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم فأخذ الناس بطن الوادي وسلك هو طريق العقبة يقود ناقته عمار بن ياسر ويسوقها حذيفة بن اليمان، فرأى(صلى الله عليه وآله وسلم) في ضوء القمر فرساناً لحقوا به من ورائه في حركة مريبة فغضب(صلى الله عليه وآله وسلم) وصاح بهم وأمرحذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم; فتمالكهم الرعب وعرفوا بأنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد علم بما أضمرته نفوسهم من المؤامرة والاغتيال فأسرعوا تاركين العقبة ليخالطوا الناس.

وطلب حذيفة من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبعث إليهم فيقتلهم بعدما عرفهم من رواحلهم ولكن رسول الرحمة(صلى الله عليه وآله وسلم) عفا عنهم وأوكل أمرهم إلى الله تعالى[١].

نتائج غزوة تبوك

١ ـ لقد برز المسلمون كقوة كبيرة منظمة، تملك العقيدة القوية فتهابهم الدول المجاورة والديانات الاخرى فكان هذا إنذاراً حقيقياً لكل القوى في خارج البلاد الإسلامية وتحذيراً لها من التعرّض للمسلمين.

٢ ـ ضمن المسلمون عن طريق المعاهدات مع زعماء المناطق الحدودية (من جهة الشمال) أمن هذه المنطقة.

٣ ـ استطاع المسلمون أن يعبّئوا جيشاً كبيراً في العدة والعدد، وازدادت خبرتهم في التنظيم والإعداد، وكانت الرحلة إلى تبوك بمثابة استطلاع ميداني استفاد منه المسلمون في المراحل اللاحقة.

٤ ـ كانت غزوة تبوك اختباراً لمعنويات المسلمين وتمييزاً للمنافقين من المؤمنين.

---

١ . المغازلي ٣ : ١٠٤٢، مجمع البيان ٣ : ٤٦، بحار الأنوار ٢١ : ٢٤٧.

مسجد ضرار

تتبّع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) خطط المنافقين بيقظة كاملة وراح يضع لكل خطّة تخريبيّة حلاّ متناسباً معها.

وتحركت نوازع الحسد والحقد لدى مجموعة من المنافقين من جديد وبدعم من قوى ضالّة بنوا مسجداً مقابل مسجد (قباء) زاعمين أنّه لذوي العلة والحاجة والليلة المطيرة فأسرعوا إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يطلبون منه أن يصلّي فيه ليضفي عليه نوعاً من المقبولية فأخّر الاستجابة لهم إلى مابعد غزوة تبوك، فلمّا رجع من تبوك نزل الأمر الإلهي بالنهي عن الصلاة في هذا المسجد لأنّه كان يهدف إلى تشتيت كلمة المسلمين والإضرار بالأُمّة والعقيدة، وشتان بين بنيان أسّس على التقوى وآخر للضلالة والنار وأمر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)بعض أصحابه للإسراع في هدمه وإحراقه[١].

---

١ . السيرة النبوية ٢٠ : ٥٣٠ ، بحار الأنوار ٢٠ : ٢٥٣ و السيرة النبوية ٢ : ٤٢٠، الخصال: ٥٦٢ ، أمالي الطوسي: ٣١٨ و إمتاع الأسماع ١ : ٤٠٩.

الخلاصة:

١. أنّ رحلة تبوك كانت هي الأهمّ بعد وصول الأنباء باستعداد الروم لغزو المسلمين.

٢. وحقّق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بحركته الصعبة إلى تبوك انتصاراً على الجبهة النصرانية البيزنطية لايقلّ عن انتصاراته على الجبهتين الوثنية واليهودية وكسب عدداً من القبائل القاطنة في جنوب الشام ومثّلت غزوة تبوك خطوة لتخطّي نطاق العرب إلى العالم أجمع.

٣. وجاءت تجربة تبوك لتمحيص قوى الايمان من فلول المنافقين وأنجى الله نبيّه من اغتيال المنافقين وعفى عنهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر بحرق قاعدة من أهمّ قواعدهم التي شيّدوها تحت غطاء (المسجد).

٤. وهكذا انتهى العام الثامن وتسعة أشهر من العام التاسع والانتصارات تكلّل مساعي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٠)

العهد المدنى _ العام التاسع: عام الوفود وتصفية الوجود الوثنى داخل الجزيرة

المقدمة:

الهدف الدراسي: تبيين مرحلة الفتح و الانتشار من العهد المدني (٥)

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماهي حجة الوداع؟
٢. متى كانت؟
٣. ماالذي جرى فيها؟
٤. ما هي أهم الأمور التي نص عليها رسول الله في حجة الوداع؟

المحتوى العلمى :

العام التاسع: عام الوفود وتصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة

كان سقوط مكّة بأيدي المسلمين ثم هزيمة التحالف الوثني في حنين آخر ضربتين حاسمتين للوجود الوثني في الجزيرة، انهار بعدها جدار الكفر وانطلقت حركة الإسلام بسرعة إلى كلّ مكان. وأدركت القبائل العربية أن لامناص لها من تحديد موقفها من الإسلام ودولته المتفرّدة بالحكم والسلطان في الجزيرة كلّها...فراحت تتسابق هذه القبائل في إرسال وفودها الى قاعدة الإسلام ـ مدينة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ـ لمبايعته على الإسلام أو مصالحته.

ولكثرة هذه الوفود في العام التالي لفتح مكّة ومطلع الذي يليه سمّاه المؤرّخون (عام الوفود).

وكان في طليعة هذه الوفود وفد ثقيف الذي قدم المدينة في أعقاب عودة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)من غزوة تبوك.

رحب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بمقدم الوفد الثقفي وضربت لهم قبّة في ناحية المسجد النبوي وكلّف النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن سعيد ليقوم بالضيافة ثم بدأ الوفد يفاوض النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على الإسلام بشروط هي: أنّه يترك صنم القبيلة مدّة من الزمن وأبى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلا التوحيد الناصع الخالص لله وتنازل القوم شيئاً فشيئاً حتى وصل الأمر أن قبلوا الإسلام بشرط أن يعفيهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن كسر أصنامهم بأنفسهم وشرطوا أن يعفيهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من الصلاة فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): لاخير في دين لاصلاة فيه...فقبلوا الإسلام وبقي الوفد مع النبي مدّة من الزمن يتعلمون أحكام الدين. ثم كلف رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة أن يذهبا إلى الطائف لهدم الأصنام فيها[١].

---

١ . السيرة النبوية ٢ : ٥٣٧ ، السيرة الحلبية ٣ : ٢١٦.

وفاة إبراهيم ابن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)

وفي غمرة أفراح النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بنجاح الإسلام وانتشاره حيث الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وعك إبراهيم بعد أن دخل في عامه الثاني وجعلت أُمّه مارية تمرّضه ولم ينفع معه شيء فأُبلغ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) باحتضار ولده فأقبل وإبراهيم يجود بنفسه في حضن أُمّه فاخذه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: ياإبراهيم إنّا لن نغني عنك من الله شيئاً إنّا بك لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولانقول مايسخط الرّب ولولا أنّه وعدٌ صادق وموعود جامع فإن الآخر منّا يتبع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً ماوجدناه[١].

وبدت علامات الحزن واضحة على قسمات وجه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقيل له: يارسول الله أولست قد نهيتنا عن هذا. فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): ماعن الحزن نهيتُ ولكني نهيت عن خمش الوجوه وشق الجيوب ورنّة الشيطان[٢].

وروي أنّه قال: «إنّما هذا رحمة ومن لايَرحم لايُرحم»[٣].

ولعظيم منزلة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عندالله سبحانه وما أظهر من معجزات للعالمين حتى آمنوا به ظن بعض المسلمين أنّ كسوف الشمس في يوم وفاة إبراهيم إنّما هو من آيات الله لموته.

وما أسرع ماردّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الزعم خشية أن تتحول الخرافة إلى سُنّة ومعتقد يتخذها الجاهلون.

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايُكسفان لموت أحد ولا لحياته»[٤].

---

١ . السيرة الحلبية ٣ : ٣١١، بحار الأنوار ٢٢ : ١٥٧.
٢ . السيرة الحلبية ٣ : ٣١١.
٣ . بحار الانوار ٢٢ : ١٥١.
٤ . راجع تاريخ اليعقوبي ٢ : ٨٧ .

إعلان البراءة من المشركين

لم يبق في الجزيرة العربية قوّة تتمسك بالشرك والوثنية إلاّ أفراد لا يعتد بهم، وانتشرت العقيدة الإسلامية السمحاء بتفاصيلها التي كان يعتنقها المسلمون وكان لابدّ من إعلان صريح حازم يلغي كل مظاهر الشرك والوثنية في مناسك أكبر تجمّع عبادي سياسي.

وحان الوقت المناسب لتعلن الدولة الإسلامية شعاراتها في كلّ مكان وتنهي مرحلة المداراة وتأليف القلوب التي تطلبتها المرحلة السابقة.

واختار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يوم النحر (في منى)[١] مكاناً للإعلان واختار أبا بكر ليقرأ مطلع سورة التوبة[٢] الذي تضمن إعلان البراءة بصراحة وتضمنت هذه الآيات مايلي:

١ ـ لايدخل الجنة كافر.

٢ ـ لايطوف في البيت الحرام عُريان; إذ كانت تقاليد الجاهلية تسمح بذلك.

٣ ـ لايحجّ بعد هذا العام مشرك.

٤ ـ من كان بينه وبين رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فأجله إلى مدته، ومن لم يكن له عهد ومدة من المشركين فإلى أربعة أشهر وبعدها سوف يقتل من وُجِدَ مشركاً.

ونزل الوحي الإلهي على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قائلا: «إنّه لايؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك». فاستدعى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عليّاً وأمره أن يركب ناقته العضباء ويلحق بأبي بكر ويأخذ منه البلاغ ويؤدّيه للناس[٣].

ووقف علّي بين جموع الحجيج وهو يتلو البيان الإلهي بقوّة وجرأة تتناسق مع حزم القرار ووضوحه. ووقف الناس ينصتون إليه بحذر ودقّة...وكان أثر الإعلان على المشركين أن قدموا مسلمين على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

---

١ . العاشر من ذى الحجة عام (٩ هـ).

٢ . التوبة: ١ ـ ١٣.

٣ . كافى ١ : ٣٢٦، الارشاد: ص ٣٧، الواقدى ٣ : ١٠٧٧، خصائص النسائى: ص ٢٠، صحيح الترمذى ٢ : ١٨٣، مسند أحمد ٣ : ٢٨٣، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢ : ٣٤٣.

مباهلة نصارى نجران

واجتمع زعماء نصارى نجران وحكماؤهم يتدارسون أمر كتاب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يدعوهم فيه إلى الإسلام. ولم يتوصلوا إلى رأي قاطع فما في أيديهم من تعاليم تؤكّد وجود نبي بعد عيسى(عليه السلام)، وما يبدو من محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) فهو دالّ على نبوته. فأجمعوا أن يرسلوا وفداً يقابل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه ويحاوره.

واستقبل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الوفد الكبير وعلامات عدم الرضا بادية عليه من مظهرهم الذي كان يحمل طابع الوثنية فقد كانوا يرتدون الديباج والحرير ويلبسون الذهب ويحملون الصلبان في أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانية وقد بدّلوا مظهرهم فرحّب بهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأبدى احترامه لهم وفسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم[١].

ثم عرض عليهم الإسلام وتلا عليهم آيات من القرآن فامتنعوا وكثر الحِجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر من الله عزّ وجلّ واتفقوا على اليوم اللاحق موعداً.

وخرج إليهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل الحسين بن علي وبيده الحسن بن علي وخلفه فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب امتثالا لأمر الله حيث نزل قائلا: (**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**)[٢].

ولم يصحب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أحداً من المسلمين سوى أهل بيته هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فقال أسقف نجران: يامعشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني.

فأبوا أن يباهلوا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): أمّا إذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ماللمسلمين وعليكم ما على المسلمين، فأبوا.

---

١ . السيرة الحلبية ٣ : ٢١١، السيرة النبوية: ٥٧٤ .

٢ . آل عمران: ٦١.

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): إني أناجزكم القتال. فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لاتغزونا ولا تردّنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في كلّ عام ألفي حلّة، ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك. وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): والذي نفسي بيده أنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستئصل نجران و أهله ، حتّى الطّير على رؤوس الشّجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا فرجعوا إلى بلادهم[١].

وروي أنّ السيّد والعاقب من زعمائهم لم يلبثا إلاّ يسيراً حتى عادا إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ليعلنا إسلامهما[٢].

١ . التفسير الكبير (للرازى) ٨ : ٨٥ .

٢ . الطبقات الكبرى ١ : ٣٥١.

الخلاصة:

١. كان العام التاسع الهجري عام الوفود وعام تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة العربية من خلال الإعلان الرسمي بالبراءة من المشركين، الأمر الذي أدىّ بالمسلمين أن يخرجوا من حدود الجزيرة للدعوة إلى الإسلام الذي قوت فيه شوكة المسلمين بعد الانتصار العظيم الذي تحقّق بعد غزوة تبوك الظافرة.

٢. وبعد هذا الإعلان الرسمي أصبحت الجزيرة ذات دولة مركزية وسيادة سياسية تعتمد الإسلام نظاماً للحياة وأصبح الكفر والشرك شذوذاً وخروجاً على نظام الدولة الجديدة.

٣. وكانت دعوة القبائل النصرانية الى حظيرة الإسلام ثم دعوتها الى المباهلة وتراجعها أمام دعوة المباهلة دليلا كافياً لعظمة الإسلام وموجباً لرضوخها للقيادة الاسلامية وسبباً لقطع صلتها بدولة الروم النصرانية بعد إدخالهم في ذمة الدولة الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢١)

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

المقدمة:

الهدف الدراسي: حجة الوداع

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماهي حجة الوداع؟ و متى كانت؟

٢. ما الذي جرى في حجة الوداع؟

٣. ما هي أهم الأمور التي نص عليها رسول الله (ص) في حجة الوداع؟

المحتوى العلمي :

حجّة الوداع

كان الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) القدوة الحسنة للإنسانية جمعاء يبلّغ آيات الله ويفسّرها ويفصّل أحكامها ببيان جلي، وجماهير المسلمين حريصة على الاقتداء به وبحلول شهر ذي القعدة من العام العاشر للهجرة عزم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على أداء فريضة الحج ـ ولم يكن قد حجّ مع المسلمين من قبل ـ ولم تبلّغ جميع أحكام الحجّ فتقاطرت ألوف المسلمين على المدينة يتجهّزون للخروج مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بلغ عددهم مايقارب مائة ألف مسلم من مختلف الحواضر والبوادي والقبائل تجمعهم المودّة الصادقة والأُخوة الإسلامية والاستجابة للرسول القائد(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن كانوا بالأمس القريب أعداءاً متنافرين، جُهّالا كافرين. واصطحب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) معه كل نسائه وابنته الصدّيقة فاطمة الزهراء ولم يكن معه علي بن أبي طالب(عليه السلام) حيث كان قد بعثه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في مهمّة إلى اليمن واستعمل على المدينة أبا دجانة الأنصاري.

وعند ذي الحليفة أحرم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بلبس قطعتين من قماش أبيض ولبّى عند الإحرام قائلا: «لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لاشريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك لبيك».

وفي الرابع من شهر ذي الحجة الحرام شارف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مكّة وقطع التلبية، ثم دخل(صلى الله عليه وآله وسلم) المسجد الحرام وهو يكثر الثناء على الله ويحمده ويشكره فأستلم الحجر وطاف سبعاً وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيم ثم سعى بين الصفا والمروة والتفت إلى الحجيج قائلا: «من لم يسق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عُمرة، ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه».

على أنّ بعض المسلمين لم يستجب لأمر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فغضب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لموقف الناس وقال: «لو كنت استقبلت من أمري ماستدبرت لفعلت كما أمرتكم»[١].

---

١ . بحار الأنوار ٢١ : ٣١٩.

وأقفل علي بن أبي طالب(عليه السلام) راجعاً من اليمن نحو مكّة ليلتحق برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)واستخلف أحد أفراد سريته عليها. وسرّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بلقاء علي(عليه السلام) وما حقّقه من نجاح في اليمن وقال(صلى الله عليه وآله وسلم) له: انطلق فطف بالبيت وحِلّ كما حلّ أصحابك. فقال(عليه السلام): يارسول الله إنّي أهللت كما أهللت، ثم قال(عليه السلام): إنّي قلت حين أحرمت: اللهمّ إنّي أهلّ بما أهلّ به عبدك ونبيك ورسولك محمد(صلى الله عليه وآله وسلم). ثمّ أمره(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعود إلى سريّته ويصحبهم إلى مكّة، ولما قدموا على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) اشتكوا علياً(عليه السلام) لأنّه رفض تصرّفاً غير صحيح كانوا قد فعلوه في غيابه، فغضب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: «أيها الناس لاتشكوا علياً، فوالله إنّه لأخشن في ذات الله من أن يشتكى»[1].

وفي اليوم التاسع من ذي الحجّة توجّه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وجموع المسلمين نحو عرفات.

ومكث(صلى الله عليه وآله وسلم) في عرفات حتى غروب اليوم التاسع، ومع الظلام ركب ناقته وأفاض إلى المزدلفة وأمضى فيها شطراً من الليل ولم يزل واقفاً من الفجر إلى طلوع الشمس في المشعر الحرام. ثمّ توجّه في اليوم العاشر إلى «منى» وأدّى مناسكها من رمي الجمرات والنحر والتقصير ثمّ توّجه نحو مكّة لأداء بقية مناسك الحجّ.

وقد سمّي هذا الحجّ بـ «حجّة الوداع» لأنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) ودّع المسلمين في هذه الحجّة، كما سُمّيت بـ «حجّة البلاغ» لأنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) بلّغ فيها ماأُنزل إليه من ربّه في شأن الخلافة من بعده، ومنهم من سمّاها بـ «حجة الإسلام» لأنّها الحجّة الأولى للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والتي بيّن فيها أحكام مناسك الحج.

خطبة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في حجّة الوداع

وروي أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد خطب خطاباً جامعاً فقال ـ بعد أن حمدالله وأثنى عليه ـ :

---

١ . السيرة النبوية ٢ : ٦٠٣، بحار الأنوار ٢١ : ٣٨٥.

«أيّها الناس! اسمعوا منّي أُبين لكم، فإني لاأدري لعلّي لاألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيّها الناس! إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها وإنّ ربا الجاهلية موضوع، وإنّ أوّل رباً أبدأ به ربا عمّي العباس بن عبدالمطلب.

وإنّ دماء الجاهلية موضوعة، وإنّ أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب.

وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيّها الناس! إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنّه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ممّا تحتقرون من أعمالكم.

أيّها الناس! إنّما النسيء زيادة في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله. وإنّ الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدّة الشهور عندالله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

أيّها الناس! إنّ لنسائكم عليكم حقاً وإنّ لكم عليهن حقاً. لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلاّ بإذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهنّ بالمعروف، وإنّما النساء عندكم عوار لايملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيراً.

أيّها الناس! إنّما المؤمنون إخوة فلا يحلّ لامرىء مال أخيه إلاّ عن طيب نفس. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض; فإنّي تركت فيكم ماإن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعِترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيّها الناس! إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عندالله أتقاكم، ليس لعربي على عجميّ فضل إلاّ بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال(صلى الله عليه وآله وسلم): فليبلّغ الشاهد منكم الغائب[١].

أيّها الناس! إنّ الله قد قسم كل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادّعي إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا... والسلام عليكم ورحمة الله»[٢].

١ . بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٥.

٢ . العقد الفريد ٤ : ٥٧ ، الطبقات الكبرى ٢ : ١٨٤، الخصال: ص ٤٨٧، بحار الأنوار ٢١: ٤٠٥، وقد ورد النص في مصادر السيرة والتاريخ مع اختلاف بالزيادة والنقصان. كما أنّ بعض النصوص تذكر جواب الناس للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كما سألهم ألا هل بلّغت بقولهم نعم; للمزيد من التفصيل راجع موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني الجزء الأوّل; المائدة: ٦٧ .

الخلاصة:

كان العام العاشر عام حجّة الوداع أو حجّة البلاغ التي أتمّ فيها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الحجج البالغة على جميع المسلمين وجعلهم أمام مسؤولياتهم الربانية وأعدّهم للدور القادم بعد وفاته لحمل مشعل الإسلام في ربوع الأرض بقيادة المعصومين (ع) من أهل بيت الوحي و الرسالة علي بن أبيطالب و الأحد عشر من بنيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٢)

الرسول القائد ومستقبل الرسالة والدولة الإسلامية

المقدمة:

الهدف الدراسي: حجة الوداع

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

١. ماالذي حدث في الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة؟
٢. لماذا كانت حادثة غدير خم؟
٣. ما هي الأحداث التي أعقبت تعيين الوصي؟

المحتوى العلمى :

تعيين الوصي والقيادة النائبة

أتم المسلمون حجّهم الأكبر وهم يحفّون بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخذوا مناسكهم عنه، وقرّر(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعود إلى المدينة، ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم «رابغ» قرب «غدير خم» وقبل أن يتفرّق الحجيج إلى بلدانهم من هذه المنطقة نزل الوحي الإلهي بآية التبليغ قائلا: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ)[١].

إنّ هذا الخطاب الإلهيّ كان يأمر الرسول بأمر مهّم ويجعل على عاتقه مسؤولية عظيمة. فأيّ تبليغ طُلب من الرسول إنجازه وهو لم يقم به بعد؟ وقد أمضى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)مايقارب من ثلاثة وعشرين عاماً يبلّغ آيات الله وأحكامه ويدعو الناس إلى دين الله، وقد نال مانال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كي يقال له: «وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه».

وهنا أصدر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أوامره بأن تقف القوافل حتى يلحق آخرها بأوّلها في يوم شديد الحر كان يضطر المرء فيه أن يغطّي رأسه ويقي قدميه من شدة حرّ الرمضاء ليتلو عليهم أمر السماء ويكمل تبليغ الرسالة الخاتمة. إنّها الحكمة الإلهية بأن يتّم التبليغ في هذا المكان وفي هذا الظرف كي يبقى عالقاً في وجدان الأمّة حيّاً في ذاكرتها على مرّ الزمن حفاظاً على الرسالة والأمّة الإسلامية.

وجمعت الرحال وصعد عليها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن صلّى في جموع المسلمين فحمد الله وأثنى عليه وقال بصوت رفيع يسمعه كل من حضر:

«أيّها الناس! يوشك أن أُدعى فأجيب وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً. قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ جنّته حق وأنّ الساعة آتية لاريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك قال(صلى الله عليه وآله وسلم): اللهمّ أشهد.

---

١ . المائدة: ٦٧.

ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): فإنّي فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض وأنّ عرضه مابين صنعاء وبُصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى مناد: وما الثقلان يارسول الله؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لاتضلوا. والآخر الأصغر عترتي. وإن اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت ذلك لهما ربّي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب(عليه السلام) حتى رُئي بياض إبطيهما وعرفه الناس أجمعون. فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «أيها الناس! من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ـ يقولها ثلاث مرات ـ .

ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم) اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب».

ثم لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)[١] فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي بعدي».

ثم أمر(صلى الله عليه وآله وسلم) أن تنصب خيمة لعلي(عليه السلام) وأن يدخل عليه المسلمون فوجاً فوجاً ليسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ففعل الناس ذلك كلهم وأمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممّن معه أن يفعلن ذلك.

وكان في مقدمة المهنّئين أبو بكر وعمر بن الخطاب، كلٌّ يقول: بخ بخ لك ياابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٢].

تفرّقت جموع الحجيج من غدير خم نحو العراق والشام واليمن، ويممّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بأصحابه صوب المدينة. وحمل الجميع وصية الرسول(صلى الله عليه

---

١ . المائدة: ٣.

٢ . راجع تاريخ اليعقوبي ٣ : ١١٢، ومسند أحمد ٤ : ٢٨١، البداية والنهاية ٥ : ٢١٣، وموسوعة الغدير ١ : ٤٣، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٢، والجزء ١١ : ١٣١.

وآله وسلم) بالقيادة النائبة لتستمرّ حركة الرسالة الإسلامية بنهج تتعمق في النفوس وتجتاز العقبات بعد أن يرحل عنها صاحب الرسالة(صلى الله عليه وآله وسلم) ويكون قد عيّن لصيانة رسالته وقيادة أُمّته شخصاً نموذجياً في حمل هموم الرسالة والحرص على نجاحها لاتأخذه في الله لومّة لائم ولم يشرك بالله طرفة عين.

ظهور المتنبئين

بعد أن انبسط سلطان الدين الإلهي في ربوع الجزيرة وما والاها، وانحازت القبائل جميعاً إلى دولة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لما رأوه من العزة والاستقلال الذي اكتسبوه في ظلال دولته المباركة ولما لاحظوه من حرصه على أن يكون خليفة في أُمته ودولته والقائم على شؤون رسالته من اعتبره القرآن الكريم نفس الرسول العظيم[1].

فمن الطبيعي جدّاً للنفوس السليمة بفطرتها أن تخلص الولاء لهذا الرسول ودولته الفتيّة.

ولم يعد ذا بال أن يتمردّ بعض العرب ويرتدّ عن ولائه السياسي بل العقيدي وهو يرى النبيّ سلطاناً وحاكماً متنفّذاً ليس إلاّ، كما كان أبو سفيان يرى النبيّ كذلك.

غير أنّ الاذكياء من هؤلاء كانوا يرون صلاحهم في الخضوع لهذا الكيان الجديد وكانوا يخطّطون للنفوذ إلى مراكز القوة في الدولة الجديدة، والأغبياء منهم بدأوا التمردّ على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) طالبين منه أن يقسّم سلطانه.

إنّ الطمع في الشرف الذي نالته قريش يوم أصبح منها محمّد نبياً ـ كما ظنّ الجاهلون ـ كان ممّا دفع البعض لأن يدّعي النبوة، فهذا مسيلمة يكتب للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ويدّعي النبوة ليشارك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في سلطان الأرض، ولمّا وقف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على مضمون الرسالة إلتفت إلى من حملها إليه وقال: «لولا أنّ الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما لأنّكما أسلمتما من قبل وقبلتما برسالتي فلِمَ اتّبعتما هذا الأحمق وتركتما دينكما؟».

---

١ . راجع آية المباهلة وقصّتها في الدرس رقم ١٩.

ثم ردّ على مسيلمة الكذّاب برسالة بعثها إليه: جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب. السلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[١].

---

١ . السيرة النبوية ٢ : ٦٠٠ .

الخلاصة:

١. لقد تغافل بعض المؤرخين عن أهمّ قضيّة حدثت في أواخر حياة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وحاول البعض تأويل ماأشارت إليه آية التبليغ وأية إكمال الدين وإتمام النعمة...جرياً مع السياسة التي تحكَّمت في شؤون المسلمين بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

٢. ولعلّ خضوع الصحابة واستسلامهم للأمر الواقع لئلاّ تتمزّق الدولة الإسلامية هو الذي جعل البعض يعتقد بشرعية الحكم القائم بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وبحكم هذه الشرعية غض الطرف عن حقائق التاريخ أو جواز تحريف الحقائق بما يتناسب مع ماحدث بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

٣. إنّ هذا الصراع بين التيارات المختلفة على الخلافة لايبعد أن يكون هو العامل لجرأة المتنبئين وزعمهم النبوّة تشبّهاً برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تفلح خطوات الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)للحيلولة دون التمردّ السياسي الذي كان يتوقعه حين نزلت عليه آية التبليغ. ولكنّ الله قد عصمه من الناس واختبر أمّته أشدّ اختبار في التاريخ، ووعده النصر على الدين كله ولو كره المشركون.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٣)

بداية السنة الحادية عشرة

المقدمة:

الهدف الدراسي: غزو الروم

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

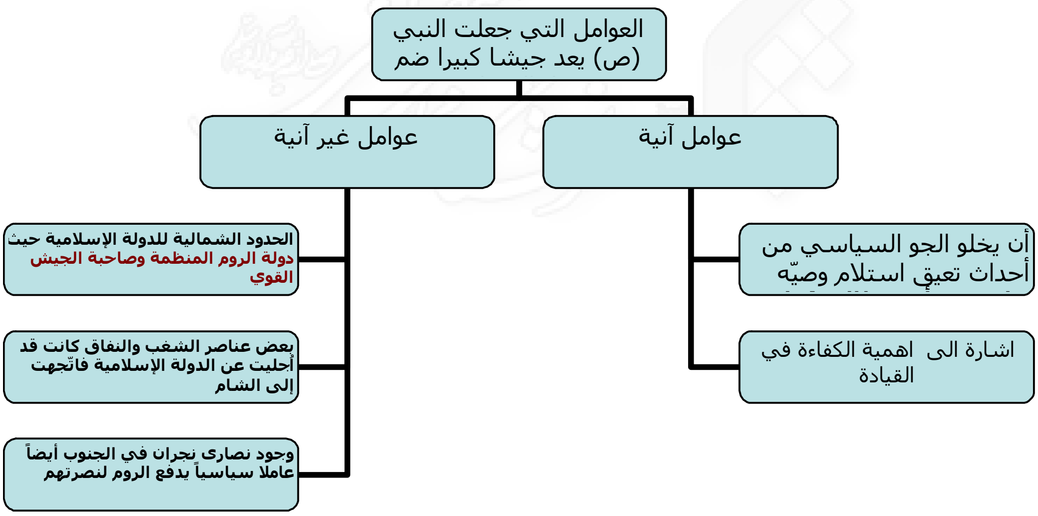
١. لماذا قام النبي (ص) بالتعبئة العامة لغزو الروم بعد تعيين الوصي؟
٢. لماذا حاول النبي (ص) أن يوصي في أمر الخلافة بعد تبليغه الأمر بعد حجة الوداع؟
٣. لماذا حال بعض الصحابة بين النبي (ص) و بين كتابة الوصية؟
٤. ماذا جري على رسول الله في اللحظات الأخيرة و كيف رحل إلى ربه؟

المحتوى العلمي :

التعبئة العامّة لغزو الروم[١]

أبدى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) اهتماماً كبيراً للحدود الشمالية للدولة الإسلامية حيث دولة الروم المنظمة وصاحبة الجيش القوي وأمّا فارس فلم تكن ذات أثر مُقلق; لأنّ علامات الانهيار كانت قد بدت عليها، كما أنّها لم تكن تمتلك عقيدة روحية تدافع عنها كالمسيحية لدى الروم.

على أنّ بعض عناصر الشغب والنفاق كانت قد أُجليت عن الدولة الإسلامية فاتّجهت إلى الشام وكان وجود نصارى نجران في الجنوب أيضاً عاملا سياسياً يدفع الروم لنصرتهم.



وكل هذه لم تكن عوامل آنيّة عاجلة تستدعي الاهتمام الكبير الذي ظهر واضحاً من إعدادالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لجيش كبير يضم وجوه كبارالصحابة ماخلا عليّاً(عليه السلام) وبعض المخلصين معه.

من هنا يظهر أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يريد أن يخلو الجو السياسي من أحداث تعيق استلام وصيّه علي بن أبي طالب(عليه السلام) زمام السلطة من

---

١ . عقد(صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء لأسامة في صفر عام (١١ هـ).

بعده، بعد أن لمس أنّ تحسّساً وانزعاجاً من بعض الأطراف لتأكيده المستمر على مرجعيّة علي(عليه السلام) لإتمام مسيرة الرسالة الإسلامية، ليست بيعة الغدير ببعيدة عنه فأراد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن تخلو المدينة من أيّ توتّر سياسي ليتم لعلي(عليه السلام) ماخططّ من استلام مقاليد الخلافة من بعده ولهذا عقد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لواء المسلمين وسلّمه إلى أُسامة بن زيد القائد الشاب الذي نصبه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)بمغزى واضح وإشارة بليغة إلى أهمية الكفاءة في القيادة وجعل تحت إمرته شيوخ الأنصار والمهاجرين.

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم) له: «سِر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد ولّيتك هذا الجيش فاغز صباحاً وشنّ الغارة على أهل أُبنى».

ولكنّ روح التمرد وقلّة الانضباط التي كانت تبدر من بعض المسلمين أخذت تعترض على التسليم لأمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ولعلّها كانت جاهلة بالأهداف والمصالح العليا للإسلام والتي قد عناها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المعصوم المسدّد من قبل الله سبحانه، فقد كانت حركة الجيش الذي كان قد عسكر في «الجرف».

وبلغ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك فغضب وخرج وهو يلتحف قطيفة، وقد عصَّبَ جبهته بعصابة من ألم الحمّى التي أصابته فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد أيّها الناس! فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أُسامة فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله كان للإمارة خليقاً وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإنهما لمخيلان لكل خير[١]، واستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم[٢].

واشتدت الحمّى برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يشغله ثقل المرض عن الاهتمام الكبير منه لخروج الجيش فكان يقول: «أنفذوا جيش أُسامة»[٣] لكل من يعوده من أصحابه ويزيد إصراراً بقوله: «جهزوا جيش أُسامة لعن الله من تخلف عنه»[٤]. وأوصل

---

١ . بمعنى أنّهما ممن يتفرّس فيهما كل خير. والخوليّ: هو الراعي الحسن القيام على المال. راجع المنجد مادة خلل.

٢ . الطبقات الكبرى ٢ : ١٣٦، طبعة ليدن.

٣ . الطبقات الكبرى ٢ : ١٣٧ طبعة ليدن.

٤ . الملل والنحل ١ : ٢٣.

بعض المسلمين أنباء تردّي صحّة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى معسكر المسلمين في الجرف فرجع أُسامة يعود النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فحثّه على المضيّ نحو هدفه الذي رسمه له قائلا له: أُغدُ على بركة الله.
فعاد أُسامة مسرعاً لجيشه يحثّه على الخروج ولكن المتقاعسين وذوي الأطماع في الخلافة تمكّنوا من عرقلة مسيرة الجيش زاعمين أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يحتضر، بالرغم من إصرار الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) على التعجيل في المسير وعدم التخلّف عنه.

الوصية الأخيرة و الحيلولة دون كتابتها

ورغم ثقل الحمّى وألم المرض خرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مستنداً على علي(عليه السلام) والفضل ابن العباس ليصلّي بالناس وليقطع بذلك الطريق على الوصوليين كي لا يتخّذوها حجّة ويقتنصوا الزعامة التي طمحوا لها من قبل وقد عصوا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وتخلّفوا عن أمره بالخروج مع جيش أُسامة.
وحين أتمّ الصلاة التفت إلى الناس قائلا: «أيها الناس! سُعّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإنّي والله ماتمسكون عليّ بشيء، إني لم أحلّ إلا ماأحلّ الله، ولم أُحرّم إلا ماحرّم الله»[١].
فأطلق بقوله هذا تحذيراً آخر أن لايعصوه وإن لاحت في الأفق نواياهم السيّئة التي ستجلب الويلات للأمّة إذ يتزعّمها جهّالها.
واشتدّ المرض على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) واجتمع الصحابة في داره ولحق بهم من تخلّف عن جيش أُسامة فلامهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) واعتذروا بأعذار واهية. وحاول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعرقل المؤامرة السياسية التي كان يتوقعها من بعد وفاته فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) للحاضرين عنده: ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده.
فقال عمربن الخطاب: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع[٢] وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله.
ووقع التنازع والاختلاف وقالت النسوة من وراء الحجاب: إئتوا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)بحاجته. فقال عمر: اسكتن فإنّكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتنّ

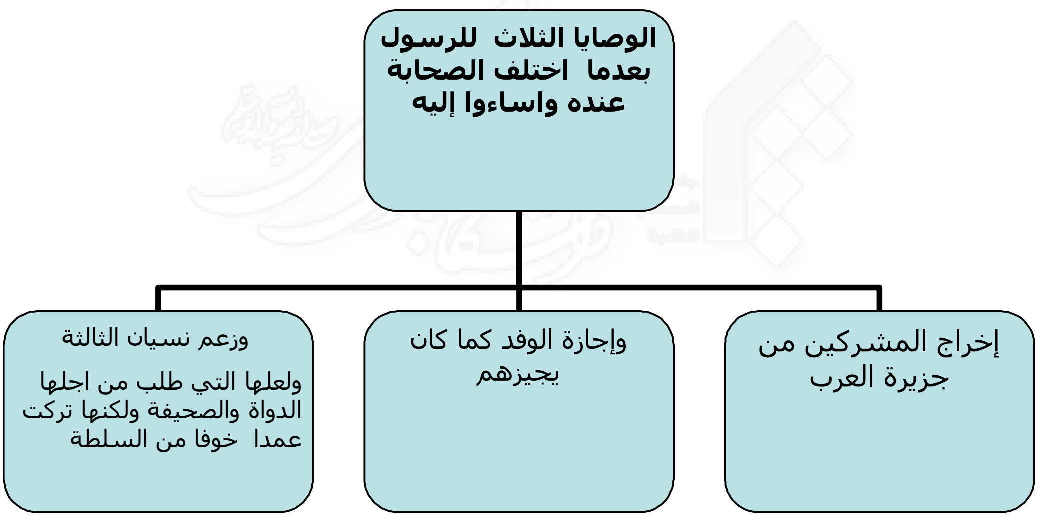
---

١ . السيرة النبوية ٢ : ٦٥٤ ، الطبقات الكبرى ٢ : ٢١٥.
٢ . صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم وكتاب الجهاد باب جوائز الوفد.

أعينكن وإذا صحّ أخذتنّ بعنقه، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): هنّ خير منكم[١]. ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): قوموا عنّي لاينبغي عندي التنازع.

وكم كانت الأمّة بحاجة ماسّة لكتاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) هذا حتى أنّ ابن عباس كان يأسف كلمّا يذكر ذلك ويقول: الرزية كلّ الرزية ماحال بيننا وبين كتاب رسول الله[٢].

ولم يصرّ نبي الرحمة على الكتاب بعد اختلافهم عنده خوفاً من تماديهم في الإساءة ونكرانهم لما هو أكبر، فقد علم(صلى الله عليه وآله وسلم) بما في نفوسهم، وحين راجعوه ثانية بشأن الكتاب قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «أَبَعْدَ الذي قلتم[٣]؟!» وأوصاهم ثلاث وصايا...تذكر كتب التاريخ اثنتين منها وهما: إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد كما كان يجيزهم وتزعم نسيان الثالثة.



وعلّق السيد محسن الأمين على ذلك قائلا: والمتأمل لايكاد يشكّ في أنّ الثالثة سكت عنها المحدّثون عمداً لا نسياناً وأنّ السياسة اضطرتهم إلى السكوت عنها عمداً وتناسيها وأنّها هي التي طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم[٤].

الزهراء(عليها السلام) تزور أباها(صلى الله عليه وآله وسلم)

---

١ . الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٤، كنز العمال ٣ : ١٣٨.

٢ . صحيح البخاري كتاب العلم ١ : ٢٢ و ٢ : ١٤، الملل والنحل ١ : ٢٢، الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٤.

٣ . بحار الانوار ٢٢ : ٤٦٩.

٤ . أعيان الشيعة ١ : ٢٩٤.

وأقبلت الزهراء(عليها السلام) وهي تجرّ أذيالها بحزن وتتطلع إلى أبيها وهو يوشك أن يلتحق بربّه فجلست عنده منكسرة القلب دامعة العين مختنقةً بعبرتها وهي تردّد:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمالَ اليتامى عصمة للأرامل

وفي هذه اللحظات فتح النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه من إغمائه وقال بصوت خافت: يابنيّة! هذا قول عمّك أبي طالب لاتقوليه ولكن قولي: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)[١].

وأشار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حبيبته الزهراء(عليها السلام) أن تدنو منه ليحدّثها فانحنت عليه فسارّها بشيء فبكت ثم سارّها ثانية فضحكت. ممّا أثار فضول الحضور وسألوها عن سرّ ذلك فقال(عليها السلام): ماكنت لأُفشي سرّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

وسئلت الزهراء بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك ثانية فقالت: أخبرني رسول الله(عليه السلام) أنّه قد حضر أجله وأنّه يقبض في وجعه هذا،فبكيت ثم أخبرني أنّي أولّ أهله لحوقاً به فضحكتُ[٢].

اللحظات الأخيرة من عمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)

وكان علي(عليه السلام) يلازم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كظلّه حتى آخر لحظات حياته الشريفة وهو يوصيه ويعلّمه ويضع سرّه عنده.

نعم في الساعة الأخيرة قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي أخي ـ وكان(صلى الله عليه وآله وسلم) قد بعثه في حاجة فجاءه بعض المسلمين فلم يعبأ بهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جاء علي(عليه السلام)فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) له: اُدن مني. فدنا علي(عليه السلام) فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه حتّى بدت عليه(صلى الله عليه وآله وسلم) علامات الاحتضار[٣]، وتوفّي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في حجر علي(عليه السلام)..كما قد صرّح بذلك علي(عليه السلام) نفسه في إحدى خطبه[٤] الشهيرة.

---

١ . آل عمران: ١٤٤.

٢ . الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٧، الكامل في التاريخ ٢ : ٢١٩.

٣ . الطبقات الكبرى ٢ : ٢٦٣.

٤ . نهج البلاغة: خطبة ١٩٧.

الخلاصة:

١. تطلبت الحدود الشمالية للدولة الإسلامية التي كانت تهدد من قبل دولة الروم القوية إعداد جيش كبير من قبل النبي (ص) يضم وجوه كبار الصحابة. إضافة إلى اقتضاء الجو السياسي خلوه من أحداث تعيق استلام الوصية من قبل أمير المؤمنين (ع) حيث أن النبي (ص) أحس انزعاجا من قبل بعض الأطراف. و سلم قيادة الجيش لأسامة بن زيد و لكن روح التمرد من بعض المسلمين تشبثت بكون القائد شابا لتعترض على أمر النبي (ص) و غضب النبي (ص) و لامهم على ذلك و لعن من تخلف عن جيش أسامة و اشتدت الحمى برسول الله (ص) و سبب ذلك رجوع أسامة و عيادته للنبي (ص) فحثه (ص) على المضي فعاد أسامة يحث الجيش مع وجود تمكن ذوي الأطماع من عرقلة مسيرة الجيش زاعمين احتضار النبي (ص).

٢. اشتدت الحمى و الألم على النبي (ص) و اجتمع الصحابة و من تخلف عن جيش أسامة فلام النبي (ص) من تخلف و سعى أن يعرقل المؤامرة التي كان يتوقعها من بعد وفاته فقال ايتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتابا لاتضلون بعده. ولكن عمر حال دون ذلك بحجة أن رسول الله (ص) قد غلبه الوجع و حسبنا كتاب الله.

٣. و قد حضرت الزهراء (س) عند وفاة أبيها و أخبرت بما أخبرها رسول الله بأنه قد حضر أجله و هي أول من تلحق به. و طلب النبي (ص) حضور علي (ع) بعد ما بعثه في حاجة و استند النبي (ص) إليه إلى أن توفى في حجره.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ۲۴)

دولة سيد المرسلين(ص)

المقدمة:

الهدف الدراسي: نشوء دولة سيد المرسلين.

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

أ. ما هي الأسس التي تكونت على أساسها دولة الرسول (ص)؟

ب. ما هي الخطوات العملية التي مارسها الرسول (ص) لتأسيس دولته؟

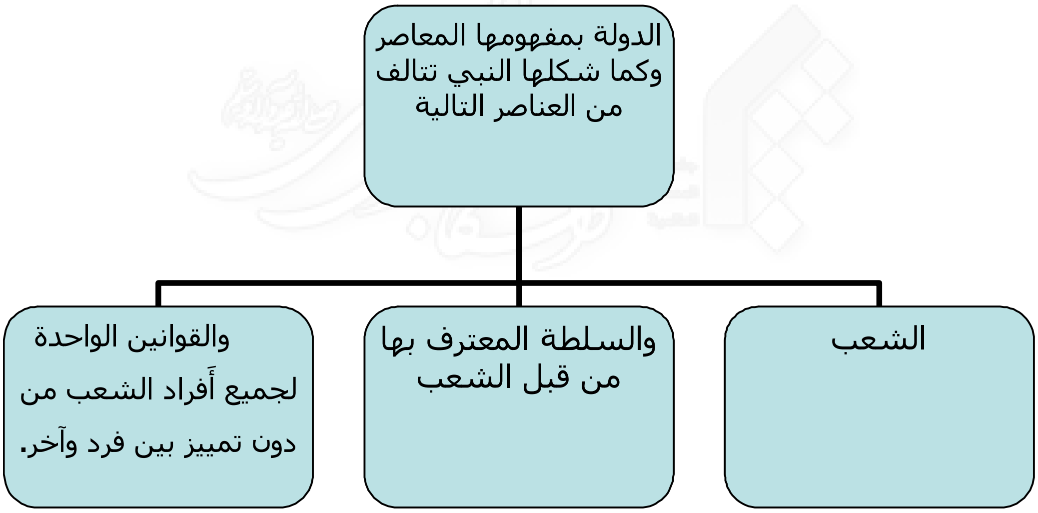
ت. ما هي المظاهر الدالة على ظهور دولة إسلامية بالمصطلح المعاصر على يدي الرسول العظيم (ص)؟؟

المحتوى العلمي :

دولة سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله وسلم)

قامت الدولة الإِسلامية الأُولى بقيادة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أَن استكملت عناصر تكوين الدولة في أحدث مفاهيمها المعاصرة، وهي:

الشعب، والسلطة المعترف بها من قبل الشعب، والقوانين الواحدة لجميع أَفراد الشعب من دون تمييز بين فرد وآخر.



لقد تكوّنت النواة الأُولى للدولة الإِسلامية ـ على المستوى العملي التطبيقي ـ عند إِنجاز بيعة العقبة الثانية بين النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ووفد(الأَوس) و(الخزرج) إلى موسم الحج في(مكّة). وقد تمت هذه البيعة قبل أَشهر من هجرة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة بعد هجرة المسلمين المكيّين تدريجاً إليها قبل ذلك. وقد كان مضمون هذه البيعة تعاقداً على تأسيس سلطة سياسية بما لهذه الكلمة من معنى مألوف، تحكم مجتمعاً سياسياً ملتزماً. وقد لاحظ النبي(صلى الله عليه وآله

وسلم)، وممثّلو أهل(يثرب) أَنَّ هذا المجتمع وحكومته سيدخلان في عداوات سياسية وحروب مع قريش وغيرها بسبب المضمون العقائدي لهذا المجتمع[١].

وقد أقامت هذه السلطة السياسية على أَساس الإِسلام نظاماً للحياة، وللمجتمع. وقد كانت بيعة العقبة الأولى قبل ذلك بعام قد تضمّنت إِسلام المبايعين من أَهل (يثرب)، والتزامهم بنشر الإِسلام بين أَهلها.

فكأنّ (بيعة العقبة الأُولى) تمثل الأَساس الأيديولوجي ـ العقائدي للبيعة الثانية، والمدخل إلى تكوين قاعدة أَوليّة للإِسلام في (يثرب) تولى مبعوث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) (مصعب بن عمير) مع المبايعين إِعدادها، ومثلت (بيعة العقبة الثانية) التعبير السياسي ـ التنظيمي لهذا المضمون.

وبالبيعة وما ترتب عليها من قرار بالهجرة إلى المدينة، وهجرة المسلمين المكيين إليها، ولد المجتمع السياسي الإِسلامي على أَساس عقائدي هو الإِسلام، بما يقتضيه ذلك من التزام بالدعوة إليه، والدفاع عنه، وعن قيمه التي يجسدها المنتمون إليه في المجتمع الجديد.

وقد ولد هذا المجتمع من اللحظة الأُولى خارج حدود العرف الجاهلي، فقد حلّت المصالحة بين القبائل اليثربيّة المتحاربة.

وعبّر القرآن عن هذا الواقع الجديد بين هذه القبائل بتسمية تعبّر عن المضمون العقيدي لها الذي حلَّ محل المضمون القبلي،وهي (الأَنصار)[٢]،أَنصار الإِسلام، أَو أَنصار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). وقد اندمجت هذه القبائل ـ بما تحمله من مضمون عقيدي جديد وعلى أَساس هذا المضمون ـ بالمسلمين المكيين الذين يحملون المضمون نفسه، وأَعطاها القرآن إِسماً عقيدياً مشتقاً من مضمونهم العقيدي بدل انتماءاتهم القبلية هو: (المهاجرون)[٣].

لقد اندمج الجميع في تكوين عقيدي ـ سياسي ـ مجتمعي واحد مختلف تماماً عن تحالفات الجاهلية. وإِنْ كان هذا الاندماج بين هذه المجموعات في المشروع الإِسلامي لم يلغ التنوع القبلي، ولم يتم على حسابه، فقد بقيت التنوعات القبلية

---

١ . السيرة النبوية، لإبن هشام ٢ : ٥٢.

٢ و ٣ . سورة التوبة / مدنية: ٩ / الآيتان: ١٠١ و ١١٨ ـ وسورة النور / مدنية: ٢٤ / الآية: ٣٢. وسورة الأحزاب / مدنية: ٣٣ / الآية: ٦. وسورة الحشر / مدنية: ٥٩ / الآية: ٨ . وسورة الممتحنة / مدنية: ٦٠ / الآية: ١٠.

سائدة ومرعية، ولكن دون أَنْ تشكل الزعامات القبلية مرجعاً، ودون أَنْ يكون عرفها شريعة. لقد تحدَّد المرجع بالنبي، وتحددت الشريعة بالإِسلام. ولعل هذا كان أَوّل تطبيق لمبدأ «التعارف ـ التعاون على البر والتقوى» الذي اعتبره الإِسلام أَسَاسَاً في الاجتماع البشري.

وقد شكَّل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أَدوات هذه السلطة الجديدة في هذه المرحلة من تشكيل الدولة بنصب النقباء الإِثني عشر (ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج) على الأَوس والخزرج. وقد تَّم اختيارهم من قبل مجموعة (الأَوس) و(الخزرج) أَنفسهم في (العقبة الثانية)،ولم يفرضهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع قدرته على ذلك،واستعداد القبيلتين لقبول ذلك منه(صلى الله عليه وآله وسلم). ولعل هذا أَوّل مظهر من مظاهر تطبيق مبدأ الشورى الإِسلامي في القيادة والحكومة.

وقد انضمَّ هؤلاء النقباء إلى المبعوث الذي وجّهه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة منذ (بيعة العقبة الأُلى)، وهو (مصعب بن عمير بن هاشم). وقد شكّلوا جميعاً نواة السلطة الجديدة في المدينة، قبيل هجرة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إليها.

ولدت الدولة الإِسلامية والحكومة الإِسلامية بوصول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة، حيث باشر على الفور مهمّات القيادة والحكم السياسي إلى جانب مهمّات الرسالة والنبوة، وهي التبليغ والإِرشاد، وعلى أَساس كونه نبيّاً رسولا بالإِسلام.

فكان من أَوّل الأَعمال التي قام بها(صلى الله عليه وآله وسلم) على المستوى التنظيمي العام، المؤاخاة بين المهاجرين والأَنصار[١] التي كان لها إلى جانب مضمونها الأَخلاقي مضمون حقوقي اقتصادي هو التوارث بين المتآخين دون النسب والرحم. وقد نسخ هذا المضمون فيما بعد، وبقي المضمون الايماني الذي يشتمل على البعد الأَخلاقي، والعاطفي.

و أيضاً نظَّم(صلى الله عليه وآله وسلم) العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة باعتبارهم يشكّلون جميعاً مجتمعاً سياسياً واحداً متنوعاً في انتمائه الديني ـ وهذه أَوّل تجربة سياسية في التاريخ من هذا النوع[٢].

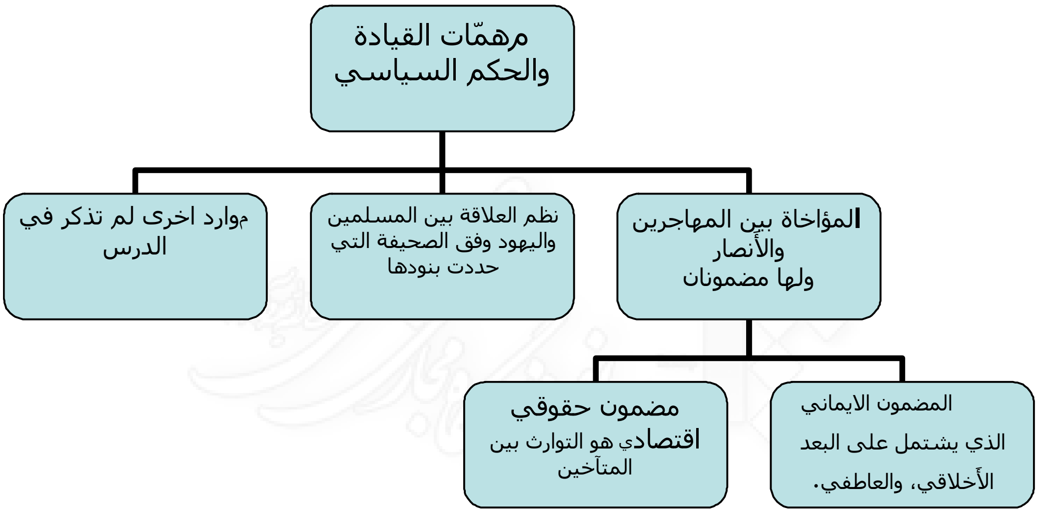
---

١ . السيرة النبوية، لإبن هشام ٢ : ٥٠٤ ـ ٥٠٧ ، وابن سعد، الطبقات الكبرى ١ : ٢٣٢، وتفسير الطبري ٦ : ٣٠ ـ ٤٠.

٢ . السيرة النبوية، لإبن هشام ٢ : ١١٩ ـ ١٢٣.

فوضع الصحيفة التي حدّدت بنودها العلاقات بين الطرفين، وحدّدت فيها الحقوق والواجبات لكلّ منهما، وعلى كلّ منهما تجاه الآخر، ونصّت بوضوح على أَنَّ الحاكمية العليا هي للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

ومضى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يصنع المجتمع والدولة على عين الله تعالى، وعلى هدي الوحي. ولم يمض وقت طويل حتى تكامل البناء التنظيمي للمجتمع حسب المرحلة وحاجاتها، وتوزّعت المهمّات فيه تحت سلطة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) باعتباره القائد والحاكم الأَعلى.



الخلاصة:

١. كل الأَنشطة السياسية الداخلية، والخارجية، والعسكرية، والقضائية، والتعليمية، والمالية، والاقتصادية، والاجتماعية، مارسها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه باعتباره قائداً وحاكماً على أَساس الشريعة الإِسلامية، وبسلطة مستمدّة من كونه نبيّاً رسولا، كما أَعطى ـ بصفته هذه ـ سلطة القيام ببعض هذه المسؤوليات لأَشخاص آخرين باعتبارهم نوّاباً عنه، ووكلاء له، وممثلين ومعاونين له، في القيام بمسؤوليات الحكم.

٢. وبهذه الأَنشطة أَنشأَ دولة على أَساس الإِسلام، عقيدة و شريعة، ونظّم حياة الإِنسان المسلم ـ فرداً، وأَسرةً، وجماعةً، ومجتمعاً ـ فيها على هدى التشريع الإِسلامي. وحكم هذه الدولة وقادها طيلة حياته الشريفة.

٣. وقد سلك المسلمون فيما بينهم ـ جماعات وقبائلَ وأَفراداً ـ ، ومع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، مسلك أَنهم يعيشون ويعملون في مجتمع سياسي عليه التزامات تجاه نفسه، وتجاه المجتمعات الأُخرى، ومسؤوليات كذلك، وأنَّهم من الناحية السياسية لم يعودوا إلى ماكانوا عليه في نظامهم الذي كان سائداً بينهم. وأنهم يعيشون ويعملون في دولة وتحت سلطة حكومة برئاسة وقيادة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). وأنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قائدهم وحاكمهم. وأنَّ عليهم ـ لذلك ـ واجب الطاعة له فيما يأمر به وينهى عنه. وأنّه ليس مجرد نبي يبلّغ الأَحكام فقط، ويترك الناس وشأنهم فيما يشاؤون وكما يشاؤون.

٤. وكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يبلّغ المسلمين بالوحي القرآني مايرد فيه من تشريع وغيره ـ وكانوا يتعلّمون هذا الوحي ويفهمونه، وفيه زجرهم عن أَشياء، وأَفعال، وأَقوال، ومواقف، وأَمرهم بأشياء، وأَفعال، وأَقوال، ومواقف، وفيه أَوامر الطاعة للرسول فيما يأمر به.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٥)

ملامح دولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

المقدمة:

الهدف الدراسي: ملامح دولة سيد المرسلين.

النتايج الدراسية المتوخاة بعد الدرس:

أ. الجانب الإداري في الدولة الإسلامية.

ب. الجانب الاقتصادي.

ت. الجانب التبليغي.

ث. الجانب القضائي.

ج. الجانب الدفاعي.

ح. الجانب الاجتماعي.

خ. الجانب السياسي.

المحتوى العلمي :

ملامح دولة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

ونعرض فيما يلي بعض ملامح، الوضع الحكومي والتنظيمي لدولة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، في ذلك الحين:

١ ـ الإدارة

كوَّن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الجهاز الإِداري الحكومي للدولة في المدينة وما حولها، وعلى امتداد الرقعة الإِسلامية التي كانت تتوسع باستمرار نتيجة لنمو الاستجابة للدعوة إلى الإِسلام، وللانتصارات التي أَحرزها المسلمون على قريش وغيرها في حروبهم الدفاعية.

وقد حكم(صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وما حولها بصورة مباشرة. وكان يستعين بأشخاص يكلّفهم بمهّام محدَّدة، أَو يوليهم مناصب معينة. وعيَّن العمال والممثلين الشخصيين له في المناطق البعيدة عن المدينة (مكّة، والطائف، وصنعاء، وحضرموت، وغيرها)[١] ولم تستبعد المرأة من تولّي العمل العام.

---

١ . كان عامله على الطائف (عثمان بن أَبي العاص)، وعامله على مكّة (عتاب بن أسيد الأموي)، وكان أيضاً أميراً على الحجّ، وعامله على صنعاء (المهاجر بن أَبي أُميّة)، وعامله على حضرموت (زياد بن لبيد الأنصاري البياضي) ـ راجع الإِصابة: ٥٤٠ ـ وعامله على البحرين (العلاء بن الحضرمي) ـ سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٩، وتاريخ الطبري ٢ : ٤٥٥ ـ وأوّل راتب فرضه كان راتب (عتاب بن أسيد) عامله على مكّة. وكان درهماً واحداً في كلّ يوم ـ سيرة ابن هشام ٢ : ٥٠٠ ـ وولى (فروة بن مسيك المرادي) على مراد، وزبيد، ومذحج كلها، كما قال (ابن هشام) في (السيرة). وولى (أَباذان / بارزام) على اليمن، وكان والياً من قبل الفرس فأسلم، وولى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إبنه مكانه بعد وفاته.

وفي المهمّات التي أسندت إلى المرأة، مهمّة التمريض، والعناية بالجرحي. فقد روى ابن هشام في السيرة النبويّة، وغيره، أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد نصب خيمة لِإمرأَة من قبيلة أسلم يُقال لها (رفيدة)، كانت تداوي الجرحى. وقال(صلى الله عليه وآله وسلم)حين أصيب (سعد بن معاذ) بالسهم في (الخندق): «إجعلوه في بيت رفيدة حتى أَعوده عن قريب».

فقد روى (ابن عبدالبر) أَنَّ: (سمراء بنت نهيك الأَسدية)، أَدركت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وعمرت، وكانت تمرُّ بالأَسواق، تأَمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط معها.

وكان إذا غاب عن المدينة، عيَّن خليفة له عليها، ينوب عنه[1].

وكان من تولوا إمارة المدينة (سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأبو سلمة بن عبدالأسد، وزيد بن حارثة، وأبو لبابة، واستخلف علي بن أبي طالب(عليه السلام) في أخطر رحلاته(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي غزوة تبوك).

٢ . الجباية المالية، والضرائب، والاقتصاد

عيّن(صلى الله عليه وآله وسلم) الجباة (عمَّال الصدقات) لجباية الزكاة، فكانوا يقومون بقبض الزكاة. وعيّن مسؤولين عن (إبل الصَّدقة) واهتم بسلامة الخيل المعدّة للجهاد، وحمى لها الحمى (المراعي الخاصّة)[2]. وكان بعض المكلفين بالجباية مقيمين في مناطقهم وقبائلهم، وبعضهم كان يرسل من المدينة للقيام بهذه المهمة كما هو الظاهر من صحيح (عبدالله بن سنان)، عن الإمام الصادق(عليه السلام) في بيان فرض

وذكر عن (أُميّة بنت قيس الغفارية): خرجت زعيمة للآسيات الممرّضات ولمّا تبلغ السابعة عشرة من عمرها. وأُمّ سليم، قال فيها (أنس): إنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يغزو، ومعه أم سليم، ومعها نسوة من الأَنصار يسقين الماء، ويداوين الجرحى. و(أُمّ سنان الأَسلمية)، قد اشتركت ممرّضة، في غزوة (خيبر). و(أُمّ أيمن): حضرت (أُحداً)، وكانت تسقي العطشى، وتداوي الجرحى. و(حمنة): وكان موقفها في (أُحد) مشهوداً، فقد كانت تغشى الموقعة، فتحمل الجريح، وتعود به حيث تأسو جراحه. و(الربيع بنت معوذ): وكانت تسقي القوم في الغزوات وتخدمهم، وتداوي الجرحى، وترد القتلى إلى المدينة. و(نسيبة بنت كعب المازنية): اشتركت في غزوة (بدر)، فعملت آسية، تضمّد الجراح لمن جرح، كما خرجت وشاركت في ذلك يوم (أُحد) أيضاً. (راجع أعلام النساء ـ عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة ـ ط ٤ / ١٩٨٢ م. والطب عند العرب . د . أحمد الشطيّ ـ مؤسّسة المطبوعات الحديثة / مصر. دون تاريخ).

١ . راجع السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٢٠ ـ ٢٣٠.

٢ . روى (البخاري)، عن ابن عباس أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حمى (النقيع) لخيل المسلمين. والنقيع موضع على عشرين فرسخاً من المدينة، وهو صدر (وادي العقيق)، وهو أخصب واد هناك.

الزكاة لمّا نزلت آية: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...)[١] في شهر رمضان، قال: «..ثم وجّه عمال الصدقة وعمال الطسوق»[٢] كما أنّه أخذ خمس الغنائم الذي هو ضريبة الدولة على غنائم الحرب والأموال المصادرة من الأعداء المحاربين. وجبى الجزية ممّن صالحهم من أهل الكتاب كـ (أهل نجران)، و(أَهل البحرين) الذين أرسل إليهم (أبا عبيدة بن الجراح)، و(معاذ ابن جبل) أرسله إلى (اليمن). كما تولّى مهمّة استيفاء الأموال (الجزية، والزكاة) من العمال، الإمام علي بن أبي طالب في (اليمن) و(نجران).

وكان من المعلوم أنَّ هذا المال(مال عام) ينفق على أنشطة الدولة الدفاعية والاجتماعية، وليس ملكاً خاصاً للنبي. ونشأ مصطلح (مال الله) للدلالة على أنَّ أموال الضرائب هي أموال عامّة تملكها الأمّة، وتديرها وتنفقها الحكومة.

وتصدّى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لظاهرة الاحتكار والمحتكرين مراراً عديدة[٣].

٣ . الدعوة

خصّص(صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من الصحابة لكتابة الوحي القرآني، وكتابة الرسائل، والترجمة، وجعل مركزاً لتعليم القرآن في المدينة وهي (الصفّة) في مدخل

---

١ . التوبة / مدنية . ٩ / الآية: ١٠٣.

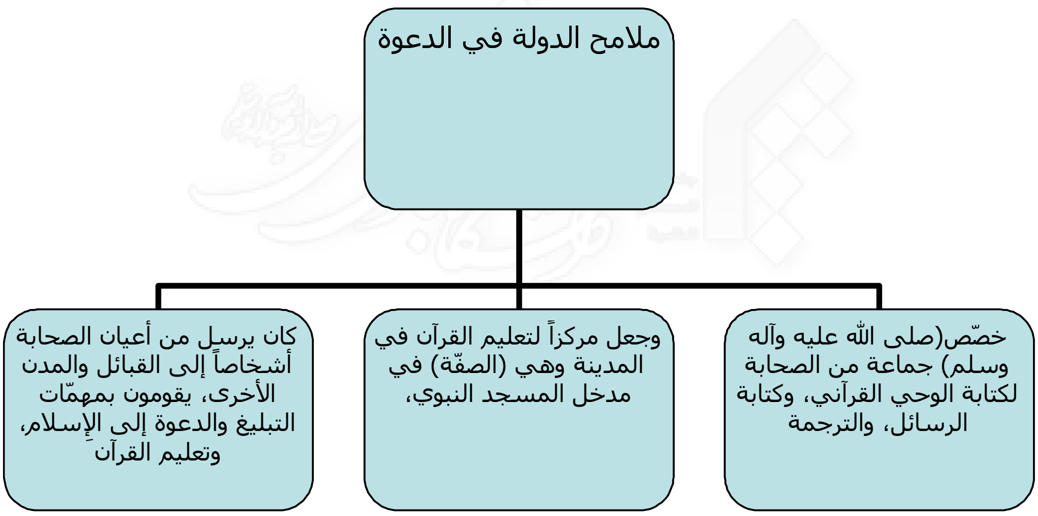
٢ . الوسائل: ٦ (مايجب فيه الزكاة) الباب: ٨ ، ح ١ قال ابن هشام في السيرة النبويّة: (إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يبعث أمراءه وعمّالهُ على الصدقات إلى محل ماأوطأ الإسلام من البلدان) وقد ولى(صلى الله عليه وآله وسلم) على جباية الزكاة وغيرها (عدي بن حاتم) على بني أسد من طيء و(مالك بن نويرة) على بني حنظلة، و(الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم) على بني سعد، و(سعد بن معاذ) على اليمن، و(بلالا) على صدقات الثمار في المدينة، و(عبادة بن بشر) على بني المصطلق، و(الأَقرع بن حابس) على بني دارم، و(عيينة بن حصن) على بني فزارة، و(الحارث بن عوف) على بني مرّة، و(نعيم بن مسعود) على أَشجع، و(العباس بن مرداس) على بني سليم، و(زياد الباهلي والد الهرماس) ولاه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على عشيرته من باهلة (الإصابة ١ : ٥٤١). وذكر (ابن هشام) في (السيرة) أَنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولى (خالد بن سعيد بن العاص على صدقات (مراد) و(زبيد) و(مِذحج).

٣ . يراجع كتاب (الاحتكار في الشريعة الإسلامية) للشيخ محمد مهدى شمس الدين منشورات (مجد) ١٩٩٠ م ـ ١٤١٠ هـ للاطلاع على نصوص الاحتكار ومصادرها.

المسجد النبوي، وكان ممن تولى الإِقراء فيها (عبادة بن الصامت)، وسماها (الواقدي): (دار القرّاء).

وكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يتولى بنفسه مهمّات الدعوة والتبليغ في المدينة بصورة ثابتة، وحيث حلّ في خارجها إذا غزا. وأمّا في خارج المدينة فقد عين الدعاة والمبلّغين، فكان يرسل من أعيان الصحابة أشخاصاً إلى القبائل والمدن الأخرى، يقومون بمهمّات التبليغ والدعوة إلى الإِسلام، وتعليم القرآن.

وكان من مبعوثيه للدعوة وتعليم القرآن،(مصعب بن عمير)،و(معاذ بن جبل)أرسله(صلى الله عليه وآله وسلم)إلى أهل مكّة، و(عمر بن حزم الحضرمي) إلى أهل (نجران)، وكانت (الشفاء بنت عبدالله / أمّ سليمان) تعلّم النساء القراءة والكتابة، كما روى ذلك (أبو الدرداء).



٤ . القضاء

تولّى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة مسؤولية القضاء بين الناس في جميع ماكانوا فيه يختلفون من شؤون عائلية، ومالية، وجرائم قتل، واعتداء. ونفّذ العقوبات، والتعزيرات، والحدود في المجرمين، كما تولّى القضاء في المدينة واليمن علي بن أبي طالب. ومن الذين تولّوا القضاء (معاذ بن جبل) و(معاذ بن نوفل) و(أبو موسى الأشعري) في اليمن، و(راشد بن عبدالله).

وعيّن القضاة في الأماكن البعيدة عن المدينة، فكان يرسل إليها بعض فقهاء الصحابة ليتولوا مهمّة القضاء بين الناس، ومن ذلك إرساله علياً(عليه السلام) إلى اليمن.

٥ . قضايا الدفاع

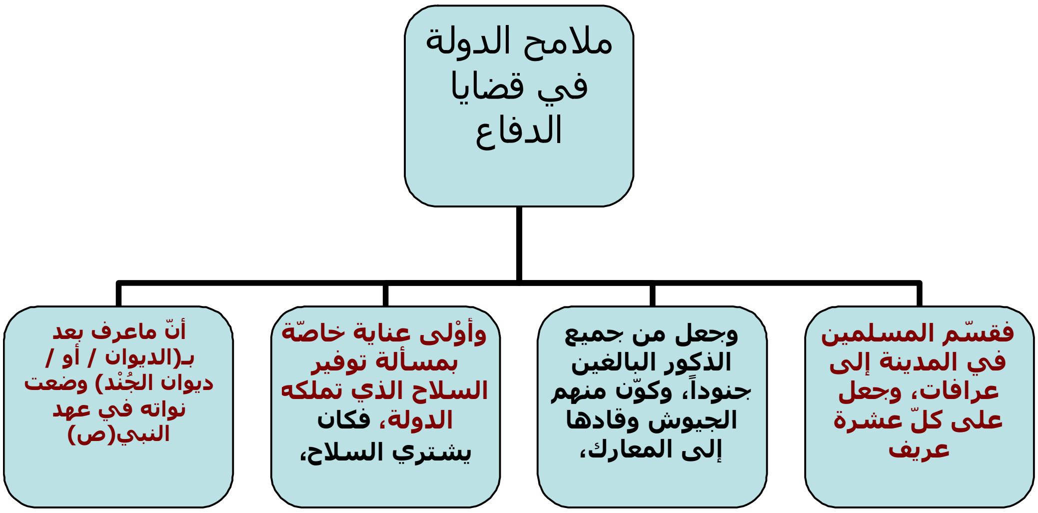
في المسألة العسكرية نظّم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة على أساس عسكري، وكونَّ من شعبها مجتمع حرب، فقسّم المسلمين في المدينة إلى عرافات، وجعل على كلّ عشرة عريفاً[١].

وجعل من جميع الذكور البالغين جنوداً، وكوّن منهم الجيوش وقادها إلى المعارك، وخاض الحروب الدفاعية كلّها، وعيّن القادة وأمراء السرايا، وأرسلهم في مهمّات عسكرية واستطلاعية. واعتمد في تقدير القوّة العسكرية على الأحصاء فقد روى (البخاري)، عن (حذيفة بن اليمان)، أنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «اكتبوا لي من يلفظ بالإِسلام من الناس، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل». ويبدو أنّ ماعرف بعد بـ(الديوان / أو / ديوان الجُنْد) وضعت نواته في عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

كما يبدو أنّ سجلات الجند (الذكور البالغين) كانت تراجع باستمرار ليضاف إليها كلّ من بلغوا خمس عشرة سنة كما تدل على ذلك رواية (الترمذي) عن (ابن عمر)، أو رواية (ابن عبدالبر) في (الاستيعاب)، عن (سمرة بن جندب).

وأوْلى عناية خاصّة بمسألة توفير السلاح الذي تملكه الدولة، فكان يشتري السلاح، ويستعيره، ويستأجره.

١ . الطبري ٤ : ١٥٨. وفي رواية (البخاري) في شأن سبي (هوازن) وردّه عليهم بعد أَن وزع فَيْءَ المسلمين، قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «..إنَّا لاندري من أَذن لكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أَمركم، فكلمهم عرفاؤهم..».

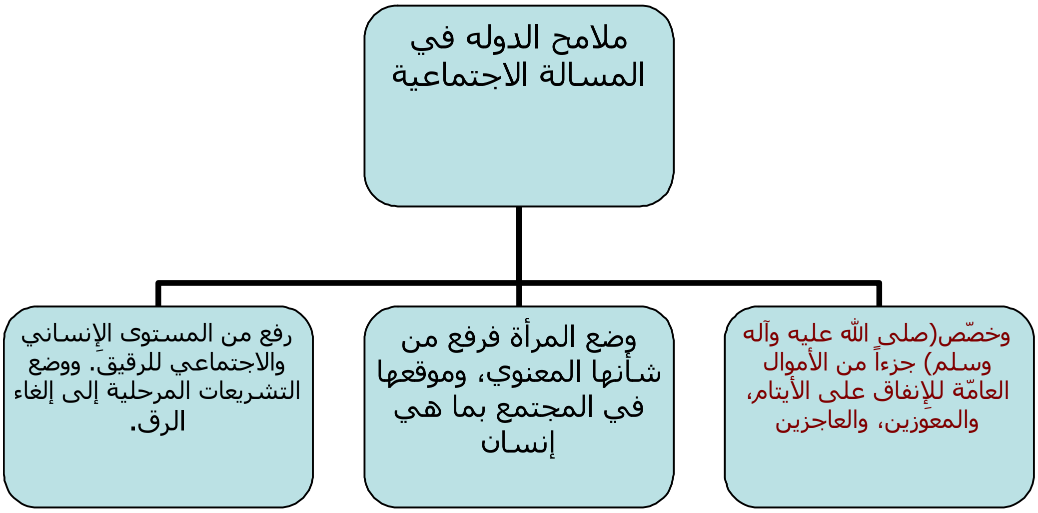


٦ . المسألة الاجتماعية

لم يقتصر الأمر في المسألة الاجتماعية على التوعية الإِنسانية والموعظة وتربية المسلمين على خلق البر والإِحسان فقط، وإنّما عمل وفقاً للتشريع الإِسلامي على ايجاد مجتمع الكفاية والعدل، وخصّص(صلى الله عليه وآله وسلم) جزءاً من الأموال العامّة للإِنفاق على الأيتام، والمعوزين، والعاجزين عن العمل، بعد أنْ جعل من العمل واجباً وشرفاً.

وغيّر(صلى الله عليه وآله وسلم) وضع المرأة فرفع من شأنها المعنوي، وموقعها في المجتمع بما هي إنسان.

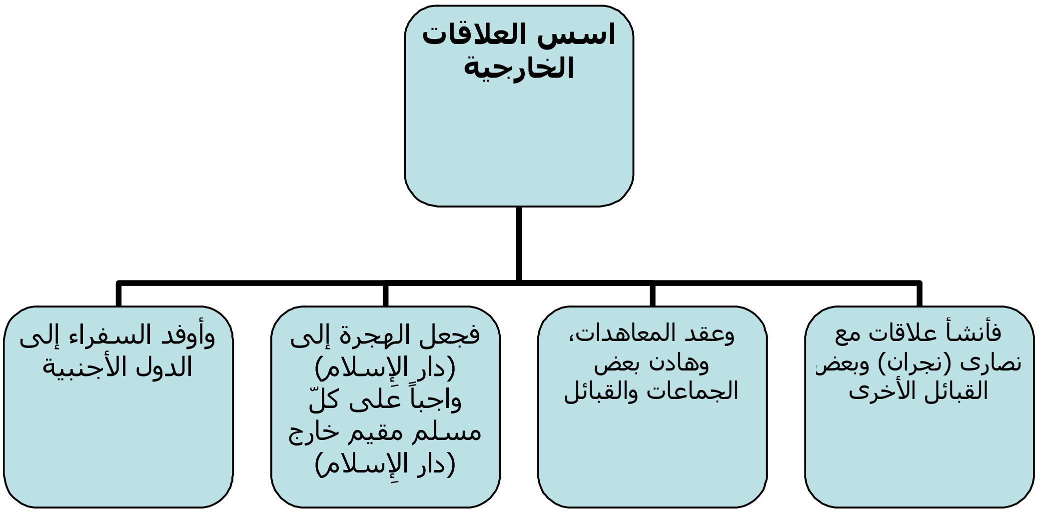
ووضع الأسس ـ وفقاً للتشريع الإِسلامي ـ التي رفعت من المستوى الإِنساني والاجتماعي للرقيق. ووضع التشريعات المرحلية إلى إلغاء الرق.



٧ . العلاقات الخارجية

وضع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أسس العلاقات الخارجية مع الأقوام والدول الأخرى. فأنشأ علاقات مع نصارى (نجران) وبعض القبائل الأخرى. وأوفد السفراء إلى الدول الأجنبية (مصر، وفارس، وبيزنطية، والغساسنة) وغيرهم. وعقد المعاهدات، وهادن بعض الجماعات والقبائل، ورفض الهدنة مع البعض الآخر.

وعامل الخارج المسلم على الأساس الذي ذكرناه سابقاً، فجعل الهجرة إلى (دار الإِسلام) واجباً على كلّ مسلم مقيم خارج (دار الإِسلام)[1].



١ . في الاجتماع السياسي الاسلامي: ١٥٩ ـ ١٦٩.

الخلاصة:

١. إن لدولة رسول الله (ص) ملامح يمكن وصفها في الجوانب التالية: ففي الجانب الإداري تولى بنفسه الحكومة و كان يستعين بأشخاص لمهام محددة أو خلفاء على المدينة في غيابه عنها.

٢. و في الجانب الاقتصادي عين الجباة و المسؤولين عن إبل الصدقة و المراعي لها. و كان ينفق بيت المال على الأنشطة الدفاعية و الاجتماعية. و تصدى أيضا لظاهرة الاحتكار مرارا عديدة.

٣. و في الجانب التبليغي تولى بنفسه ذلك في المدينة بصورة ثابتة إلى جانب تعيين كتاب الوحي و الرسائل و المترجمين و تخصيص الصفة لتعليم القرآن و إرسال المبعوثين للدعوة و تعليم القرآن.

٤. و أما الجانب القضائي فتولى ذلك أيضا بنفسه في المدينة و عين آخرين للقضاء في الأماكن الأخرى.

٥. و أما الجانب الدفاعي فقد قسم المسلمين إلى عرافات و جعل على كل عشرة عريفا و اعتمد في تقدير قوته العسكرية على الإحصاء حيث وضع نواة ديوان الجند في عهده و كان يهتم بتوفير السلاح بشرائه أو استعارته أو استيجاره.

٦. و في الجانب الاجتماعي اعتمد الكفاية و العدل حيث خصص جزءا من بيت المال للإنفاق على الأيتام و المعوزين و العاجزين و رفع شأن المرأة و وضع التشريعات المرحلية لإلغاء الرق.

٧. و في العلاقات الخارجية عقد المعاهدات و هادن بعض الجماعات و أرسل السفراء إلى مصر و فارس و البيزنطية و الغساسنة و أوجب الهجرة إلى دار الإسلام على الخارج المسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٦)

عصر الإمام على(عليه السلام)

المقدمة:

الهدف الدراسي: بيان مهام الامامه وضرورتها ووما جرى للحيلولة دون تحقق ذلك.

النتائج المتوخاة من الدرس:

١ـ معرفة مهام الرسول الاساسية إزاء الدولة الاسلامية.

٢ـ انتقال تلك المهام للامام من بعد الرسول (ص).

٣ـ احقية الامام علي (ع) للخلافة من بعد الرسول(ص).

٤- معرفة بعض الحقائق المهمة التي تضمنتها بعض نصوص نهج البلاغة حول ماجرى في السقيفه وما بعدها.

المحتوى العلمى :

عصر الإمام علي(عليه السلام)

ينبغي أن لاتغيب عنّا حقيقة هي في غاية من الأهميّة ألاّ وهي أنّ المهامّ الأساسية للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وللإمام(عليه السلام) الذي يخلفه معاً بعد تكوين أُمّة مسلمة وتأسيس دولة إسلامية تترتّب بحسب الأهميّة كما يلي:

١ ـ صيانة الرسالة والشريعة من أيّ تحريف أو تزييف.

٢ ـ صيانة الأُمّة الإسلامية من الضياع والاضمحلال.

٣ ـ صيانة الدولة الإسلامية الفتية من الانهيار.

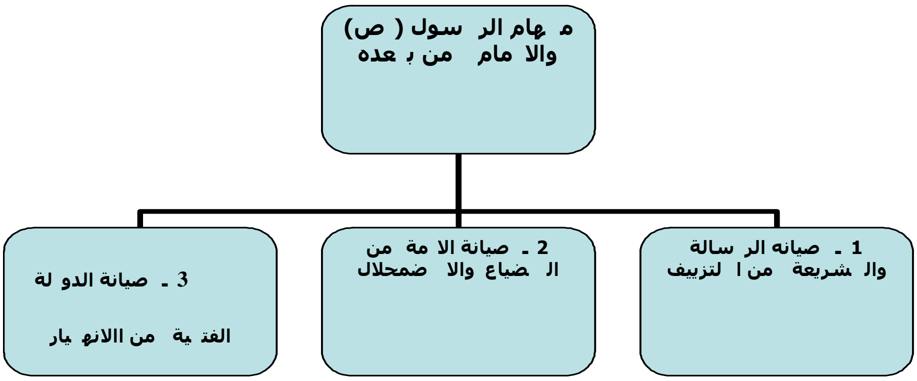
فإنّ الرسالة والشريعة هي الأساس في تكوين الأُمّة المسلمة إلى جانب المربّي الكفوء، والأُمّة المسلمة هي القاعدة الصلبة والدعامة الأُولى في تأسيس الدولة الإسلامية إلى جانب القيادة الصالحة.

إذن على الإمام الذي يخلف الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحافظ على كل ثمار الرسالة الخاتمة بما فيها دولة الرسول وأُمّته، وليست مهمّة القيادة الحقيقية إلاّ تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية في الحياة الإنسانية من خلال استخدام السنن التي تحكم الحياة الفردية والاجتماعية، وليس منصب القيادة أو الحكم هدفاً نهائياً في مفاهيم الشريعة وإنّما هو وسيلة لتطبيق أحكام الله في الأرض.

ويعتبر الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) عند عامّة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ـ سنةً وشيعة ـ الصحابّي المقبول لدى كل الاتجاهات والمذاهب التي خطّأت خط الخلافة الذي أُشيدت دعائمه بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والاتجاهات التي صحّحت هذا الخط معتبرة الإمام عليّاً رابع الخلفاء الراشدين.

هذا فضلا عن كونه من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وابن عم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأخاه ووصيّه والإمام من بعده على أُمّته لدى كثير من المسلمين.

من هنا كان الاحتجاج بكلام الإمام علي(عليه السلام) له ميزة خاصّة لاتتوفّر في كلام غيره من الصحابة الذين استولوا على منصب الخلافة،لأنّ كلام من سواه لم يكن محل اجماع المسلمين.



واقع السقيفة:

وردت نصوص عديدة في نهج البلاغة تُفصح عن حقيقة ماجرى بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)من الانحراف السياسي وتكشف النقاب عن أسباب هذا الانحراف بشكل لايدع مجالا للريب في موقف الإمام(عليه السلام) الذي يستند الى دليل واضح وبرهان ثاقب.

١ ـ قال(عليه السلام): أما والله لقد تقمصّها[١] ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلَمُ أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرّحى[٢].

٢ ـ وحين سأله بعض أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟! ـ قال(عليه السلام)...أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً والأشدّون برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)نوطاً; فإنّها كانت أثرةً شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، والحَكَم الله والمِعْوَد القيامة[٣].

٣ ـ حين قال له قائل: إنّك على هذا الأمر يابن أبي طالب لحريصٌ...أجابه قائلا: بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخصّ وأقرب. وإنّما طلبتُ حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونَه.

---

١ . الضمير يعود إلى الخلافة، والذي يطالع هذه الخطبة لايرتاب في المراد.

٢ . نهج البلاغة، الخطبة الثالثة.

٣ . نهج البلاغة (صبحى الصالح): ٢٣١ الخطبة رقم: ١٦٢.

ثم قال(عليه السلام): اللّهم إنّي أستعديك على قريش ومن أعانَهم، فإِنّهم قطعوا رَحِمي وصغَّروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هُوَ لي[١]، قال(عليه السلام) أيضاً: أجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري[٢].

٤ ـ وقال(عليه السلام) أيضاً: حتى إذا قبض اللّهُ رسولَه رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السُبُل واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرَحِم وهجروا السبب الذي أُمروا بمودّتِه، ونقلوا البناء عن رَصّ أساسه فبنوه في غير موضعه. معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارِب في غمرة، قد مارُوا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنّة من آلِ فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين[٣].

وتضمّنت هذه النصوص التصريح بعّدة حقائق مهمّة:

١ ـ أنّ الخلافة هي حقّ الإمام(عليه السلام) دون غيره.

٢ ـ أنّ أبابكر قد تقمّص هذا المنصب واستولى عليه.

٣ ـ أنّ قريشاً مع من أعانهم هم الذين خططّوا للاستيلاء على الخلافة ومنازعة الإمام علي(عليه السلام).

٤ ـ أنّهم استبدّوا بالخلافة ولم يسمحوا له ولغيره للتصدي والترشيح.

٥ ـ أنّ أبابكر ومن أجمع معه على المنازعة كانوا يعلمون جيّداً بجدارة الإمام(عليه السلام)للخلافة وحقّه فيها وأنّ الأدلة التي استندوا إليها للاستيلاء على هذا المنصب كلّها تتمثل في علي(عليه السلام) وأهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

٥ ـ أنّ أبابكر ومن أعانه على هذا الاستيلاء كانوا يجهدون لمنع الامام(عليه السلام) من الوصول الى الخلافة ويحولون بينه وبينها ويضربون وجهه لئلاّ يستردّ هذا الحق.

وبهذا كشف الإمام(عليه السلام) عن أهم اسباب هذا الانحراف الخطير الذي قام على أساس سحق القيم الاسلامية مهما كلفّ الأمر ومهما كانت النتائج.

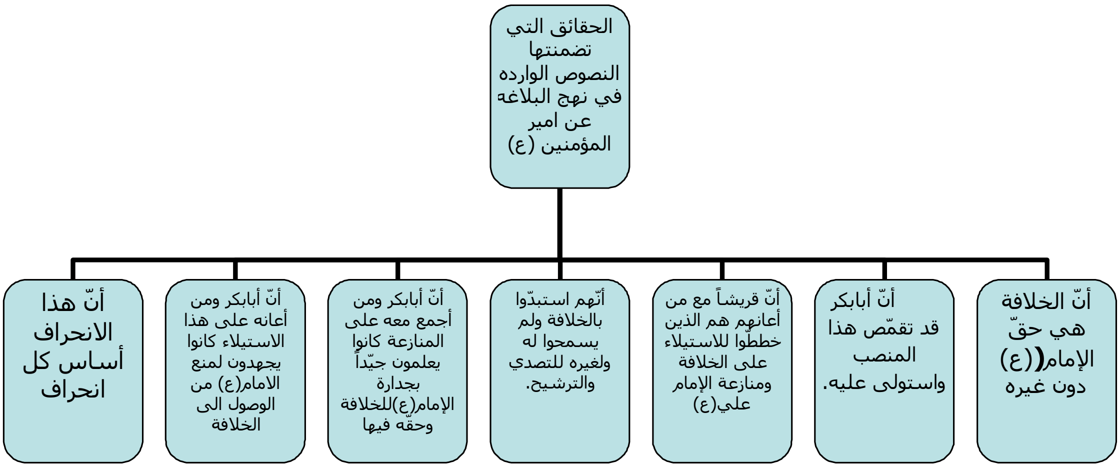
٦ ـ أنّ هذا الانحراف أساس كل انحراف ويعتبر ارتداداً عن الإسلام الذي جاء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وجسّده في مواقفه كلها.

---

١ . نهج البلاغة (صبحي الصالح): ٢٤٦ الخطبة رقم: ١٧٢.

٢ . المصدر: ٣٣٦ من كلام له برقم ٢١٧.

٣ . نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٠.



ويشهد لهذا التحليل ماورد من تصريح أحد أقطاب الخط الحاكم الذي دان للخلفاء الثلاثة بالولاء وتسنّم منصب الحكم في الشام بتمهيد منهم...أعني به معاوية بن أبي سفيان حينما ردّ على محمد ابن أبي بكر إذ ناقشه في منازعته لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) الذي أجمع الصحابة على فضله واستحقاقه للخلافة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

ولنقرأ معاً جواب معاوية للرد على مناقشة ابن الخليفة الأول له.

و إليك جُملا مختارة ممّا أثبته المسعودي من كتاب معاوية لمحمّد بن أبي بكر، قائلا له: فقد أتاني كتابك...مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولأبيك تعنيف...فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا...فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على أمره، على ذلك اتفّقا واتّسقا ثمّ إنّما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما...فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم...ثم انه بايع لهما وسلّم لهما وأقاما لايشركانه في أمرهما ولايُطلعانه على سرّهما[١].

وإلى هنا نكون قد عرفنا أنّ تآمراً على الخطّ الشرعي للسلطة تحقّق حين وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): واستطاع هذا التآمر أن ينّفذ خطّته لاستلاب السلطة من أصحابها الشرعيين الّذين عيّنهم الوحي الإلهي ونصّ عليهم الرسول الأمين ، و رغم استلاب السلطة من أهل البيت (عليهم السلام) و لكن وجودهم بين المسلمين ضمن للأمة الإسلامية سلامة الرسالة من الزيغ وذلك بسبب وجود هذه المرجعية الفكرية والدينية السليمة والمعصومة كما عصم رسوله(صلى الله عليه

١ . مروج الذهب، للمسعودي ٣ : ١١ ـ ١٢.

وآله وسلم)من تسرّب هذا التشكيك إلى حريم رسالته، فإنّ عامّة المسلمين بالرغم من تفرّقهم واختلافهم حول اجتهاد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وعصمته طيلة حياته لايشكوّن في عصمته في تبليغ رسالة ربّه ويَتعبّدون بنصوص الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كما يتعبّدون بنصوص القرآن الكريم.

إذن قبل استعراض جميع ماوقع بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من أحداث تفصح عن كيفية تحقق المؤامرة وتطورّ أحداثها; علينا أن نغور الى أعماق تاريخ عصر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)لنكتشف جذور هذا التآمر وخيوطه الأُولى التي انتهت إلى هذا الانحراف العظيم بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

الخلاصة:

١. إنّ القيادة الرساليّة التي عرفّها الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) لأُمّته والتي تمثلت في علي بن أبي طالب(عليه السلام) هي القيادة الأمينة على مصالح الرسالة الساهرة على تحقيق أهدافها الإلهية رغم كل الصعاب والعقبات.

٢. على أنّ شخصية الإمام علي(عليه السلام) الرسالية هي الشخصية المرموقة والمقبولة لدى جميع المذاهب الإسلامية. ونصوص الإمام علي التي وصلتنا ـ رغم كل الظروف المعاكسة ـ تعدّ نصوصاً فريدة لتصوير ذلك العصر بكل مآسيه.

٣. وقد نصّ الإمام على أنّ أبابكر قد تقمّص الخلافة واستأثر بها دون أهلها. وأنّ هناك تخطيطاً قد حيك لابتزاز حق الإمام علي(عليه السلام). وقد صبر الإمام(عليه السلام) كي يحقّق الأهداف الكبرى للرسالة بالرغم من أنّ هذا الانحراف السياسي له تبعاته السلبية على الأُمّة والكيان الإسلامي. وهو(عليه السلام) بصبره وجهاده قد حاول تفادي هذه الصدمة الكبرى. ففاز في نهاية المطاف على المدى القريب والبعيد معاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٧)

عهد الخلفاء

المقدمة:

هدف الدرس: الاطلاع على الأحداث قبل بيعةالسقيفة

النتائج المتوخاة من الدرس:

١ـ معرفة ما قام به عمر بن الخطاب حين وفاة الرسول.

٢ـ الاطلاع على حقيقة ادعاء عمر بن الخطاب بعدم وفاة الرسول (ص) وكونه المشكك الوحيد بذلك.

٣ـ ان ابا بكر لم يكن رجل الموقف.

٤ـ الوقوف على المناورات بين المهاجرين والانصار التي جرت في السقيفة ونتائجها.

المحتوى العلمي :

عهد الخلفاء

توفّي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) نصف النّهار يوم الاثنين وأبو بكر غائب بالسُّنح، وعمر حاضر، فاستأذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبة، وكشف الثوب عن وجهه، وقال عمر:

واغشياه، ماأشدّ غشي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)!

فقال المغيرة: مات والله رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال عمر: كذبت، مامات رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنّك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين[١].

أخذ عمر يقول: إنّ رجالا من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله توفّي، إنّ رسول الله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه، كما ذهب موسى عن قومه، وغاب أربعين ليلة. والله ليرجعنَّ رسول الله فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجل من يزعمون أنّه مات[٢].

من قال إنّه مات، علوت رأسه بسيفي، وإنّما ارتفع إلى السماء[٣].

فُتلي عليه في المسجد:

(وَمامُحَمَّدٌ إِلاَّرَسُولٌ قَدْخَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ).

وقال العبّاس بن عبدالمطلب: إنّ رسول الله قد مات وإنّي رأيت في وجهه مالم أزل أعرفه في وجوه بني عبدالمطّلب عند الموت ...[٤].

فما زال عمر يتكلّم حتّى ازبدّ شدقاه[٥]، حتّى جاء أبوبكر من السُنح وتلا: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ). فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم. فسكت عمر[١].

---

١ . مسند أحمد ٦ : ٢١٩.

٢ . تاريخ الطبري، ط. أوربا ١ : ١٨١٨.

٣ . تاريخ أبي الغداء ١ : ١٦٤.

٤ . رواه ابن سعد في طبقاته ٢ : ق ٢ : ٥٧، وفي كنز العمّال ٤ : ٥٣ ، ح ١٠٩٢. وابن كثير في ٥ : ٢٤٣ من تاريخه. المواهب للزرقاني ٨ : ٢٨١. والآية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

٥ . أنساب الأشراف ١ : ٥٦٧ ، وابن سعد ٢ : ق ٢ : ٥٣.

وإنّ هذه الآية الّتي قرأها على عمر هي التي كان ابن أمّ مكتوم قد قرأها عليه قبل ذلك. وكان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر بن الخطاب، فإنّ أصحاب السير والمؤرّخين لم يذكروا مثل هذا التشكيك عن غيره[٢].

تحليل وتقويم:

«في اليوم الذي حانت فيه الساعة الأخيرة في تاريخ النبوّات ; إذ لَفَظَ سيد البشر نفسه الأخير وصعدت روحه إلى الرفيق الأعلى .

لفَّ المسلمين صمتُ رهيب لاينطق أحد منهم بكلمة وقد اكتفوا في تأبين الراحل العظيم بالدموع والحسرات والخشوع والذكريات و لكنهم يفاجأون بصوت يجلجل في الفضاء ويقطع خيط الصمت الذي لفّ المجتمعين وهو يعلن أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يمت ولايموت حتى يظهر دينه على الدين كله وليرجعنّ فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم ممنّ أرجف بموته: «لاأسمع رجلا يقول مات رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الاّ ضربته بسيفي»[٣].

وأكبر الظنّ أنّ قوله وقع من أكثر المسلمين موقع الاستغراب والتكذيب، وحاول جماعة منهم أن يجادلوه في رأيه ولكنّه بقي شديداً في قوله ثابتاً عليه والناس يتكاثرون حوله ويتكلّمون في شأنه ويعجبون لحاله حتّى جاء أبوبكر، وكان ـ حين توفّي النبيّ ـ في منزله بالسُّنح، والتفت إلى الناس وقال: «من كان يعبد محمّداً فإنّه قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّه حيّ لايموت. قال الله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ)[٤] وقال: (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْقُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)[٥]، ولمّا سمع عمر ذلك أذعن واعترف بموت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: «كأنّي سمعتها ـ يعني الآية ـ [الآن]»[٦].

---

١ . الطبقات لابن سعد ٢ : ق ٢ : ٥٤ . وابن كثير ٥ : ٢٤٣. والسيرة الحلبية ٣ : ٣٩٢. وابن ماجة، ح ١٦٢٧.

٢ . راجع معالم المدرستين ١ : ١٤٩ ـ ١٥٠.

٣ . تاريخ الطبري ٢: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، وفيه:وكان عمر يتوعّد الناس بالقتل،الملل والنحل، الشهرستاني ١ : ٢٩...قال عمر بن الخطّاب: من قال: «إنّ محمّداً قد مات قتلته بسيفي هذا...».

٤ . الزمر: ٣١.

٥ . آل عمران: ١٤٤.

٦ . تاريخ الطبري ٢: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

«ونحن لانرى في هذه القصّة مايراه كثير من الباحثين من أنّ الخليفة كان بطل ذلك الظرف العجيب، والرجل الذي تهيّأت له معدّات الخلافة بحكم موقفه من رأي عمر; لأنّ المسألة ليست من الأهمّية بهذا الحدّ ولم يحدّثنا التاريخ عن شخص واحد انتصر لعمر في رأيه، فلم يكن إلاّ رأياً شخصيّاً لاخطر له ولا شأن للقضاء عليه.

وقد يكون من حقّ البحث أن يقال أنّ شرح الخليفة لحقيقة الحال في خطابه الذي وجّهه إلى الناس كان شرحاً باهتاً في غير حدّ لايبدو عليه من مشاعر المسلمين المتحرّقة في ذلك اليوم شيء، بل لم يزد في بيان الفاجعة الكبرى على أن قال: «إنّ من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات». وقد كان الموقف يتطلّب من أبي بكر ـ إذا كان يريد أن يقدّم في نفسه زعيماً لتلك الساعة ـ تأبيناً للفقيد الأعظم يتّفق مع العواطف المتدفّقة بالذكريات والحسرات يومئذ.

ومَن الذي كان يعبد سيّد الموحّدين حتى يقول: مَن كان يعبد محمّداً فإنّه قد مات؟ وهل كان في كلام عمر معنىً يدلّ على أنّه كان يعبد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أو كانت قد سرت موجة من الارتداد والإلحاد في ذلك المجتمع المؤمن الذي كان يعتصر دموعه من ذكرياته، وصبره، وتماسكه من عقيدته حتّى يعلن لهم أنّ الدين ليس محدوداً بحياة رسول الله لأنّه ليس بالإله المعبود.

إذن فلم يكن لكلام أبي بكر الذي خاطب به الناس صلة بموقفهم ولا علاقة برأي عمر، ولا انسجام مع عواطف المسلمين في ذلك اليوم وشؤونهم، وقد سبقه به غيره ممّن حاول مناقشة عمر كما مرّ»[١].

أحداث السقيفة:

وكان يعاصر الاجتماع حول جنازة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) اجتماع آخر للأنصار عقدوه في سقيفة بني ساعدة برئاسة سعد بن عبادة زعيم الخزرج[٢].

ووصف الطبري الاجتماع الأوّل في السقيفة قائلا: «اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرّسول يغسّله أهله، فقالوا: نولّي هذا الأمر بعد محمّد، سعد بن عبادة. وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض...

١ . الشهيد السيد محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ٧١ ـ ٧٣ الطبقة المحققه الاولى.
٢ . تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٣.

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضيلتهم في الإِسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لأعدائه، حتّى استقامت العرب، وتوفّي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدُّوا بهذا الأمر دون الناس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وفّقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو مارأيت، نولّيك هذا الأمر.[١]

سمع أبوبكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السَّقيفة مع أبي عُبَيدة بن الجرَّاح وانحاز معهم من الأنصار أُسيدبن حُضَيْر وعُويم بن ساعِدَة وعاصم بن عَدِيّ من بني العَجْلان.

تكلَّم أبوبكر ـ بعد أن منع عمر عن الكلام ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، وقال: فهم أوّل من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولاينازعهم ذلك إلا ظالم. ثمّ ذكر فضيلة الأنصار، وقال: فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء.

فقام الحباب بن المنذر وهو من الانصار ايضاً وقال: يامعشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم فإنّ الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجتريء مجتريء على خلافكم، ولاتختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم. فإن أبى هؤلاء إلاّ ماسمعتم، فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لايجتمع اثنان في قرن...والله لاترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لاتمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أُمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته[٢] إلاّ مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة؟!

فقام الحباب بن المُنذر وقال: يامعشر الأنصار!، املكوا على أيديكم ولاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ماسألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم

---

١ . الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١ هـ . ، ٢ : ٤٥٦، ط. أروبا، ١ : ١٨٣٨، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري. و ابن الأثير ٢ : ١٢٥ و تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ : ٥ ، قريب منه و أبوبكر الجوهري في كتابه السقيفة، في الجزء الثاني من شرح ابن أبي الحديد في خطبة (و من كلام له في معنى الأنصار).

٢ . لمّا سمع عليّ بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد، ط. الأولى، ٢ : ٢.

دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جُذَيْلُها المُحَكَك[١] وعُذَيْقُها المُرَجّب[٢]. أما والله لو شئتم لنُعيدنّها جَذَعَة[٣].

قال عمر: إذاً يقتلَك الله.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبوعُبيدة: يامعشر الأنصار!، إنّكم كنتم أوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل من بدَّل وغيّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجيّ أبوالنعمان بن بشير فقال: يامعشر الأنصار!، إنّا والله لئن كنّا أُولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ماأردنا به إلاّ رضا ربّنا وطاعة نبيّنا والكدح لأنفسنا; فما ينبغي لنا أن نستطيل على النّاس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإنّ الله وليّ النعمة علينا بذلك، إلاّ أنّ محمّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) من قريش، وقومه أحقُّ به وأولى، وأيم الله لايراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً. فاتّقوا الله، ولاتخالفوهم، ولاتنازعوهم.

فقال أبوبكر: هذا عمر، وهذا أبوعبيدة، فأيّهما شئتم فبايعوا. فقالا: والله لانتولّى هذا الأمر عليك.[٤]

وقام عبد الرَّحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يامعشر الأنصار! إنّكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ. وقام المنذر بن الأرقم فقال: ماندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلا لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد ـ يعني عليَّ بن أبي طالب ـ [٥].

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لانبايع إلاّ عليّاً[٦].

---

١ . جَذيلها، تصغير الجذل: أصل الشجرة. والمحك: عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرس به الإِبل الجربى، أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يُشتفى بهما كما تشتفي هذه الإِبل الجربى بالجذل وصغره على جهة المدح.

٢ . عذيق: تصغير العذق، وهي: النخلة. والمرجب. ماجعل له رجبة، وهي: دعامة تبتنى من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوفوا عليها أن تنقعر في الرياح العواصف.

٣ . أعدت الأمر جذعاً، أي جديداً كما بدأ، وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي: أوّل ما يبتدأ فيها.

٤ . لم نسجّل هنا بقيّة الحوار وتعليقنا عليه طلباً للاختصار.

٥ . رواه اليعقوبي بعد ذكر ماتقدم في تاريخه ٢ : ١٠٣. والموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٧٩ .

٦ . في رواية الطبري ٣ : ٢٠٨ (و ط. أوربا ١ : ١٨١٨) عن إبراهيم، وابن الأثير ٢ : ١٢٣: «أنّ الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبابكر».

قال عمر: فكثر اللّغط وارتفعت الأصوات حتّى تَخَوّفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك لأبايعك[١]. فلمّا ذهبا ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الُحباب بن المنذر: يابشير بن سعد عَقَقْتَ عَقاقِ[٢]! أنفست على ابن عمِّك الِإمارة؟ فقال: لاوالله، ولكنّي كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم. ولمّا رأت الأوس ماصنع بشير بن سعد وماتدعو إليه قريش وماتطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض ـ وفيهم أُسَيْد ابن حُضير وكان أحد النُقباء ـ : والله لئن وليَتها الخزرج عليكم مرَّة، لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبابكر.

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ماكانوا أجمعوا له من أمرهم...فأقبل النّاس من كلّ جانب يبايعون أبابكر، وكادوا يطأون سعد بن عبادة.

فقال أناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لاتطؤوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هَمَمْتُ أن أطأك حتّى تَنْدُرَ عُضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصت منه شعرة مارجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبوبكر: مهلا ياعمر! الرفق هاهنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر[٣].

وقال سعد: أما والله لو أنّ بي قوّة مّا، أقوى على النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يُجْحِرُك وأصحابك. أما والله إذاً لألحقنَّك بقوم كنتَ فيهم تابعاً غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه في داره[٤].

وروى أبوبكر الجوهري: أنّ عمر كان يومئذ ـ يعني يوم بويع أبوبكر ـ محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنّ الناس قد بايعوا أبابكر...[٥].

نعم، بايع الناس أبابكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العبّاس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال عليّ: ماهذا؟

---

١ . عن سيرة ابن هشام ٤ : ٣٣٦. وجميع من روى حديث الفلتة. راجع بعده حديث الفلتة في ذكر رأي عمر في بيعة أبي بكر.

٢ . الطبري ط. أوربا ١ : ١٨٤٢. وفي رواية ابن أبي الحديد: عقّكَ عقاق.

٣ . إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفتين من شدّة ولِين.

٤ . الطبري ٣: ٤٥٥ ـ ٤٥٩، و ط. أوربا ١ : ١٨٤٣. (وتندر عضوك) كذا ورد ويعني تسقط أعضاؤك.

٥ . في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد ١ : ١٣٣. وفي ص ٧٤ منه بلفظ آخر.

قال العباس: مارئيَ مثل هذا قطّ!! أما قلت لك[١]؟!

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال:

يامعشر بني هاشم! بويع أبوبكر.

فقال بعضهم لبعض: ماكان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمّد.

فقال العباس: فعلوها وربِّ الكعبة!

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً(عليه السلام) هو صاحب الأمر بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[٢].

وروى الطبري: أنّ [قبيلة] (أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السِّكك فبايعوا أبابكر فكان عمر يقول:

ماهو إلاّ أن رأيتُ أسلم فأيقنت بالنصر[٣].

فلمّا بويع أبوبكر أقبلت الجماعة الّتي بايعته تزفُّه زفّاً إلى مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فصعد على المنبر ـ منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ـ فبايعه الناس حتّى أمسى، وشُغِلُوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء[٤].

---

١ . ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٤ : ٢٥٨. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ١ : ١٣٢، ويروي تفصيله في ص ٧٤ منه. والزبير بن بكار في الموفقيات ص ٥٧٧ ـ ٥٨٠ و ٥٨٣ و ٥٩٢ . كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢ : ٢ ـ ١٦، في شرحه: (ومن كلام له في معنى الأنصار).

٢ . الموفّقيات للزبير بن بكار، ص ٥٨٠.

٣ . الطبري ٢ : ٤٥٨، و ط. أوربا، ١ : ١٨٤٣. وفي رواية ابن الأثير ٢ : ٢٢٤: (وجاءت أسلم فبايعت). وقال الزبير بن بكار في الموفّقيات برواية نهج البلاغة ٦ : ٢٨٧. «فقوى بهم أبوبكر» ولم يعيّنا متى جاءت أسلم، ويقوى الظنّ أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه «الجَمَل»: إنّ القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة، (الجمل ص ٤٣).

٤ . الموفّقيات ص ٥٧٨ . والرياض النضرة ١ : ١٦٤. وتاريخ الخميس ١ : ١٨٨. راجع معالم المدرستين ١ : ١٥١ ـ ١٥٨.

الخلاصة:

١. إنّ ماحدث بين وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ومؤتمر السقيفة من مواقف مريبة وغير طبيعية يكشف عن تمهيد الشيخين لتهيئة الظرف المطلوب لتنفيذ المؤامرة التي كانوا قد خططوا لها قبل وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأشار اليها الوحي وظهرت بعض بوادرها حين أمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بإنفاذ جيش أُسامة وحين اشتدّ وجعه وأراد أن يوصي وحيل بينه وبين الوصية.

٢. وجاءت مناورات السقيفة بين المهاجرين والأنصار لتلقي الأضواء الكاشفة على خطوط المؤامرة المبيّتة والتي تأكدت بحضور قبيلة أسلم في الوقت المقرّر لها; مما أدى إلى اطمئنان عمر بالنصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٨)

تحليل المواقف والأحداث

المقدمة:

الهدف الدراسى: بيان ملامح التخطيط المسبق

النتيجه المتوخاة من الدرس: معرفة الشواهد على ذلك التخطيط المسبق.

المحتوى العلمى :

تحليل المواقف والأحداث

لاحظ الشهيد محمد باقرالصدر(قدس سره) في كتابه (فدك في التاريخ) ـ بعد استعراضه لأحداث السقيفة التي دوّنها لنا التاريخ ـ مجموعة من النقاط والإثارات على مواقف الشيخين بنحو يستطيع الباحث أن يستكشف من خلالها أنَّ اتّفاقاً سابقاً على خطّة معيّنة قد كان بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة فيما يخصّ موضوع الخلافة بالذات.

يقول(قدس سره): إنّ الشواهد على ذلك عديدة (الأوّل) تخصيص عمر لأبي بكر بنبأ السقيفة كما سبق، وإصراره على استدعائه بعد اعتذاره بأنّه مشغول حتّى أشار إلى الغرض ولمّح إليه، خرج مسرعاً وذهبا على عجل إلى السقيفة[١]، وكان من الممكن أن يطلب غيره من أعلام المهاجرين بعد اعتذاره عن المجيء، فهذا الحرص لايمكن أن نفسّره بالصداقة التي كانت بينهما، لأنّ المسألة لم تكن مسألة صداقة، ولم يكن أمر منازعة الأنصار يتوقّف على أن يجد عمر صديقاً له بل على أن يستعين بمن يوافقه في أحقيّة المهاجرين أيّاً كان و كان عمر حريصاً أن لا ينتشر الخبر بين الموجودين في البيت النبوي.

(الثاني) موقف عمر من مسألة وفاة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وادّعاؤه أنّه لم يمت ولا يستقيم في تفسيره، أن نقولَ إنّ عمر ارتبك في ساعة الفاجعة، وفقد صوابه وادعى ماادّعى; لأنّ حياة عمر كلّها تدلّ على أنّه ليس من هذا الطراز، وخصوصاً موقفه الذي وقفه في السقيفة بعد تلك القصّة مباشرةً.

فالذي تؤثّر المصيبة عليه إلى حدٍّ تفقده صوابه لايقف بعدها بساعة يحاجج ويجادل ويقاوم ويناضل[٢].

ونحن نعلم أيضاً أنّ عمر لم يكن يرى ذلك الرأي الذي أعلنه في تلك الساعة الحرجة قبل ذلك بأيّام أو بساعات حينما اشتدّ برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) المرض وأراد أن يكتب كتاباً لايضلّ الناس بعده، فعارضه عمر وقال: إنّ كتاب الله يكفينا وأنّ النبيّ

---

١ . تاريخ الطبري ٢: ٢٤٢.

٢ . راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٣٥.

يهجر[١]، أو قد غلب عليه الوجع كما في صحاح السُنّة. فكان يؤمن بأنّ رسول الله يموت وأنّ مرضه قد يؤدّي إلى موته وإلاّ لما اعترض عليه.

وقد جاء في تاريخ ابن كثير أنّ عمر بن زائدة قرأ الآية التي قرأها أبوبكر على عمر قبل أن يتلوها أبوبكر فلم يقتنع عمر وإنّما قبل كلام أبي بكر خاصّة واقتنع به[٢].

فما يكون تفسير هذا كلّه إذا لم يكن تفسيره إنّ عمر شاء أن يشيع الاضطراب بمقالته بين الناس لينصرفوا إليها وتتّجه الأفكار نحوها تفنيداً أو تأييداً مادام أبوبكر غائباً; لئلاّ يتمّ في أمر الخلافة شيء ويحدث أمر لابُدّ أن يحضره أبوبكر ـ على حدّ تعبيره ـ وبعد أن أقبل أبوبكر اطمأنّ باله، وأمِن من تمام البيعة للبيت الهاشمي مادام للمعارضة صوت في الميدان، وانصرف إلى تلقّط الأخبار حادساً بما سيقع، فظفر بخبر ماكان يتوقّعه.

(الثالث) شكل الحكومة التي تمخّضت عنها السقيفة، فقد تولّى أبوبكر الخلافة، وأبو عبيدة المال، وعمر القضاء[٣]. وفي مصطلحنا اليوم أنّ الأوّل تولّى السياسة العليا، والثاني تولّى السياسة الاقتصاديّة، والثالث تولّى السلطات القضائية; وهي الوظائف الرئيسية في مناهج الحكم الإسلامي. وتقسيم المراكز الحيويّة في الحكومة الإسلاميّة يومئذ بهذا الأسلوب على الثلاثة الذين قاموا بدورهم المعروف في سقيفة بني ساعدة لايأتي بالصدفة على الأكثر ولا يكون مرتجلا.

(الرابع) قول عمر حين حضرته الوفاة: «لوكان أبوعبيدة حيّاً لولّيته»[٤].

وليست كفاءة أبي عبيدة هي التي أوحت إلى عمر بهذا التمنّي; لأنّه كان يعتقد أهليّة عليّ(عليه السلام) للخلافة ومع ذلك لم يشأ أن يتحمّل أمر الأمّة حيّاً وميّتاً[٥].

---

١ . راجع الرواية في صحيح البخاري ١: ٣٧ كتاب العلم ـ باب كتابة العلم، و ٨: ١٦١، كتاب الاعتصام ـ طبعة دار العامرة ـ استانبول، دار الفكر ـ بيروت.

٢ . البداية والنهاية، لإبن كثير ٥ : ٢١٣ ـ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣ . الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ : ١٧٦ الطبعة الأولى ـ مصر، الأزهرية ١٣٠١، هـ ـ [الشهيد]، لمّا ولي أبو بكر قال له أبوعبيدة: أنا أكفلك المال، وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء...وكان على مكّة عتاب بن أُسيد.

٤ . شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد ١ : ٦٤ طبعة مصطفى البابي ـ مصر [الشهيد]، وراجع تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٠، أخرج روايةً عن الأودي قال: «إنّ عمر بن الخطّاب لمّا طُعِنَ قيل له: ياأمير المؤمنين، لو استخلفت، قال: من أستخلف؟ لو كان أبوعبيدة بن الجرّاح حيّاً استخلفته...».

٥ . راجع تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٠ ، الأنساب، البلاذري ٥ : ١٦ [الشهيد].

وليست أمانة أبي عبيدة التي شهد له النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بها ـ بزعم الفاروق ـ هي السبب في ذلك، لأنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخصّه بالإطراء، بل كان في رجالات المسلمين يومئذ من ظفر بأكثر من ذلك من ألوان الثناء النبويّ[١] كما تقرّر ذلك صحاح السُنّة والشيعة.

(الخامس) اتّهام الزهراء للحاكمين بالحزبيّة السياسيّة، هو واضح من خطبتها المعروفة بعد أخذ فدك منها.

(السادس) قول أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ للفاروق(رضي الله عنه): احلب ياعمر! حلباً لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً[٢].

ومن الواضح أنّه يلمّح إلى تفاهم بين الشخصين على المعونة المتبادلة واتّفاق سابق على خطّة معيّنة; وإلاّ فلم يكن يوم السقيفة نفسه ليتّسع لتلك المحاسبات السياسيّة التي تجعل لعمر شطراً من الحلب.

(السابع) ماجاء في كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى محمّد بن أبي بكر ((رضي الله عنه)) في اتّهام أبيه وعمر بالاتفاق على غصب الحقّ العلوي والتنظيم السرّي لخطوط الحملة على الإمام، إذ قال له فيما قال: فقد كنّا وأبوك نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه (عليه الصلاة والسلام) ماعنده وأتمّ وعده وأظهر دعوته فأبلج حجّته وقبضه إليه (صلوات الله عليه) كان أبوك والفاروق أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على أمره، على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثمّ إنّهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم[٣].

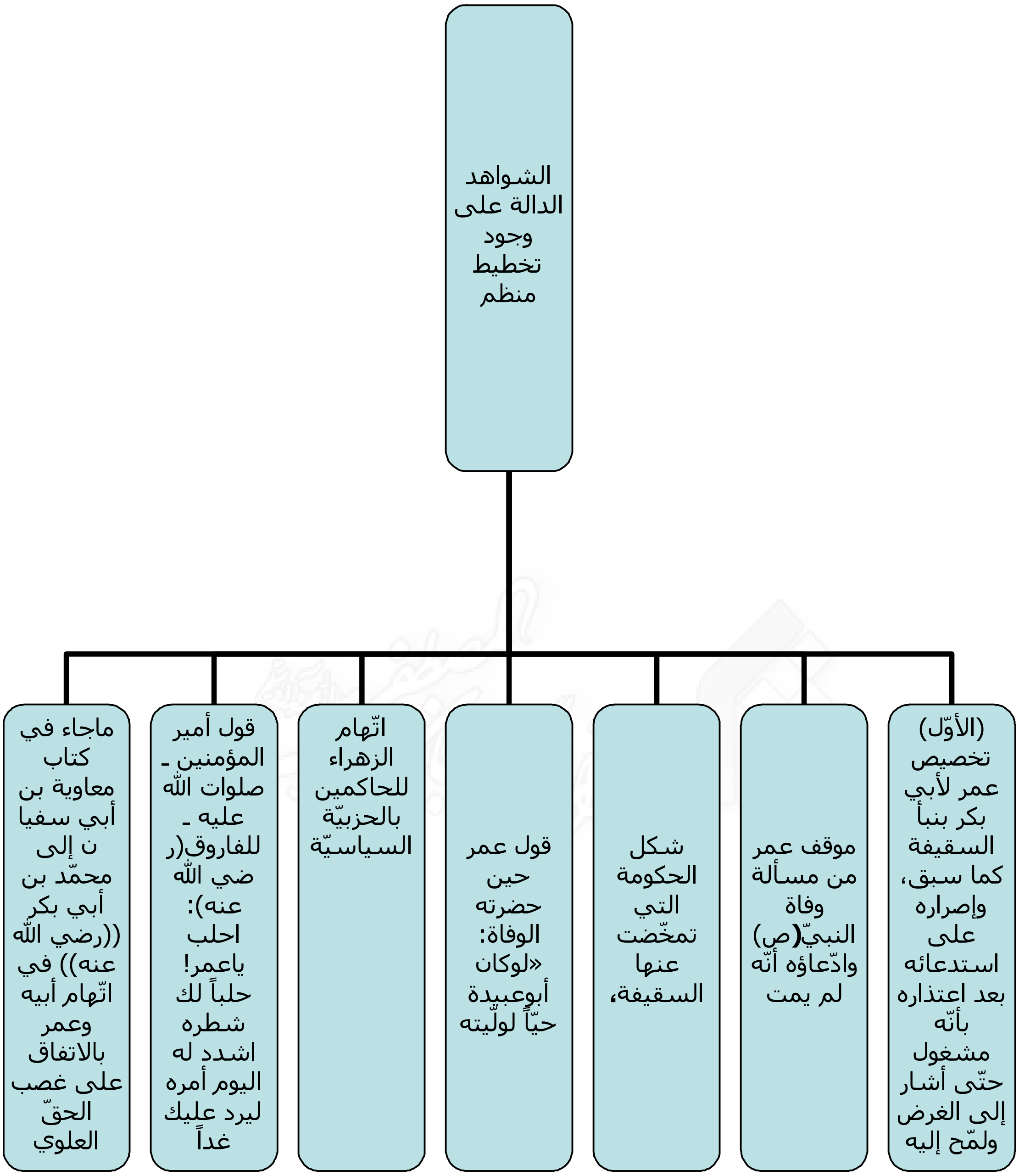
ونحن نلاحظ بوضوح عطفه طلب أبي بكر وعمر للبيعة من الإمام بـ (ثمّ) على كلمتي اتّفقا واتّسقا، وهو قد يشعر بأنّ الحركة كانت منظّمة بتنظيم سابق، وأنّ الاتّفاق على الظفر بالخلافة كان سابقاً على الايجابيات السياسيّة التي قاما بها في ذلك اليوم.

---

١ . راجع مثلا: مختصر تاريخ لإبن عساكر ١٧: ٣٥٦ وما بعدها، ففيه مناقب علي(عليه السلام) والثناء عليه، الخصائص، النسائي: ٧٢، ١١٣، مروج الذهب / المسعودي ٢ : ٤٣٧، مطبعة السعادة ط ٢ ـ مصر، ١٩٤٨ م.

٢ . راجع: شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد ٦ : ١١، الطبعة المحقّقة، و ٢ : ٥ ، من الطبعة المصرية ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي [الشهيد].

٣ . مروج الذهب، المسعودي ٣ : ١٩٩، تحقيق شارل بلا، بيروت، ١٩٧٠ كتاب معاوية إلى محمّد بن بكر: إنّ أباك أوّل من ابتزّه حقّه.



ولاأُريد أن أتوسّع في دراسة هذه الناحية التاريخية أكثر من هذا، ولكن هل لي أن ألاحظ في ضوء ذلك التقدير التاريخي، أنّ الخليفة لم يكن زاهداً في الحكم كما صوّره كثيرٌ من الباحثين؟ بل قد نجد في نفس المداورة التي قام بها الخليفة في السقيفة دليلا على تطلّعه للأمر، فإنّه بعد أن أعلن الشروط الأساسية للخليفة شاء أن يحصر المسألة فيه

فتوصّل إلى ذلك بأن ردّد الأمر بين صاحبيه[١] اللذين لن يتقدّما عليه، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الترديد أن يتعيّن وحده للأمر.

فهذا الإسراع الملحوظ من الخليفة إلى تطبيق تلك الصورة التي قدّمها للخليفة الشرعي في رأيه على صاحبيه خاصّة الذي لم يكن يؤدّي إلاّ إليه، كان معناه أنّه أراد أن يسلب الخلافة من الأنصار، ويقرّها في شخصه في آن واحد، ولذا لم يُبدِ تردّداً أو مايشبه التردّد لمّا عرض الأمر عليه صاحباه. وعمر نفسه يشهد لأبي بكر بأنّه كان مداوراً سياسياً بارعاً في يوم السقيفة في حديث طويل له يصفه فيه بأنّه أحسد قريش[٢].

ونجد فيما يروى عن الخليفتين في أيام رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مايدلّ على هوىً سياسي في نفسيّتهما، وأنّهما كانا يفكّران في شيء على أقلّ تقدير. فقد ورد في طرق العامّة أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبوبكر: أنا هو يارسول الله؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): لا، قال عمر: أنا هو يارسول الله؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): لاولكن خاصف النعل ـ يعني عليّاً»[٣].

والمقاتلة على التأويل إنّما تكون بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، والمقاتل لابدّ أن يكون أمير الناس، فتلهّف كل من أبي بكر وعمر على أن يكون هو المقاتل على التأويل مع أنّ القتال على التنزيل كان متيسّراً لهما في أيّام رسول الله(عليه السلام) ولم يشاركا فيه بنصيب قد يدلّ على ذلك الجانب الذي نحاول أن نستكشفه في شخصيّتهما.

---

١ . راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣ قال أبوبكر: «إنّي رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين: عمر أو أباعبيدة...».

٢ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ١٢٥، طبعة مصطفى البابي، مصر. [الشهيد] قال عمر: فأردت أن أتكلمّ فقال أبوبكر: على رسلك فتكلّم هو، والله ماترك من كلمّه أعجبتني في تزويري إلاّ قال في بديهته مثلها أو أقض. راجع صحيح البخاري، كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا.

٣ . الصواعق المحرقة، ابن حجر: ١٢٣، ط ٢، مكتبة القاهرة، ١٩٦٥، مسند الإمام أحمد ٣ : ٣٣ كنز العمال ١٥ : ٩٤، ط ٢ حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٨، خصائص أمير المؤمنين، النسائي الشافعي (ت ٣٠٣ هـ): ١٣١، طبعة طهران. راجع: التاج الجامع للأُصول ٣ : ٣٣٦.

بل أُريد أن أذهب إلى أكثر من هذا فأُلاحظ أنّ أُناساً متعدّدين كانوا يعملون في صالح أبي بكر وعمر[١] وفي مقدّمتهم عائشة وحفصة اللّتان أسرعتا باستدعاء والديهما عندما طلب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حبيبه في لحظاته الأخيرة[٢] التي كانت تجمع دلائل الظروف على أنّها الظرف الطبيعي للوصية ولابدّ أنّهما هما اللتان عنتهما الرواية التي تقول: إنّ بعض نساء النبيّ أرسلن رسولا إلى أُسامة لتأخيره عن السفر[٣]. فإذا علمنا هذا، وعلمنا أنّ هذا لم يكن بإذن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وإلاّ لما أمره بالإسراع بالرحيل لمّا قدم عليه بعد ذلك[٤]، وأنّ سفره مع من معه كان يعيق عن تحقّق النتائج التي أنتجها يوم السقيفة، خرجت لدينا قضية مرتّبة الحلقات على أُسلوب طبيعي يعزّز ماذهبنا إليه من رأي.

ومذهب الشيعة في تفسير ماقام به رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من تجنيد جيش أُسامة معروف، وهو أنّه أحسّ بأنّ اتّفاقاً ما بين جملة من أصحابه على أمر معيّن، وقد يجعل هذا الاتفاق منهم جبهة معارضة لعليّ(عليه السلام).

ونحن إن شككنا في هذا لا نشكّ في أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قد جعل أبابكر وعليّاً في كفّتَي الميزان مراراً أمام المسلمين جميعاً ليروا بأعينهم أنّهما لايستويان في الميزان العادل.

---

١ . قال الشهيد الصدر (معلِّقاً): وقد سُئل النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما هدّد طائفة من قريش برجل من قريش امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابهم على الدين، إنّ ذلك الرجل هل هو أبوبكر؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): لا، فقيل: عمر؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): لا...إلخ. مسند الإمام أحمد ٣: ٣٣، والرواية تهمل اسم السائل الذي توهّم أنّ الشخص الذي وصفه النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) هو أبوبكر أو عمر، وإذا لم يكن أبوبكر وعمر معروفين بشجاعة وبسالة في المشاهد الحربيّة على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فلابُدّ أنّ أمراً آخر دعا السائل إلى أن يسأل ذينك السؤالين والبقية أتركها لك.

٢ . راجع الرواية في سنن الكبرى، النسائي ٥ : ١٤٥، باب ٥٤ ، وأيضاً في مختصر تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٢١.

٣ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ٥٣ [الشهيد] الطبعة القديمة ـ المصرية ـ مصطفى البابي الحلبي.

٤ . في مسألة بعث أُسامة، وطلب الإسراع بتنفيذ الحملة التي أمّر فيها النبيّ أُسامة بن زيد على شيوخ المهاجرين والأنصار.

راجع الكامل في التاريخ ٢ : ٢١٨، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢ : ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

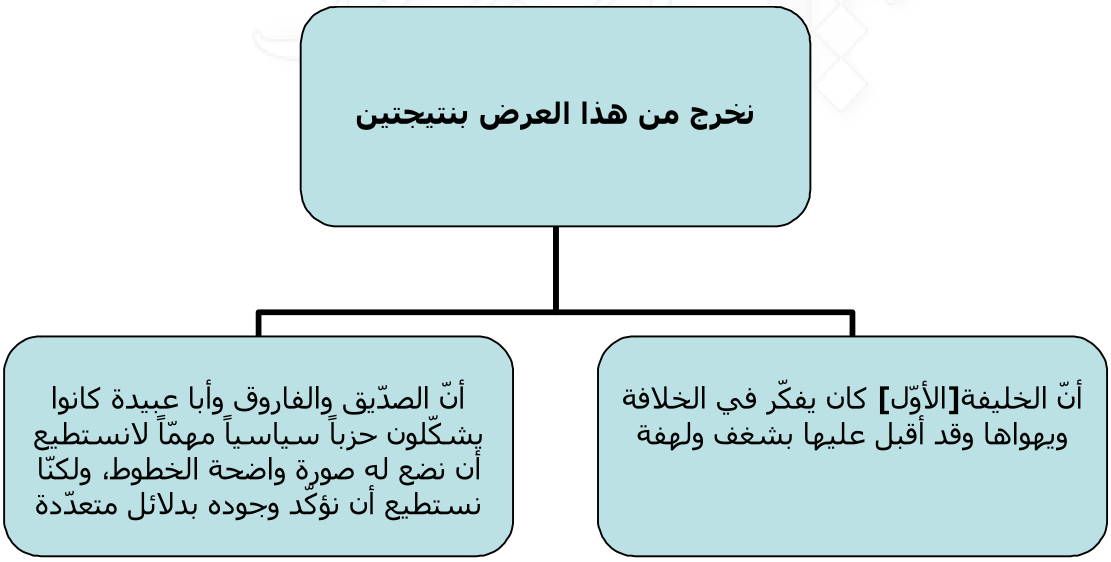
وإلاّ فهل ترى إعفاء أبي بكر[1] من قراءة التوبة على الكافرين بعد أن كُلّف بذلك، أمراً طبيعياً؟ ولماذا انتظر الوحي وصول أبي بكر إلى منتصف الطريق لينزل على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)ويأمره باسترجاعه وإرسال عليّ للقيام بالمهمّة؟ أفكان عبثاً أو غفلة أو أمراً ثالثاً؟

وهو أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أحسَّ بأنّ المنافس المتحفّز لمعارضة ابن عمّه ووصيّه هو أبو بكر، فشاء وشاء له ربّه تعالى أن يرسل أبابكر ثمّ يرجعه بعد أن يتسامع الناس جميعاً بإرساله ليرسل عليّاً(عليه السلام) الذي هو كنفسه[2] ليوضّح للمسلمين مدى الفرق بين الشخصين وقيمة هذا المنافس الذي لم يأتمنه الله على تبليغ سورة إلى جماعة، فكيف بالخلافة والسلطنة المطلقة؟!

إذن فنخرج من هذا العرض الذي فرض علينا الموضوع أن نختصره بنتيجتين:

(الأُولى) أنّ الخليفة[الأوّل] كان يفكّر في الخلافة ويهواها وقد أقبل عليها بشغف ولهفة.

(الثانية) أنّ الصدّيق والفاروق وأبا عبيدة كانوا يشكّلون حزباً سياسياً مهمّاً لانستطيع أن نضع له صورة واضحة الخطوط، ولكنّا نستطيع أن نؤكّد وجوده بدلائل متعدّدة[3].



١ . في قصّة إعفاء الخليفة الأوّل أبي بكر عن مهمّة تبليغ سورة براءة وإرسال علي بن أبي طالب(عليه السلام)لتنفيذ المهمّة، راجع: مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ : ٣، الكشاف، الزمخشري ٢ : ٢٤٣، الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٣٢، طبعة القاهرة.

٢ . راجع: الكشّاف، الزمخشري ١ : ٣٦٨. وكما هو مقتضى آية المباهلة، الصواعق المحرقة، ابن حجر: ١٥٦، أخرج الدارقطني احتجاج الإمام على القوم وإنّه كنفس النبيّ.

٣ . فدك في التاريخ: ٧٥ ـ ٨٣.

الخلاصة:

ان الشواهد العديدة التي اجتمعت من خلال نوعيّة تعامل الشيخين مع حادث وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والخلافة التي أسرعوا إليها وحرصوا على إحكام دعائمها في غير الخط الذي عيّنه لهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والمواقف التي تلت بيعة السقيفة من رموز هذا الخط وأعوانه والسائرين في دربه...كلها تدلّ بوضوح ـ لكل من له أدنى بصيرة ـ على التخطيط المسبق والاستعداد التام لاستلام زمام السلطة بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وإبعاد الإمام علي(عليه السلام) عن هذا الموقع القيادي بكل وسيلة ممكنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٢٩)

عقبات فى طريق الخلافة

المقدمة:

الهدف الدراسي: الاحاطة بما واجهتة الخلافة من عقبات ومطبات.

النتائج المتوخاة من الدرس:

١ـ الاطلاع على محاولات الحزب المتآمر لكسب أصوات المسلمين.

٢ـمعرفة المهاجرين والأنصار الذين امتنعوا من البيعة واسباب ذلك.

٣ ـ محاولة أبي بكر وعمر لكسب صوت العباس إلى جانبهم وتهديدهما له.وموقف العباس من محاولتهم.

٤ ـ سبب تحصّن أصحاب الإمام(عليه السلام) في بيت فاطمة(عليها السلام). ومن معه ونتيجة ذلك.

٥ ـ كيف تمكنت الزهراء(عليها السلام) أن تحول بين المتآمرين و فرض البيعة على الإمام(عليه السلام) ومتى بايع (عليه السلام).

المحتوى العلمى :

عقبات في طريق الخلافة

لمّا بويع أبوبكر في السَّقيفة وكان في الغد، جلس أبوبكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه...، وذكر أنَّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ولكنَّه كان يرى أنّ الرسول سيدبّر أمرهم ويكون آخرهم. ثمّ قال:

وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الّذي به هدى رسوله. فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له. وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ثاني اثنين إذ هما في الغار; فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبابكر بيعته العامَّة بعد بيعة السَّقيفة.

وفي البخاري: قال أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اِصعد المنبر. فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامّة.

ثم تكلّم أبوبكر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، أيّها النّاس! فإنّي قد وُلّيت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني ـ إلى قوله ـ : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم، يرحمكم الله[١].

فلمّا بويع أبوبكر أقبل الناس على جهاز رسول الله يوم الثلاثاء[٢].ثمّ دخل الناس يصلّون عليه[٣]. وصُلّي على رسول الله بغير إمام. يدخلُ عليه المسلمون زُمَراً زُمَراً يصلّون عليه[٤].

ودخل القبر عليّ، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولاه ـ ويقال: أسامة ابن زيد ـ وهم تولّوا غسله وتكفينه وأمره كلّه[٥]. وإنّ أبابكر وعمراً لم يشهدا دفن النبيّ[٦].

وقالت عائشة: ماعلمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف اللّيل، ليلة الأربعاء[١].

---

١ . ابن هشام، ٤ : ٣٤٠. والطبري ٣ : ٢٠٣ (و ط. أوربا ١ : ١٨٢٩).
٢ . سيرة ابن هشام ٤ : ٣٤٣. والطبري ٢ : ٤٥٠ (و ط. أوربا ١ : ١٨٣٠).
٣ . ابن هشام ٤ : ٣٤٣.
٤ . طبقات ابن سعد ٢ : ق ٢ : ٧٠. والكامل لابن الأثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ .
٥ . العقد الفريد ٣ : ٦١. وقريب منه نصّ الذهبي في تاريخه ١ : ٣٢١ و ٣٢٤ و ٣٢٦.
٦ . كنز العمال ٣ : ١٤٠.

عقبات في طريق استقرار الحزب الحاكم:

اندحر سعد ومرشِّحوه، وبقي عليّ(عليه السلام) وجماعته ـ بعد أن أصبحوا أقلّية ـ يتناحرون وحزب أبي بكر الظافر وكلّ يجتهد في جلب الأنصار لحوزته. قال الزبير بن بكار في الموفّقيات: لمّا بويع أبوبكر واستقرّ أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولامَ بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) وهتفوا باسمه[٢].

قال اليعقوبي[٣]: وتخلَّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع عليّ بن أبي طالب، منهم العبّاس بن عبدالمطّلب والفضل بن العبّاس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسيّ، وأبوذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبيّ بن كعب، فأرسل أبوبكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة. فقال: ما الرأي؟

قالوا[٤]:الرأي أن تلقى العبّاس بن عبدالمطَّلب فتجعل له في هذا الأمرنصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب وتكون لكما حجّة[٥] على عليّ إذا مال معكم.

فانطلق أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، والمغيرة، حتّى دخلوا على العباس ليلا[٦]، فحمد الله أبوبكر وأثنى عليه ثمّ قال:

إنّ الله بعث محمَّداً نبيّاً وللمؤمنين وليّاً. فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتّى اختار له ماعنده، فخلّى على الناس أُمورهم[٧] ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين[١].

---

١ . ابن هشام ٤ : ٣٤٤. والطبري ٢ : ٤٥٢ و ٤٥٥ (و ط. أوربا ١ : ١٨٣٣ و ١٨٣٧). وفي هذا النص دلالة واضحة على أن عائشة لم تكن حين دفن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في (حجرتهاو) بيتها الذي لا يبعد عن قبر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) سوى عدّة أمتار فقط. فأين كانت آنئِذٍ؟!

٢ . الموفقيات ص ٥٨٣.

٣ . في تاريخه ٢ : ١٢٤ ـ ١٢٥. والسَّقيفة لأبي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ٢ : ١٣ والتفصيل في ١ : ٧٤ منه. وبلفظ قريب منه في الإِمامة والسياسة ١ : ١٤.

٤ . في نصّ الجوهري أنّ قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

٥ . هذه الزيادة في نسخة الإِمامة والسياسة ١ : ١٤.

٦ . في رواية ابن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبيّ.

٧ . إنّ ضمير (هم) موجود في رواية ابن أبي الحديد.

فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً. فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وَهناً، ولا حيرةً، ولاجُبناً، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب. وما انفكَّ يبلغُني عن طاعن بقولِ الخلاف على عامّة المسلمين يتَّخذكم لجأً، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه. ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقِبك، إذ كنتَ عمَّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدَلوا الأمر عنكم)[٢] على رسْلكم بني هاشم فإنّ رسول الله منّا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: وأُخرى إنّا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كُرهاً أن يكون الطعن في مااجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم!

فحمد العبّاس الله وأثنى عليه وقال: إنّ الله بعث محمّداً كما وصفت نبيّاً، وللمؤمنين وليّاً، فمنّ على أمّته به، حتّى قبضه الله إليه واختار له ماعنده، فخلّى على المسلمين أُمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحقّ لامائلين بزيغ الهوى. فإن كنتَ برسول الله طلبتَ، فحقَّنا أخذتَ، وإن كنتَ بالمؤمنين أخذتَ فنحن منهم. فما تقدّمنا في أمرك فَرَطاً، ولا حَلَلْنا وسطاً، ولا بَرحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين. ماأبعد قولك من أَنَّهم طعنوا عليك من قولك أَنَّهم اختاروك ومالوا إليك; وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّى على الناس أُمورهم ليختاروا فاختارك.

فأمّا ماقلت: إنك تجعله لي، فإن كان حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم[٣] فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك، فإنّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.

---

١ . في نسخة الإمامة والسياسة وابن أبي الحديد ١ : ٧٤، (متفقين) وهو الأشبه بالصواب.

٢ . الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد والإمامة والسياسة.

٣ . في نسخة الجوهري والإمامة والسياسة: فإن يكن حقّاً لك فلا حاجة لنا فيه.

التحصّن في دار فاطمة(عليها السلام)

قال عمر بن الخطّاب: وإنّه كان من خبرنا حين توفّى الله نبيَّه أنّ عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة[١].

وقد تواتر حديث تخلّف عليّ(عليه السلام) ومن معه عن بيعة أبي بكر وتحصّنهم بدار فاطمة في كتب السير، والتواريخ، والصِّحاح والمسانيد، والأدب، والكلام، والتراجم، غير أنّهم لمّا كرهوا ماجرى بين المتحصِّنين والحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلاّ ماورد ذكره عفواً[٢]. ومن ذلك مارواه البلاذري وقال: بعث أبوبكر عمر بن الخطّاب إلى عليّ ـ رضي الله عنهم ـ حين قعد عن بيعته وقال: ائتني به بأعنف العنف. فلمّا أتاه جرى بينهما كلام فقال: احْلِبْ حَلَباً لك شطره; والله ماحرصك على إمارته اليوم إلاّ ليؤثرك غداً ـ الحديث[٣].

قال أبوبكر في مرض موته: أما إنّي لا آسي على شيء من الدّنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن، وددت أنّي تركتهن ـ إلى قوله ـ : فأمّا الثلاث الّتي فعلتها فوددتُ أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب[٤].

وفي تاريخ اليعقوبي: وليتني لم أفتّش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخِله الرجال ولو كان أغلق على حرب[٥].

وقد عدّ المؤرّخون في الرجال الّذين دخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلاًّ من:

١ ـ عمر بن الخطاب ٢ ـ خالد بن الوليد

٣ ـ عبد الرحمن بن عوف ٤ ـ ثابت بن قيس بن شمّاس

٥ ـ زياد بن لبيد ٦ ـ محمَّد بن مسلمة

١ . مسند أحمد ١ : ٥٥ ، والطبري ٢ : ٤٦٦ (ط. أوربا ١ : ١٨٢٢). وابن الأثير ٢ : ١٢٤. وابن كثير ٥ : ٢٤٦. وصفوة الصفوة ١ : ٩٧، وابن أبي الحديد ١ : ١٢٣، وتاريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص ٤٥، وابن هشام ٤ : ٣٣٨، وتيسير الوصول ٢ : ٤١.

٢ . صرّحت المصادر الآتية بالإضافة إلى المصادر المذكورة آنفاً أنّ هؤلاء كانوا قد تخلّفوا عن بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة. ومن هذه المصادر ماذكرت اسم بعضهم وأنّهم اجتمعوا ليبايعوا عليّاً(عليه السلام). الرياض النضرة ١ : ١٦٧. وتاريخ الخميس ١ : ١٨٨. وابن عبد ربّه ٣ : ٦٤. وتاريخ أبي الفداء ١ : ١٥٦. وابن شحنة بهامش الكامل ١١٢. والجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١ : ١٣٠ ـ ١٣٤ والحلبية ٣ : ٣٩٤ و ٣٩٧.

٣ . أنساب الأشراف ١ : ٥٨٧ .

٤ . الطبري ٢ : ٦١٩ (و ط. أوربا ١ : ٢١٤٠) عند ذكره وفاة أبي بكر. ومُروج الذَّهب ١ : ٤١٤، وابن عبد ربّه ٣ : ٦٩ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر. والكنز ٣ : ١٣٥.

٥ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١٥.

٧ ـ زيد بن ثابت[١] ٨ ـ سلمة بن سلامة بن وقش
٩ ـ سلمة بن أسلم ١٠ ـ أسيد بن حضير[٢]

وذكروا كيفيّة كشف بيت فاطمة(عليها السلام) وما جرى للمتحصّنين وهؤلاء الرجال فقالوا: إنّه غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) والزبير، فدخلا بيت فاطمة ومعهما السِّلاح[٣]، فبلغ أبابكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتعوا مع عليّ بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله[٤]، وأنّهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليّاً[٥].

فبعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا ابن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا!؟ قال: نعم، أو تدخلوا في مادخلت فيه الأمّة![٦].

وفي أنساب الأشراف: فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: ياابن الخطّاب أتراك محرقاً عليّ بابي!؟ قال: نعم...[٧].

وقال اليعقوبي: فأتوا في جماعة حتّى هجموا على الدار ـ إلى قوله ـ : وكسر سيفه ـ أي سيف عليّ ـ ودخلوا الدار[١].

---

١ . راجع أنساب الأشراف ١ : ٥٨٥ .

٢ . الطبري ٢ : ٤٤٣ و ٤٤٤، وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١ : ١٣٠ ـ ١٣٤، و ٢ : ٨١٩ .

٣ . الرياض النضرة ١ : ٢١٨ ط. مصر الثانية سنة ١٣٧٢، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١ : ١٣٢، و ٦ : ٢٩٣، وتاريخ الخميس ٢ : ١٦٩ ط. مؤسسة شعبان ـ بيروت (ب . ت).

٤ . اليعقوبي ٢ : ١٢٦.

٥ . ابن أبي الحديد ١ : ١٣٤،وابن شحنة بهامش الكامل١١٢:١١بلفظ:«ومالوامع علي بن أبي طالب».

٦ . ابن عبد ربّه، ٣ : ٦٤، وأبو الفداء، ١ : ١٥٦.

٧ . أنساب الأشراف ١ : ٥٨٦ . وراجع كنز العمال ٣ : ١٤٠. والرياض النضرة، ١ : ١٦٧، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد، ١ : ١٣٢، و ج ٦ في الصفحة الثانية منه، والخميس ١ : ١٧٨، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١ : ١٣٤، وتاريخ ابن شحنة ص ١١٣ بهامش الكامل ١١ : ١١٣.

مروج الذهب ٢ : ١٠٠ وأورده ابن أبي الحديد ٢٠ : ٤٨١ ط. ايران، عند شرحه قول علي(عليه السلام) «الزبير منّا حتّى نشأ ابنه».

ديوان حافظ إبراهيم ط . المصرية.

وقال الطبري:أتى عمربن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه[٢].

وقال أبوبكر الجوهري: وعليّ يقول: «أنا عبدالله وأخو رسول الله» حتّى انتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل مااحتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ماعرفت الأنصار لكم، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: إنّك لست متروكاً حتى تبايع. فقال له علي: اِحْلِب ياعمر حَلَباً لك شطره; اشدد له اليوم أمره ليردَّ عليك غداً. لا والله، لاأقبل قولك ولا أتابعه، فقال له أبوبكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك.

فقال له أبوعبيدة: يا أبا الحسن! إنّك حدث السّن وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبابكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالا له واضطلاعاً به، فسلِّم له هذا الأمر وارض به; فإنّك إن تعش ويطُل عمرك فأنت لهذا الأمر لخليق وعليه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك.

فقال عليّ: يامعشر المهاجرين! الله! الله! لاتُخرجوا سلطان محمّد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقِّه. فوالله يامعشر المهاجرين، لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم أما كان منّا القاريء لكتاب الله، الفقيه لدين الله، العالم بالسنّة، المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنّه لفينا، فلا تتَّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً.

فقال بشير بن سعد: لوكان هذا الكلام سمعَتْه منك الأنصار ياعليّ قبل بيعتهم لأبي بكر مااختلف عليك اثنان، ولكنّهم قد بايعوا. وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع. رواه أبوبكر الجوهري كما في شرح النهج ٢ / ٢ ـ ٥. وروى أبوبكر الجوهري أيضاً وقال:

ورأت فاطمة ماصُنع بهما ـ أي بعليّ والزبير ـ فقامت على باب الحجرة وقالت: ياأبا بكر، ماأسرع ماأغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لاأكلِّم عمر حتى ألقى الله[١].

---

١ . اليعقوبي ٢ : ١٢٦.

٢ . الطبري ٢ : ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٦ (و ط. أوربا ١ : ١٨١٨ و ١٨٢٠ و ١٨٢٢) وقد أورده العقّاد في عبْقريّة عمر ص ١٧٣. وذكر كسر سيف الزبير المحبّ الطبري في الرياض النضرة ١ : ١٦٧. والخميس ١ : ١٨٨. وابن أبي الحديد ١ : ١٢٢ و ١٣٢ و ١٣٤ و ٥٨، و ٢ : ٢ ـ ٥ . وكنز العمال ٣ : ١٢٨.

وفي رواية أخرى: وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فَنَهْنَهَت من الناس[٢].

وقال اليعقوبي: فخرجت فاطمة، فقالت: والله لتخرجنَّ أو لأكشفنَّ شعري ولأعجَّنَّ إلى الله. فخرجوا وخرج من كان في الدار[٣].

وقال المسعودي: لمّا بويع أبوبكر في السَّقيفة وجدِّدت له البيعة يوم الثلاثاء، خرج عليّ فقال: أفسدت علينا أُمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقّاً!

فقال أبوبكر: بلى ولكنّي خشيت الفتنة[٤].

قال اليعقوبي: واجتمع جماعة إلى عليّ بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة، فقال لهم: اغدوا علَيَّ محلِّقين الرؤوس. فلم يغد إلاّ ثلاثة نفر[٥].

ثمّ إنّ عليّاً حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له; فكانوا يقولون:

يابنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمّك سبق إلينا أبابكر ما عدلنا به.

فقال عليّ: أفكنت أترك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ميّتاً في بيته لم أُجهّزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه!؟

فقالت فاطمة:

ماصنع أبوالحسن إلاّ ماكان ينبغي له، ولقد صنعوا ماالله حسيبهم عليه[٦].

وروى مُعَمَّر عن الزُّهري عن عائشة في حديثها عمّا جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قالت:

فهجرته فاطمة، فلم تُكَلِّمه حتّى تُوفّيت وعاشت بعد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ستّة أشهر. فلمّا تُوفيت دفنها زوجها، ولم يؤذِن بها أبابكر وصلّى عليها. وكان لعليّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلمّا تُوفّيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ. ومكثت فاطمة ستّة أشهر بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ توفّيت. قال معمّر:

---

١ . برواية ابن أبي الحديد ١ : ١٣٤، و ٢ : ٢ ـ ٥.

٢ . السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١ : ١٣٤.

٣ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٦.

٤ . مروج الذهب ١ : ٤١٤. والإمامة والسياسة ١ : ١٢ ـ ١٤ مع اختلاف.

٥ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٦، وفي شرح نهج البلاغة ٢ : ٤.

٦ . أبوبكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ٦ : ٥ ـ ٢٨، ط. المصرية وابن قتيبة ١ : ١٢.

ابن أبي الحديد ٢ : ٦٧. وصفيّن لنصر بن مزاحم ص ١٨٢.

فقال رجل للزُّهري: أفلم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟

قال: لا[١]، ولا أحد من بني هاشم حتّى بايعه عليّ. فلمّا رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضَرَع إلى مصالحة أبي بكر ـ الحديث[٢].

وقال البلاذُري: لمّا ارتدَّت العرب، مشى عُثمان إلى عليّ فقال: ياابن عمّ، إنّه لايخرج أحد إلى قتال هذا العدوّ، وأنت لم تبايع. فلم يزل به حتّى مشى إلى أبي بكر فبايعه. فسُرّ المسلمون، وجدّ الناس في القتال وقطعت البعوث[٣].

ضرع عليّ إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وانصراف وجوه الناس عنه، غير أنّه بقي يشكو ممّا جرى عليه بعد وفاة النبيّ حتّى في أيّام خلافته. وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشّقشقيّة.

المتخلّفون عن البيعة:

١. فروه بن عمرو
٢. خالد بن سعيد الأموي
٣. أبان بن سعيد الأموي ولم يبايعا حتى بايع علي وبنو هاشم
٤. سعد بن عبادة الخزرجي[٤]

---

١ . في تيسير الوصول ٢ : ٤٦: (قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم).

٢ . قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كلّ من الطبري ٢ : ٤٤٨ (و ط. أوربا ١ : ١٨٢٥). وصحيح البخاري، كتاب ألمغازلي، باب غزوة خيبر، ٣ : ٣٨. وصحيح مسلم ١: ٧٢، و ٥ : ١٥٣، باب قول رسول الله: «نحن لانورث; ماتركناه صدقة»، وابن كثير ٥ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦، وابن عبد ربّه ٣ : ٦٤. وقد أورده ابن الأثير ٢ : ١٢٦ مختصراً. والكنجي في كفاية الطالب ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦. وابن أبي الحديد ١ : ١٢٢. والمسعودي ٢ : ٤١٤ من مروج الذهب. وفي التنبيه والإِشراف له ص ٢٥٠: (ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة). والصواعق ١ : ١٢. وتاريخ الخميس ١ : ١٩٣. وفي الإِمامة والسياسة ١ : ١٤، أنّ بيعة علي كانت بعد وفاة فاطمة وأنّها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً. وفي الاستيعاب ٢ : ٢٤٤، أن عليّاً لم يبايعه إلاّ بعد موت فاطمة. وأبو الفداء ١ : ١٥٦. والبدء والتاريخ ٥ : ٦٦. وأنساب الأشراف ١ : ٥٨٦. وفي أسد الغابة ٣ : ٢٢٢ بترجمة أبي بكر: (كانت بيعتهم بعد ستّة أشهر على الأصحّ). وقال اليعقوبي ٢ : ١٢٦ (لم يبايع علي إلاّ بعد ستة أشهر) وفي الغدير ٣ : ١٠٢ عن الفصل لابن حزْم ص ٩٦ ـ ٩٧ «وجدنا عليّاً(رضي الله عنه) تأخر عن البيعة ستة أشهر».

٣ . انساب الأشراف ١ : ٥٨٧ .

٤ . الموفقيات: ٥٩٠ وأسد الغابة ٢ : ٨٢ وابن الأثير ٢ : ١٢٦ والرياض النضرة ١ : ١٦٨ راجع تفاصيل هذا البحث في معالم المدرستين ١ : ١٥٨ ـ ١٧٧.

الخلاصة:

١. بالرغم من محاولات الحزب المتآمر على خط الإمامة لكسب أصوات المسلمين بقيت ثّلة من المهاجرين والأنصار إلى جانب الإمام علي(عليه السلام) ولم يخضعُوا لإرعاب الحزب المسيطر.

٢. ولم يستطع المتآمرون كسب صوت العباس عم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جانبهم.

٣. وتحصّن الإمام(عليه السلام) مع جمع من أصحابه في دار فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

٤. وقد لجأ الحاكمون لكسر هذا التحصن بالقوّة وإضرام النار عليهم لإخراجهم وأخذ البيعة منهم بالقوّة.

٥. واستطاعت الزهراء(عليها السلام) أن تمنع المتآمرين من فرض بيعتّهم بالقوة، ولكن الظروف العصيبة التي ألمّت بالكيان الإسلامي دعت الإمام عليّاً(عليه السلام) وأصحابه إلى البيعة وذلك بعد وفاة الزهراء(عليها السلام).

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٠)

موقف الحزب الحاكم من المعارضة

المقدمة:

الهدف الدرسي: الاطلاع على موقف الحزب الحاكم من المعارضة وكيفية تعاطيه معها

النتائج المتوخاة من الدرس:
التعرف الى:

١ـ تصنّيف جبهة المعارضة وموقف الحاكمين من كل صنف.
٢ ـ سبب عدم خشية الحزب الحاكم من معارضة أبي سفيان.
٣ ـ التناقض الذي وقع فيه الحزب الحاكم تجاه الهاشميين.
٤ ـ كيفية معالجة الحزب الحاكم لمعارضة الهاشميين.وسبب قراره بحرمان الهاشميين من السلطة.
٥ ـ كيف قضى الحزب الحاكم على القوة المادية للإمام علي(عليه السلام).

المحتوى العلمى :

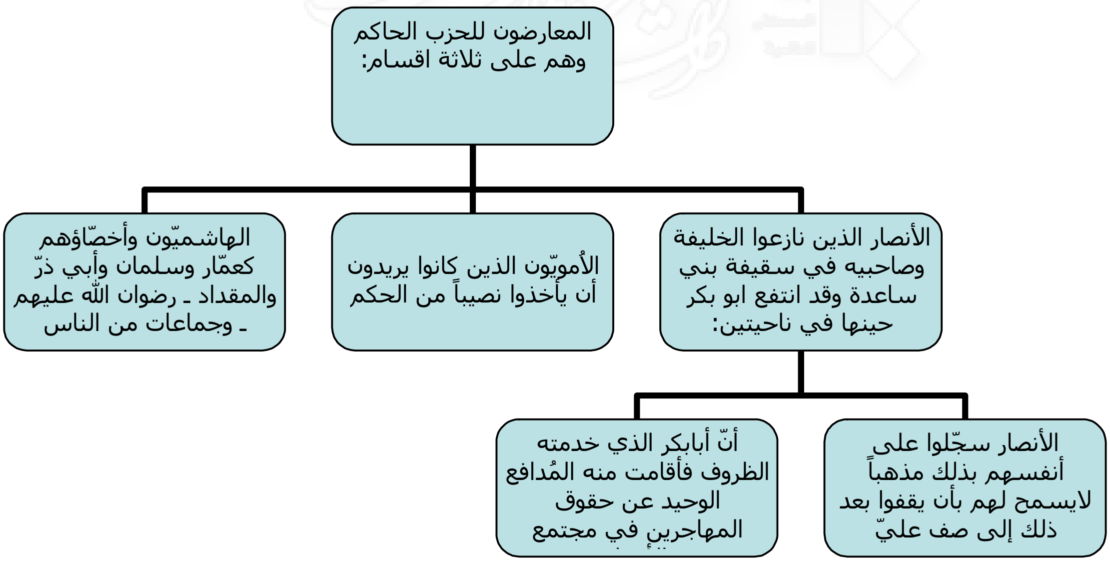
موقف الحزب الحاكم من المعارضة

إنّ الحزب الثلاثي الذي قُدّر له أن يلي الأمور يومئذ كان له معارضون على ثلاثة أقسام:

الأوّل: الأنصار الذين نازعوا الخليفة وصاحبيه في سقيفة بني ساعدة ووقعت بينهم المحاورة السابقة التي انتهت بفوز قريش بسبب تركّز فكرة الوراثة الدينية في الذهنية العربية، وانشقاق الأنصار[١] على أنفسهم; لِتمَكُّن النزعة القبلية من نفوسهم.

الثاني: الأمويّون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا نصيباً من الحكم ويسترجعوا شيئاً من مجدهم السياسي[٢] في الجاهلية وعلى رأسهم أبوسفيان.

الثالث: الهاشميّون وأخصّاؤهم كعمّار وسلمان وأبي ذرّ والمقداد ـ رضوان الله عليهم ـ وجماعات من الناس[٣] الذين كانوا يرون البيت الهاشمي هو الوارث الحقيقي لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) للنص القطعي.



---

١ . راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٤٣.
٢ . المصدر السابق ٢: ٢٣٧.
٣ . المصدر السابق ٢: ٢٣٣.

واشتبك أبوبكر وصاحباه في النزاع مع القسم الأوّل في سقيفة بني ساعدة، وركّزوا في ذلك الموقف دفاعهم عمّا زعموا من حقوق على نقطة كانت ذات وجاهة في نظر كثير من الناس; فإنّ قريشاً مادامت عشيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصّته[1] فهي أولى به من سائر المسلمين وأحقّ بخلافته وسلطانه.

وقد انتفع أبوبكر وحزبه باجتماع الأنصار في السقيفة من ناحيتين:

الأولى: أنّ الأنصار سجّلوا على أنفسهم بذلك مذهباً لايسمح لهم بأن يقفوا بعد ذلك إلى صف عليّ ويخدموا قضيّته بالمعنى الصحيح كما سنوضّحه.

الثانية: أنّ أبابكر الذي خدمته الظروف فأقامت منه المُدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين في مجتمع الأنصار لم يكن ليتهيّأ له ظرف أوفق بمصالحه من ظرف السقيفة; إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهي المسألة في محضرهم إلى نتيجتها التي سجّلتها السقيفة في ذلك اليوم.

وخرج أبوبكر من السقيفة خليفة وقد بايعه جمع من المسلمين الذين أخذوا بوجهة نظره في مسألة الخلافة أو عزّ عليهم أن يتولاّها سعد بن عبادة.

ولم يعبأ الحاكمون بمعارضة الأُمويين وتهديد أبي سفيان وما أعلنه من كلمات الثورة بعد رجوعه من سفره الذي بعثه فيه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لجباية الأموال; لعلمهم بطبيعة النفس الأُموية وشهواتها السياسية والمادية. فكان من السهل كسب الأُمويّين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبوبكر فأباح لنفسه أو أباح له عمر بتعبير أصحّ كما تدلّ الرواية[2]، أن يدفع لأبي سفيان جميع مافي يده من أموال المسلمين وزكواتهم[3] ثمّ جعل للأمويّين[4] بعد ذلك حظّاً من العمل الحكومي في عدّة من المرافق الهامّة.

---

١ . تاريخ الطبري ٢: ٢٤٣، قولة الخليفة الأوّل: «من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلاّ مُدلٍّ بباطل أو متجانف لإثم...».

٢ . راجع شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ١٣٠ طبعة القاهرة ـ مصطفى البابي. [الشهيد.]

٣ . قد نستطيع أن نجيب في ضوء هذه القصة عمّا عرض لنا من سؤال في بداية هذا الفصل عن موقف الخليفتين لو قُدّر لهما أن يقفا موقف عليّ الذي كان يفرض عليه أن يغري كثيراً من أمثال أبي سفيان بالمال والجاه. [الشهيد].

٤ . راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧، أخرج عن ثابت قال: لمّا استخلف أبوبكر قال أبوسفيان: مالنا ولأبي فصيل، إنّما هي بنو عبدمناف!

قال: فقيل له: إنّه قد ولّى ابنك، قال ـ أي أبوسفيان ـ : وَصَلَتْه رَحِم...

وهكذا نجح الحزب الحاكم في نقطتين، ولكن هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسي واضح; لأنّ ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابة من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)حساباً في مسألة الخلافة ويقرّوا مذهب الوراثة للزعامة الدينية.

غير أنّ الحال تبدّلت بعد موقف السقيفة والمعارضة اتّخذت لها لوناً جديداً وواضحاً كل الوضوح يتلخّص في أنّ قريشاً إذا كانت أولى برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من سائر العرب لأنّه منها، فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقية قريش.

وهذا ما أعلنه عليّ حين قال: إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)كانت الحجّة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم وإلاّ فالأنصار على دعوتهم[١]، وأوضحه العبّاس لأبي بكر في حديث له معه إذ قال له: وأمّا قولك نحن شجرة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فإنّكم جيرانها ونحن أغصانها[٢].

وقد كان عليّ(عليه السلام) الذي تزعّم معارضة الهاشميين مصدر رعب شديد في نفوس الحاكمين; لأنّ ظروفه الخاصّة كانت تمدّه بقوّة على لونين من العمل الإيجابي ضدّ الحكومة القائمة:

أحدهما: ضمّ الأحزاب المادية إلى جانبه كالأمويّين والمغيرة بن شعبة وأمثالهم ممّن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع ويفاوضون الجهات المختلفة في اشترائها بأضخم الأثمان، كما نعرف ذلك من كلمات أبي سفيان التي واجه بها خلافة السقيفة يوم وصوله إلى المدينة، وحديثه مع عليّ وتحريضه له على الثورة، وميله إلى جانب الخليفة، وسكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفة عن أموال المسلمين[٣] التي كان قد جباها في سفره، وموقف عتاب بن أُسيد الذي سنشير إلى سرّه.

إذن فقد كان الهوى المادّي مستولياً على جماعة من الناس يومئذ.

ومن الواضح أنّ عليّاً(عليه السلام) كان يتمكّن من إشباع رغبتهم بما خلّفه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)من الخمس وغلاّت أراضيه في المدينة وفدك التي كانت ذات نتاج عظيم.

---

١ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦ : ٥ .

٢ . نفس المصدر.

٣ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ١٣٠، طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.

والطور الآخر: من المقاومة التي كان عليّ مزوّداً بإمكانيّاتها مالمّح إليه بقوله: «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»، وأعني بذلك أنّ الفكرة العامّة التي اجتمعت يومئذ[1] على تقديس أهل البيت(عليهم السلام) والاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقربهم من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كانت سنداً قويّاً للمعارضة.

وقد رأى الحزب الحاكم أنّ موقفه الماديّ حرِج جدّاً; لأنّ أطراف المملكة التي تجبى منها الأموال لاتخضع للحكم الجديد إلاّ إذا استقرّت دعائمه في العاصمة، والمدينة بعد لم تخضع له خضوعاً إجماعياً.

ولئن كان أبوسفيان أو غير أبي سفيان قد باع صوته للحكومة، فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر اتّفاقاً أكثر منها ربحاً، وهذا ماكان يستطيع عليّ أن يقوم به في كل حين. فيجب والحالة هذه أن تنتزع من عليّ ـ الذي لم يكن مستعدّاً للمقابلة في تلك الساعة ـ الأموال التي صارت مصدراً من مصادر الخطر على مصالح الحزب الحاكم ليضمن بقاء الأنصار على نصرتهم، وعدم قدرة المعارضين على إنشاء حزب من أصحاب المطامع والأهواء يومذاك.

ولا يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسة الفئة المسيطرة مادام منطبقاً على طبيعة السياسة التي لابدّ من انتهاجها. وما دمنا نعلم أنّ الصدّيق اشترى صوت الحزب الأُموي بالمال; فتنازل لأبي سفيان عن جميع ماكان عنده من أموال المسلمين، وبالجاه أيضاً إذ ولّى ابن أبي سفيان; فقد جاء أنّ أبابكر لمّا استُخلف قال أبوسفيان: مالنا ولأبي فصيل إنّما هي بنو عبد مناف، فقيل له أنّه قد ولّى ابنك قال: وَصَلَتْهُ رَحِمٌ[2].

فلا غرابة في أن ينتزع أبوبكر من أهل البيت أموالهم المهمّة ليركّز بذلك حكومته، أو أن يخشى من عليّ(عليه السلام) أن يصرف حاصلات فدك وغير فدك على الدعوة إلى نفسه.

ولا ننسى أن نلاحظ أنّ الظروف الاقتصادية العامّة كانت تدعو إلى الارتفاع بماليّة الدولة والاهتمام بإكثارها استعداداً للطواريء المترقّبة; فلعلّ هذا قد حدى بالحاكمين

١ . شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد ٦: ٢١، روي الزبير بن بكار، قال: روى محمّد بن إسحاق أنّ أبابكر لمّا بويع افتخرت تيم بن مرّة، قال: وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لايشكّون أنّ علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

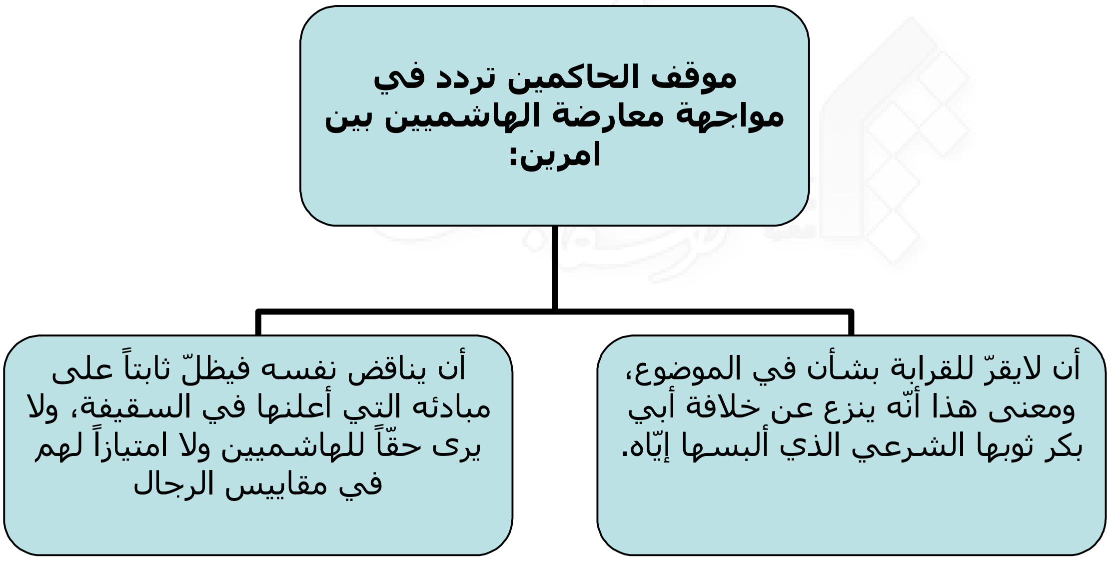
٢ . راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧ طبعة المكتبة العلمية. [الشهيد].

إلى انتزاع فدك، كما يتبيّن ذلك بوضوح من حديث لعمر مع أبي بكر يمنعه[١] فيه عن تسليم فدك إلى الزهراء(عليها السلام). ويعلّل ذلك بأنّ الدولة في حاجة إلى المال لإنفاقه في توطيد الحكم، وتأديب العُصاة، والقضاء على الحركات الانفصالية التي قد يقوم بها المرتدّون.

وقد تردّد الحزب الحاكم في معالجة الأسلوب الثاني من المعارضة بين اثنتين:

إحداهما: أن لايقرّ للقرابة بشأن في الموضوع، ومعنى هذا أنّه ينزع عن خلافة أبي بكر ثوبها الشرعي الذي ألبسها إيّاه.

والأُخرى: أن يناقض نفسه فيظلّ ثابتاً على مبادئه التي أعلنها في السقيفة، ولا يرى حقّاً للهاشميين ولا امتيازاً لهم في مقاييس الرجال، أو يراه لهم ولكن في غير ذلك الظرف الذي يكون معنى المعارضة فيه مقابلة حكم قائم ووضع تعاقد عليه الناس.



واختارت الفئة المسيطرة أن تثبت على آرائها التي روّجتها في مؤتمر الأنصار وتعترض على المعارضين بأنّ مخالفتهم بعد بيعة الناس للخليفة ليست إلاّ إحداثاً للفتنة[٢] المحرّمة في عرف الإسلام.

---

١ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٧٤، «وقد رُوي أنّ أبابكر لمّا شهد أمير المؤمنين(عليه السلام)(بفدك) كتبَ بتسليمها إليها ـ إلى فاطمة ـ فاعترض عمر قضيته وخرّق ماكتبه...»، السيرة الحلبية ٣ : ٣٩١.

٢ . تاريخ الطبري ٢: ٢٣٤ ـ ٢٣٥ أحداث قصّة السقيفة، وراجعها في الكامل لإبن الأثير.

وهذا هو الأُسلوب الوقتي الذي اتّخذه الحاكمون للقضاء على هذا الجانب من المعارضة الهاشمية، وقد ساعدتهم الظروف الإسلامية الخاصّة يومئذ على نجاحه.

غير أنّنا نحسّ ـ ونحن ندرس سياسة الحاكمين ـ بأنّهم انتهجوا منذ اللحظة الأُولى سياسة معيّنة تجاه آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) للقضاء على الفكرة التي أمدّت الهاشميّين بقوّة على المعارضة كما خنقوا المعارضة نفسها. ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنّها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمي، وإبعاد أنصاره والمخلصين له عن المرافق الهامّة في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذ وتجريده عمّا له من الشأن والمقام الرفيع في الذهنية الإسلامية.

وقد يعزّز هذا الرأي عدّة ظواهر تاريخية:

الأولى: سيرة الخليفة وأصحابه مع عليّ(عليه السلام) التي بلغت من الشدّة أنّ عمر هدّد بحرق بيته وإن كانت فاطمة فيه[١]، ومعنى هذا إعلان أنّ فاطمة وغير فاطمة من آلها ليس لهم حرمة تمنعه عن أن يتّخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عبادة حين أمرَ الناسَ بقتله[٢].

ومن صور ذلك العنف: وصف الخليفة لعليّ بأنّه مربّ لكلّ فتنة وتشبيهه له بأُمّ طحال أحبُّ إلى أهلها إليها البغي[٣]، وقد قال عمر لعليّ بكلّ وضوح: إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) منّا ومنكم.

الثانية: أنّ الخليفة الأوّل لم يشرك شخصاً من الهاشميّين في شأن من شؤون الحكم المهمّة، ولا جعل فيهم والياً على شبر من المملكة الإسلامية الواسعة مع أنّ نصيب الأُمويّين في ذلك كان عظيماً[٤].

وأنت تفهم بوضوح أنّ هذا وليد سياسة متعمّدة من محاورة وقعت بين عمر وابن عبّاس أظهر فيها تخوّفه من تولية الثاني حمصاً; لأنّه يخشى إذا صار الهاشميّون ولاة على أقطار المملكة الإسلامية أن يموت وهم كذلك فيحدث في أمر الخلافة مالا يريد[١].

---

١ . المصدر ٢: ٢٣٣،العقد الفريد،ابن عبد ربّه ٤: ٢٤٢ ومابعدها،شرح ابن أبي الحديد ١٦:٤٧ـ ٤٨.

٢ . راجع المصدر ٢: ٢٤٤ في قصّة السقيفة...فقال ناسٌ من أصحاب سعد: «اتّقوا سعداً لا تطؤوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله، ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممتُ أن أطأك حتّى تُنْدَرَ عضدك...».

٣ . شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٥.

٤ . تاريخ الطبري ٢: ٣٣٧، ثمّ تولية الخليفة الأوّل معاوية بن أبي سفيان وأُقرّت الولاية من قِبل الخليفة الثاني.

ونحن إذا عرفنا من رأي عمر أنّ ظفر بيت من البيوت الطامحة إلى السلطان بالولاية في الأقطار الإسلامية يهيِّئُهُم لنَيل الخلافة والمركز الأعلى، ولاحظنا أنّ الأُمويّين ذوي الألوان السياسية الواضحة كان فيهم ولاة احتلّوا الصدارة في المجالات الإدارية أيام أبي بكر وعمر، وأضفنا إلى ذلك أنّه كان يعلم على أقل تقدير بأنّ الشورى التي ابتكرها سوف تجعل من شيخ الأُمويّين (عثمان) خليفة، خرجنا بنتيجة مهمّة وتقدير تاريخي تدلّ على صحّته عدّة من الظواهر، وهو أنّ الخليفتين كانا يهيّئان للسلطان الأُموي أسبابه ومعدّاته، وهما يعلمان حقّ العلم أنّ إنشاء كيان سياسي من جديد للأُمويين ـ وهم خصوم بني هاشم القدامى ـ معناه تقديم المنافس للهاشميّين في زعيم أُمويّ، وتطوّر المعارضة الفردية للبيت الهاشمي إلى معارضة بيت مستعد للنزاع والمنافسة أكمل استعداد.

ومن شأن هذه المعارضة أنّها تطول وتتّسع لأنّها ليست متمثّلة في شخص بل في بيت كبير، ونستطيع أن نفهم من هذا أنّ سياسة أبي بكر وعمر هي التي وضعت الحجر الأساسي لملك بني أُميّة حتّى يَضْمَنا بذلك المنافس لعليّ(عليه السلام) وآل عليّ(عليهم السلام) على طول الخطّ[٢].

الثالثة: عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لالشيء إلاّ لأنّ عمر نبّهه إلى نزعته الهاشمية وميله إلى آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وذكّره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[٣].

ولو كنّا نريد التوسّع في دراسة هذه الناحية لعطفنا على هذه الشواهد قصّة الشورى العمرية[٤]التي نزل فيها عمر بعليّ(عليه السلام) إلى صفّ أشخاص خمسة لايكافئون عليّاً(عليه السلام) في شيء من معانيه المحمّدية، وقد كان الزبير ـ وهو أحد الخمسة ـ يرى يوم توفّي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)أنّ الخلافة حقّ شرعي

---

١ . راجع مروج الذهب على هامش الجزء الخامس من تاريخ ابن الأثير ص ١٣٥. [الشهيد]. تاريخ الطبري ٢: ٥٧٨، طبعة دار الكتب العلمية.

٢ . وهذا هو السرّ الذي غفل عنه الباحثون في قصّة الشورى. وقد جاء عن عمر أنّه هدّد الستّة الذين أوكل إليهم الأمر بمعاوية، وتنبّأ لهم بأنّه سيملك الأمر...راجع شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ٦٢، وهذا إن دلّ على فراسته، فهو على لون سياسته أدلّ. [الشهيد].

٣ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ١٣٥. [الشهيد].

٤ . راجع في قصّة الستّة الشورى ـ تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠ ـ ٥٨١.

لعليّ(عليه السلام)، فلاحظ كيف انتزع عمر هذا الرأي من عقله وأعدّه للمنافسة بعد حين; إذ جعله أحد الستّة الذين فيهم عليّ(عليه السلام).

إذن فقد كانت الفئة الحاكمة تحاول أن تساوي بين بني هاشم وسائر الناس وترتفع برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عن الاختصاص بهم لتنتزع بذلك الفكرة التي كانت تزوّد الهاشميّين بطاقة على المعارضة. ولئن اطمأنّ الحاكمون إلى أنّ عليّاً(عليه السلام) لايثور عليهم في تلك الساعة الحرجة على الإسلام، فهم لايأمنون من انتفاضه بعد ذلك في كل حين، ومن الطبيعي حينئذ أن يسارعوا إلى الإجهاز على كلتا قوّتيه المادّية والمعنوية مادامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقهم إلى حرب أكول[1].

ومن هنا قيل: «من المعقول بعد هذا أن يقف الخليفة موقفه التاريخي المعروف من الزهراء في قضية فدك، فهو موقف تلاقى فيه الغرضان وتركّز على الخطّين الأساسيّين لسياسته; لأنّ الدواعي التي بعثته إلى انتزاع فدك كانت تدعوه إلى الاستمرار على تلك الخطّة ليسلب بذلك من خصمه الثروة التي كانت سلاحاً قويّاً في عرف الحاكمين يومذاك، ويعزّز بها سلطانه، وإلاّ فما الذي كان يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف منتوجاتها في سبيل الخير ووجوه المصلحة العامّة؟![2] إلاّ أنّه خاف منها أن تفسّر وعدها بما يتّفق مع صرفها لغلاّت فدكاً في المجالات السياسية. وما الذي صدّه عن إرضاء فاطمة بالتنازل لها عن حصّته ونصيب الصحابة إذا صحّ أنّ فدك ملك للمسلمين سوى أنّه أراد أن يقوّي بها خلافته؟

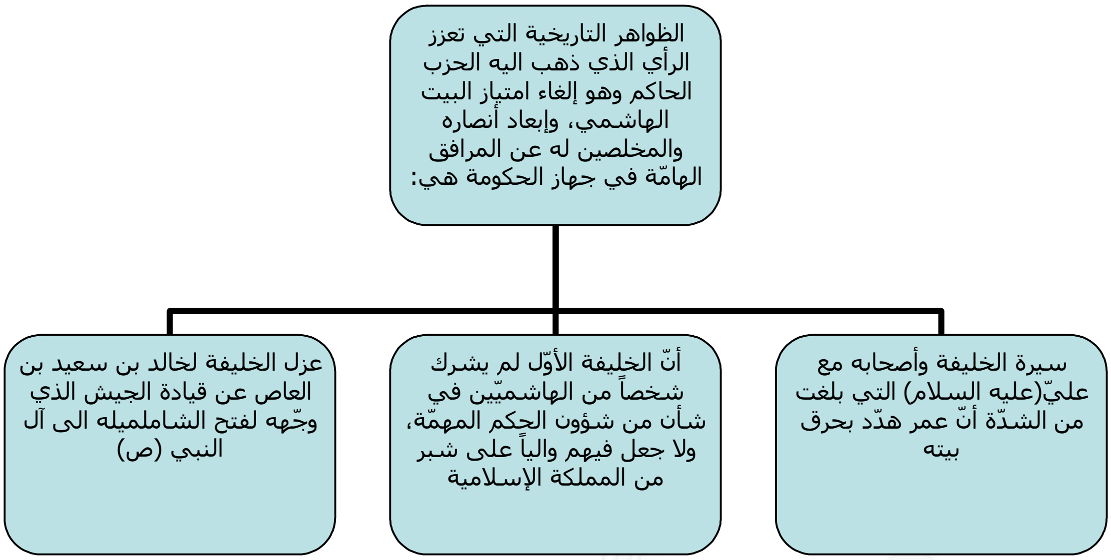
وأيضاً فإنّنا إذا عرفنا أنّ الزهراء كانت سنداً قويّاً لقرينها ـ الإمام علي(عليه السلام) ـ في دعوته إلى نفسه، ودليلا يحتجّ به أنصار الإمام على أحقيّته بالأمر، نستوضح أنّ الخليفة كان موفّقاً كلّ التوفيق في موقفه تجاه دعوى الزهراء للنِحلة، وجارياً على المنهج السياسي الذي كان يفرضه عليه الظرف الدقيق; إذ اغتنم الفرصة المناسبة لإفهام المسلمين بصورة لبقة، وعلى أُسلوب غير مباشر بأنّ فاطمة امرأة من النساء ولا يصحّ أن تؤخذ آراؤها ودعاواها دليلا في مسألة بسيطة كفدك فضلا عن موضوع

---

١ . راجع للتفصيل فدك في التاريخ: ٨٤ ـ ٩٥ الطبعة المحققة الأولى.

٢ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤ : ٨٠ [الشهيد] طبعة قديمة.

كالخلافة، وأنّها إذا كانت تطلب أرضاً ليست لها بحقّ فمن الممكن أن تطلب[1] لقرينها المملكة الإسـلامية كلّها وليس له فيها حقّ».[2]



---

١ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٨٤، الطبعة المحقّقة، أبوالفضل إبراهيم، وفيه جواب مدرّس المدرسة الغربية عليّ بن الفارقي بهذا المعنى عندما سأله ابن أبي الحديد... وقد عقّب عليه بأنّه كلام صحيح.

٢ . راجع فدك في التاريخ: ٨٤ ـ ٩٦ الطبعة المحققة الأولى.

الخلاصة:

١. انتصر المهاجرون المتآمرون على الأنصار في السقيفة، ولم يعبأوا بمعارضةابي سفيان ولكنّهم سجّلوا على أنفسهم دليلا يحكمهم ويضعّف موقفهم تجاه الهاشميين الذين هم أقرب إلى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من سائر المهاجرين.

٢. ولكنّهم سرعان ماتذرّعوا بذريعة الفتنة وشق عصا المسلمين لإدانة تخلّف الهاشميين من بيعة أبي بكر.

٣. وقرّر المتآمرون عزل بني هاشم ومن يسير على خطّهم عن الساحة السياسية بشكل كامل، لئلاّ يستغل الهاشميون بعض المواقع للنفوذ من خلالها إلى السلطة من جديد.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣١)

متطلبات عصر الإمام على(عليه السلام) (١)

المقدمة:

الهدف الدراسي: الاحاطة بمتطلبات عصر امير المؤمنين (عليه السلام).

النتائج المتوخاة من الدرس:

التعرف الى:

١ـ سبب عدم احتجاج امير المؤمنين (ع) بالنصوص والاثارالسلبية التي قد يتركها ما لو فعل ذلك على مستقبل الامة.

٢ـ التخطيط الذي قام به الإمام(عليه السلام) لمواجهة صدمة الانحراف و التدابير التي قام بها لتحصين الامة ضد الانهيار الكامل.

المحتوى العلمي :

لماذا لم يحتج الإمام علي(عليه السلام) بالنص؟

يتبين من الصورة التي عرفناها عن تلك الظروف والأوضاع أنّ الاعتراض بتلك النصوص المقدّسة والاحتجاج بها في ساعة ارتفع فيها المقياس الزئبقي للأفكار المحمومة والأهواء الملتهبة التي سيطرت على الحزب الحاكم إلى الدرجة العالية، كان من التقدير المعقول افتراض النتائج السيئة له; لما يلي:

١ ـ لأنّ أكثر النصوص[1] التي صدرت من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في شأن الخلافة لم يكن قد سمعها إلاّ مواطنوه في المدينة من مهاجرين وأنصار، فكانت تلك النصوص إذن الأمانة الغالية عند هذه الطائفة التي لابدّ أن تصل عن طريقهم إلى سائر الناس في دنيا الإسلام يومئذ وإلى الأجيال المتعاقبة والعصور المتتالية. ولو احتجّ الإمام على جماعة أهل المدينة بالكلمات التي سمعوها من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في شأنه وأقام منها دليلا على إمامته وخلافته لكان الصدى الطبيعي لذلك أن يكذّب الحزب الحاكم صدِّيق الأمّة[2] في دعواه وينكر تلك النصوص التي تمحو من خلافة الشورى [شورى السقيفة] لونها الشرعي وتعطّل منها معنى الدين.

وقد لايجد الحقّ صوتاً قويّاً يرتفع به في قبال ذلك الإنكار; لأنّ كثيراً من قريش ـ وفي مقدّمتهم الأمويّون ـ كانوا طامحين إلى مجد السلطان ونعيم الملك، وهم يرون في تقديم الخليفة على أساس من النصّ النبويّ تسجيلا لمذهب الإمامة الإلهية. ومتى تقرّرت هذه النظرية في عرف الحكم الإسلامي كان معناها حصر الخلافة في بني هاشم آل محمّد الأكرمين وخروج غيرهم من المعركة خاسراً.

---

١ . النصوص التي صدرت عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) بحقّ الإمام علي(عليه السلام) في الخلافة والإمامة والولاية لاتحصى كثرةً; راجع على سبيل المثال: كتاب الغدير، العلاّمة الأميني، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٧: ٣٥٦ وما بعدها، التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ٣: ٣٣٣ وما بعدها، الصواعق المحرقة: ١٢٢ قال: روى حديث الغدير ثلاثون صحابياً.

٢ . راجع الصواعق المحرقة: قال أمير المؤمنين: «أنا الصدِّيق الأكبر لايقولها غيري إلاّ كذّاب».

وقد نلمح هذا اللون من التفكير في قول عمر لابن عبّاس معلّلا إقصاء عليّ(عليه السلام) عن الأمر: «إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة»[١] فقد يدلّنا هذا على أنّ إسناد الأمر إلى عليّ(عليه السلام) في بداية الأمر كان معناه في الذهنية العامّة حصر الخلافة في الهاشميّين، وليس لذلك تفسير أولى من أنّ المفهوم لجمهرة من الناس يومئذ من الخلافة العلوية تقرير شكل ثابت للخلافة يستمد شرعيّته من نصوص السماء لامن انتخاب المنتخبين.

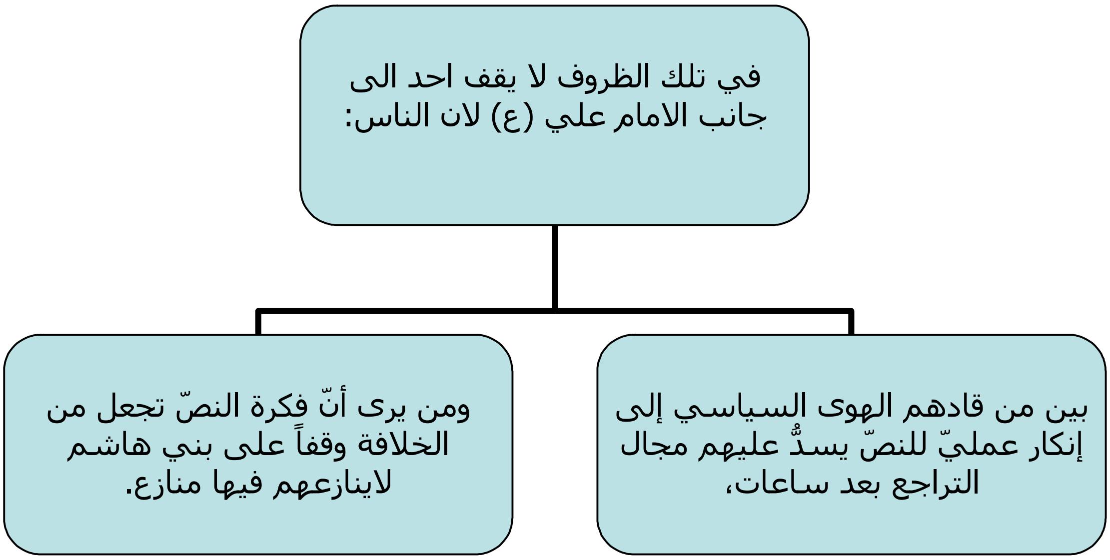
وأمّا الأنصار فقد سبقوا جميع المسلمين إلى الاستخفاف بتلك النصوص، والاستهانة بها، إذ حدت بهم الشراهة إلى الحكم إلى عقد مؤتمر في سقيفة بني ساعدة ليصفقوا على يد واحد[٢] منهم. فلن يجد عليّ فيهم ـ إذا استدلّ بالنصوص النبويّة ـ جنوداً للقضية العادلة وشهوداً عليها، لأنّهم إذا شهدوا على ذلك يسجّلون على أنفسهم تناقضاً فاضحاً في يوم واحد وهذا مايأبونه على أنفسهم بطبيعة الحال.

إذن فقد كان الإمام(عليه السلام) يقدّر أنّه سوف يدفع الحزب الحاكم إلى إنكار النصوص والاستبسال في هذا الإنكار إذا جاهر بها ولايقف إلى جانبه حينئذ صفٌّ ينتصر له في دعواه; لأنّ الناس بين من قادهم الهوى السياسي إلى إنكار عمليّ للنصّ يسدُّ عليهم مجال التراجع بعد ساعات، وبين من يرى أنّ فكرة النصّ تجعل من الخلافة وقفاً على بني هاشم لاينازعهم فيها منازع. وإذا سجّلت الجماعة الحاكمة وأنصارها إنكاراً للنصّ واكتفى الباقون بالسكوت في الأقلّ فمعنى هذا أنّ النصّ يفقد قيمته الواقعية وتضيع بذلك مستمسكات الإمامة العلوية كلّها ويؤمّن العالم الإسلامي ـ الذي كان بعيداً عن مدينة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ـ على إنكار المنكرين لأنّ منطق القوّة هو الغالب في ذلك الزمان.

---

١ . راجع تاريخ ابن الأثير ٣: ٢٤. [الشهيد]، تاريخ الطبري ٢: ٥٧٧، محاورة الخليفة عمر مع ابن عبّاس.

٢ . راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٤٢ في اتّفاقهم على سعد بن عبادة.



٢ـ إنّ عليّاً(عليه السلام) لو ظفر بجماعة توافقه على دعواه،وتشهد له بالنصوص النبويّة المقدّسة، وتعارض إنكار الفئة الحاكمة، كان معنى ذلك أن ترفض هذه الجماعة خلافة أبي بكر وتتعرّض لهجوم شديد من الحاكمين ينتهي بها إلى الاشتراك في حرب مع الحزب الحاكم المتحمّس لكيانه السياسي إلى حدّ بعيد; فإنّه لايسكت عن هذا اللون من المعارضة الخطرة. فمجاهرة عليّ(عليه السلام) بالنصّ كانت ستجرّه إلى المقابلة العملية، وقد أشرنا سابقاً أنّه لم يكن مستعدّاً لإعلان الثورة على الوضع القائم والاشتراك مع السلطات المهيمنة في قتال.

٣ ـ ثمّ ألم يكن من المعقول أن يخشى الإمام على كرامة حبيبه وأخيه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)أن تنتقض وهي أغلى عنده من كل نفيس ـ إذا جاهر بنصوص النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وهو لم ينسَ موقف الفاروق من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حين طلب دواة ليكتب كتاباً لايضلّ الناس بعده أبداً، فقال عمر: «إنّ النبيّ ليهجر أو قد غلب عليه الوجع»[1]. وقد اعترف فيما بعد لابن عبّاس أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يريد أن يعيّن عليّاً للخلافة وقد صدّه عن ذلك خوفاً من الفتنة[2]؟

وسواء أكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يحرّر حقّ عليّ(عليه السلام) في الخلافة أو لا، فإنّ المهمّ أن نتأمّل موقف عمر من طلبه، فهو إذا كان

١ . راجع الرواية في صحيح البخاري ١: ٣٧ باب كتابة العلم.
٢ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ : ٩٧، طبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر.

مستعدّاً لاتّهام النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وجهاً لوجه بما ينزّهه عنه نصّ القرآن[١]، وضرورة الإسلام، خوفاً من الفتنة، فما الذي يمنعه عن اتّهام آخر له بعد وفاته مهما تلطّفنا في تقديره؟ فلا يقل عن دعوى أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يصدر عن أمر الله في موضوع الخلافة، وإنّما استخلف عليّاً بوحي من عاطفته، بل كان هذا أولى من تلك المعارضة لأنّ الفتنة التي تقوم بدعوى على النصّ أشد ممّا كان يترقّبه عمر من اضطراب فيما إذا كان النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قد خلّف نصّاً تحريريّاً بإمامة عليّ يعلمه الجميع.

وإذا كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قد ترك التصريح بخلافة عليّ في ساعته الأخيرة لقول قاله عمر، فإنّ المفهوم منه أن يترك الوصيّ الاحتجاج بالنصوص خوفاً من قول قد يقوله، هذه بعض الأسباب التي فرضت على الإمام علي(عليه السلام) أن لايحتج بالنص على إمامته.

تخطيط الإمام علي(عليه السلام) لمواجهة صدمة الانحراف

إنّ للإمام المعصوم(عليه السلام) واجبات أساسيّة تتلخّص في الحرص على سلامة الرسالة الإسلامية وديمومتها في الحياة ومقاومتها التيارات المضادّة بعد غياب النبيّ القائد وقد دلتّ الشريعة على أنّ الإمام عليّاً(عليه السلام) ومن بعده أبناءه الأحد عشر هم المعنيّون بذلك.

وممارسة دور الراعي القيّم لشؤون الرسالة تقتضي أن يتولّى الإمام المعصوم أعلى السلطات في الدولة، ولكن بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كما لاحظنا قد استبدّت بالسلطة عناصر غير مؤهّلة لفهم وصيانة الرسالة وفي ظرف حرج جداً، ولم يكن ذلك ليمنع الإمام(عليه السلام) عن ممارسة دوره الرسالي، ولكن طبيعة الصراع كانت تقتضي أن يعمل الإمام عليّ(عليه السلام) على محورين في محاولة منه لإصلاح الانحراف الطاريء في الأمّة والمحافظة على أُسس بنائها وكيانها، وهما:

المحور الأول: السعي لاستلام مقاليد الحكم وزمام التجربةالإسلامية الراشدة والنهوض بالأمّة باتجاه الأهداف الإلهية المرسومة لها، وقد عمل الإمام(عليه السلام) على هذا المحور بعد وفاة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، كما عبّر عن

---

١ . القرآن يقول: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى) النجم: ٣ و ٤.

مسؤوليته تجاه هذا الأمر بقوله(عليه السلام): «لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لايقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها»[١].

وكثّف الإمام(عليه السلام) جهوده لتعبئة الأمّة، باتجاه استقرار القْيادة المشروعة في محلّها اللائق بها عبر التوعية اللازمة. ومن هنا تطلّب الأمر إرجاء المطالبة العاجلة باستلام زمام الحكم حتى يتم توفر الظروف الموضوعية الكافية لذلك.

إنّ عدم إمكان استلام الإمام لزمام الحكم في تلك الفترة الحرجة كان يعود إلى أسباب شتى منها:

١ ـ عدم وعي الأمّة لرزيّة يوم السقيفة وما جرى فيها من مؤامرات سياسية وتوجّهات خاطئة كانت خافيةً على شريحة كبيرة منها.

٢ ـ عدم فهم دور ومسؤولية الإمام وموقع الإمامة الراشدة، فقد تصوّروه مطلباً شخصياً وهدفاً فردياً، حينما كان يكاشفهم الإمام بأحقيّته بمنصب الحكم ومباشرة السلطة.

ولكنّ الحقيقة أنّ دخول الإمام في مواجهة الحاكمين كان بوعي رسالي وإرادة صادقة لاستمرار حركة الرسالة الإسلامية نقيةً كما شرّعها الله بعيدةً عن الزيغ والانحراف، ومضحيّاً بكلّ شيء من أجل ذلك الهدف الالهي الكبير حتى لو كان ذلك مستلزماً لغض الطرف عن حقّه الشخصيّ، فالمقياس عند علي(عليه السلام) هو سلامة الرسالة وديمومة حركتها على اُسس الحقّ والعدل الإلهي وهو القائل: «إعرف الحقّ تعرفْ أهله» وقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ».

كما أنّ الامام عليّاً(عليه السلام) عمل بشمولية وعلى جميع المستويات ساعياً للتوفيق بين النظرية والتطبيق، فربّى أصحابه على أنّهم أصحاب الأهداف الرسالية لاأصحاب الأشخاص والمطامع الذين يميلون مع هذا الطرف أو ذاك، كما نلاحظ أيضاً أنّ الإمام قد رفض أن يستلم الحكم بشرط أن يسير بسيرة من قبله، إذ كانت سيرتهم تتقاطع مع سلامة الرسالة والمجتمع الرسالي.

٣ ـ إن الرواسب الجاهلية المتأصّلة في فكر الأمّة، كانت تعيق الأمّة من فهم عمق الرسالة وعظمة الرسول ودور الإمام من بعده، من هنا فإنّهم كانوا يتصورّون أنّ عهد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بالوصاية للإمام علي(عليه السلام) إنما هو مجرّد

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

ترشيح لأحد أعضاء أُسرته، وأنّه قد يهدف إلى إحياء أمجاد أُسرة متطلّعة للمجد والسلطان كما هو دأب عامّة الحكّام.

٤ ـ ولانغفل عن دورالمنافقين في زعزعة الاستقرار الأمني والتقدمّ الاجتماعي، والسعي لإثارة النوازع والأحقاد بين المسلمين،وتغلغلهم في صفوف الجهاز الحاكم بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

٥ ـ انّ المتصدّين للزعامة، كانوا يعانون من الشعور بالنقص تجاه الإمام عليّ(عليه السلام)حيث كان الإمام(عليه السلام) يمثّل تحدّياً صارخاً لهم بوجوده،وبصدقه،وجهاده،وبصراحته،وباستبساله وبشبابه. كما ورد في كتاب معاوية لمحمد بن أبي بكر[1].

المحور الثاني: تحصين الأمّة ضد الانهيار التّامّ وإعطاؤها القدر الكافي من المقوّمات كي تتمكّن من البقاء صامدةً في مواجهة المحنة بعد استيلاء فئة غير كفوءة على السلطة والوقوع في الخطّ التنازلي بسبب الابتعاد عن جادّة الحقّ والصواب.

فاجتهد الإمام(عليه السلام) في تعميق الرسالة فكرياً وروحياً وسياسياً في صفوف أبناء الأُمّة، وحاول تقديم الوجه المشرق للرسالة الإسلامية عبر أساليب عديدة منها:

١ ـ التدخّل الايجابي لتوجيه الزعامة المنحرفة بعد أن كانت لا تحسن معالجة كثير من القضايا البسيطة فضلا عن المعقّدة. وايضاح المسار الصحيح، فكان دور الإمام(عليه السلام)دور الرقيب الرسالي الذي يتدخّل كلّما لزم ذلك.

٢ ـ كما أن الإمام(عليه السلام) كان يتصدى للردّ على شبهات المنحرفين بعد اتضّاح عجز المتصدّين للزعامة[2].

٣ ـ تقديم المثل الأعلى للإسلام والصورة الناصعة للحكم الاسلامي والمجتمع الرسالي، وقد ظهر هذا واضحاً في عهد الحكم العلوي، ومن هنا كان قبول الإمام للحكم بعد أن رفضه، وقد مارس الإمام دور القائد المحنّك والحاكم العادل إذ كان الإنسان النموذجي الذي صاغته الرسالة الإسلامية فكان أُسوة مثلى يُحتذى بها لبلوغ أهداف الرسالة، الإسلامية وهو المعصوم عن الخطأ والزلل والدنس في الفكر والعقيدة والعمل.

---

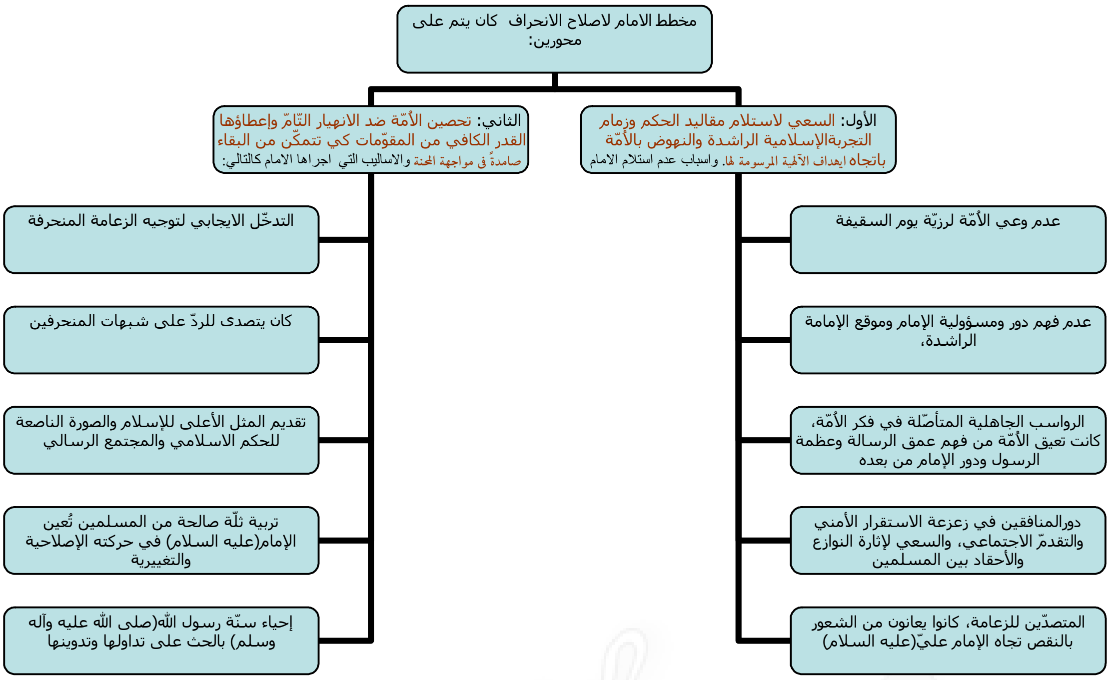
١ . وقعة صفّين: ١١٩.

٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٣، ١٤٥.

٤ ـ تربية ثلّة صالحة من المسلمين تُعين الإمام(عليه السلام) في حركته الإصلاحية والتغييرية، وذلك عبر تحرّكها في وسط الأُمّة لإنضاج أفكارها وتوسيع قاعدة الفئة الواعية والصالحة، لِتستمرّ الامّة في مسيرها التكاملي عبر الأجيال[١].

٥ ـ إحياء سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بالحث على تداولها وتدوينها والاهتمام بالقرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وتدويناً، إذ أنّهما عماد الشريعة، فلابدّ أن تتفهّم الأُمّة حقائق القرآن الكريم ومفاهيم السنّة الشريفة.

١ . أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ٥٩ ـ ٦٩.


مخطط الامام لاصلاح الانحراف كان يتم على محورين:
الأول: السعي لاستلام مقاليد الحكم وزمام التجربةالإسلامية الراشدة والنهوض بالأُمّة باتجاه ايهداف الآهية المرسومة لها. واسباب عدم استلام الامام
الثاني: تحصين الأُمّة ضد الانهيار التّامّ وإعطاؤها القدر الكافي من المقوّمات كي تتمكّن من البقاء صامدةً فى مواجهة المحنة والاساليب التي اجراها الامام كالتالي:
عدم وعي الأمّة لرزيّة يوم السقيفة
عدم فهم دور ومسؤولية الإمام وموقع الإمامة الراشدة،
الرواسب الجاهلية المتأصّلة في فكر الأمّة، كانت تعيق الأمّة من فهم عمق الرسالة وعظمة الرسول ودور الإمام من بعده
دورالمنافقين في زعزعة الاستقرار الأمني والتقدمّ الاجتماعي، والسعي لإثارة النوازع والأحقاد بين المسلمين
المتصدّين للزعامة، كانوا يعانون من الشعور بالنقص تجاه الإمام عليّ(عليه السلام)
التدخّل الايجابي لتوجيه الزعامة المنحرفة
كان يتصدى للردّ على شبهات المنحرفين
تقديم المثل الأعلى للإسلام والصورة الناصعة للحكم الاسلامي والمجتمع الرسالي
تربية ثلّة صالحة من المسلمين تُعين الإمام(عليه السلام) في حركته الإصلاحية والتغييرية
إحياء سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بالحث على تداولها وتدوينها

الخلاصة:

١. لم يحتج الإمام علي(عليه السلام) بالنصوص ـ بعد أن ترك خيار الثورة المسلّحة ـ لأن الاحتجاج بها كان يؤدّي إلى ضياعها وضياع سنّة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم تأثيرها في الطامعين في السلطة الحريصين عليها.

٢. ومن هنا آثر الإمام(عليه السلام) أن يوظف قضية مصادرة فدك ويعتمد على ابنة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)للاحتجاج وتهيئة الأرضية المناسبة للدخول في حوار واحتجاج جديد عسى أن يوقظ المسلمين ويردع الحزب المتآمر عن التمادي في طريق الضلال.

٣. وأمّا تخطيط الإمام(عليه السلام) لمواجهة صدمة الانحراف فكان يتلخّص في:

_ التخطيط لاستلام زمام الحكم ولو بعد فترة يقضي فيها على جملة من عوامل الانحراف من خلال التوعية والتثقيف ومواجهة الآثار السلبية لهذا الانحراف بشكل محسوس.

_ والعمل على تخطيط بعيد المدى يحصّن الاُمّة ضدّ التنازل عن شخصيتها وهويّتها ويعطيها القدرة على مواجهة التحديّات الطارئة.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٢)

متطلبات عصر الإمام على(عليه السلام) (٢)

المقدمة:

الهدف الدراسي: التعرف على ما تبقى من متطلبات عصر الامام علي (عليه السلام)

النتائج المتوخاة من الدرس:

التعرف الى:

١ـ إنجازات الإمام(عليه السلام) وخطواته التي قام بها لصيانة الشريعة ومصادرها خلال عهد الخلفاء.

٢ـ إنجازات الإمام(عليه السلام) في مجال صيانة الكيان الإسلامي من التفكك،والمحافظة على وحدة الصف بين المهاجرين والأنصار.

٣ـ ما قام به الامام اتجاه الاوضاع السياسية والاجتماعية والدينية خلال عهد الخلفاء.

٤ـ الكيفية التي استطاع بها الامام ان يخلق رأياً عامّاً حول خلافته(عليه السلام).

المحتوى العلمى :

إنجازات الإمام علي(عليه السلام)

واصل الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) رسالته في القيمومة على الرسالة والأُمّةوالدولة الإسلامية. ولم تكن حصيلة التآمر الذي تمّ في سقيفة بني ساعدة لتعفيه عن التزاماته الرسالية التالية:

١ . صيانة الرسالة الإسلامية

كان الإمام(عليه السلام) يرى نفسه المسؤول الأوّل عن الرسالة بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). فكان أوّل عمل قام به هو جمعه للقرآن الكريم، إذ كانت الآيات تنزل حسب الحاجة إلى ذلك، وكان بعض الصحابة يكتبون ماينزل من الآيات من تلقاء أنفسهم أو بأمر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع انقطاع الوحي بوفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، لم يبق سوى القرآن والعترة. فصيانة القرآن مِن الضياع يعني صيانة الإسلام من عوامل التحريف والتخريب.

ومن هنا كان على رأس ماقام به الإمام علي(عليه السلام) بعد ارتحال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو جمعه للقرآن فقد عكف ستة أشهر[١] في داره مشغولا بهذه المهمّة، وكان يقول لمن يطالبه بالخروج من البيت ومبايعة أبي بكر: «آليتُ ألاّ أرتدي عليّ ردائي إلاّ لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعه»[٢].

ونَقَلَ السيوطي عن ابن حجر أنّه قال: وقد ورد عن علي(عليه السلام) أنّه جمع القرآن على ترتيب نزوله بعد وفاة الرسول، وذكر أيضاً أنّ محمد بن سيرين كان يقول: لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم.

---

١ . سيرة الائمّة الإثني عشر ١ : ٢٧٥.

٢ . السيوطي الإتقان في علوم القرآن ١ : ٢٠٥.

وهناك قرآن بخطّ الإمام علي(عليه السلام) موجود حاليا في الخزانة الملحقة بالروضة العلوية المباركة وهو غير القرآن الذي جمعه في عهد الخليفة الاول لأنّ الإمام كتبه في عام ٤٠ للهجرة.

والظاهر أنّ الإمام لم يكتف بجمع الآيات القرآنية بل أشار إلى عامّه وخاصّه ومطلقه ومقيّده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وعزائمه ورخصه وسننه وآدابه كما أشار أيضاً إلى أسباب النزول وأملى ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثالا يخصّهُ[١].

وبعد أن أكمل جمع القرآن أتى به يحملهُ على جمل فقال: هذا القرآن قد جمعته[٢].

ثمّ توجّه(عليه السلام) إلى عمل آخر لايقلُّ خطورة عن الأوّل وهو جمع مادونّه مِن أحكام في كتاب واحد سميّ بالجامعة أو كتاب عليّ.

والجامعة كما عرّفتها نصوص أهل البيت(عليهم السلام): كتاب طوله سبعون ذراعاً من إملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وخط علي مكتوبٌ على الجلد المسمّى بالرق[٣] ويبدو أنّ إضافة الجلود بعضها إلى البعض الآخر كَوَّنت منه جلداً واحداً طوله سبعون ذراعاً وقد احتوت هذه الجامعة على جميع الأحكام حتى أرش الخدش[٤].

وإذا عرفنا أنّ أئمة أهل البيت كانوا يتوارثون هذا الكتاب ويعتمدونه كمصدر أساسي في الأحكام الشرعية; أدركنا أهميّة العمل الذي قام به أميرُ المؤمنين علي ابن أبي طالب(عليه السلام)في تدوين وجمع الأحكام الشرعية بإملاء من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لم ينطق عن الهوى، ولولا هذا العمل الجبّار لاندرست الأحكام الشرعية التي تعتبر تفسيراً لما أشار إليه القرآن الكريم.

٢ . صيانة الأمّة والكيان الإسلامي

بعد غياب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أحدقت الأخطار شيئاً فشيئاً بالكيان الإسلامي مما دفع بالإمام إلى العمل باتجاه صيانة الأمّة والكيان الإسلامي حتى أصبح منافسوه بالأمس يستشيرونه في أمور البلاد.

ولاسيّما عمر بن الخطاب حين أعلن قائلا: «لولا علي لهلك عمر، ولا جعلني الله لمعضلة ليس لها أبوالحسن» فهذه العبارة تدل على مدى مابلغه الإمام من الايجابية

---

١ . راجع بحار الأنوار: الجزآن ٩٢ و ٩٣ : ١ ـ ٩٧.
٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٥.
٣ . الأمين أعيان الشيعة ١ : ٩٣.
٤ . الأمين أعيان الشيعة ١ : ٩٣.

في علاقته مع الخليفة على رغم مالديه من تحفظات، كل ذلك مِن أجل المصلحة العامّة.

٣ . صيانة وحدة الصف الإسلامي

توقّف الإمام علي(عليه السلام) عن المطالبة بحقوقه حتى حقّ زوجته في قطعة الأرض التي ورثتها عن أبيها وذلك من أجل المحافظة على وحدة الصف، وتغافل عن عروض أبي سفيان عندما جاءه قائلا: ياأبا الحسن أبسط يدك حتى أبايعك فأبى عليٌّ عليه ذلك! ولكنّ الإمام علي(عليه السلام) زجره قائلا له : إنّك و الله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة[1].

وقد وقعت حوادث كثيرة في تلك الفترة كشفت بوضوح عن عظمة الموقف الذي وقفه الإمام علي(عليه السلام) حيث آثر المصلحة العامّة وجعلها فوق كل شيء، فقد هبّ عتبة بن أبي لهب ليشارك بقصائده في المعركة السياسية إلى جانب الإمام علي(عليه السلام).

وأخذ يستثير العواطف مُحَرِّضاً المسلمين للدفاع عن حق الإمام علي(عليه السلام).

ماكنتُ أحسبُ أن الأمر منصرفٌ *** عن هاشم ثم منها عن أبي حَسَنِ
أليس أول من صلى لقبلتكم *** وأعلمَ الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن *** جبريل عون له في الغسل والكفَنِ
مافيهم فيهم ولايمترون به *** وليس في القوم مافيه من الحسن
ماذا الذي ردّهم عنه فنعلمه *** هاإنّ ذا غُبننا من أعظم الغبنِ

فبعث الإمام(عليه السلام) إلى عتبة بن أبي لهب فنهاه وأمره ألاّ يعود وقال: سلامة الدين أحب إلينا من غيره[1].

وعندما انفجرت المعركة الإعلامية بين الأنصار والمهاجرين وكادت أن تنتهي إلى حرب أهليه لايعرف عواقبها إلاّ أصحاب الوعي، هنا يسارع الإمام ويُبادر لإطفاء نار الفتنة وليدافع عن الأنصار الذين هم القوة الضاربة في الدولة الإسلامية فجاء إلى المسجد واجتمع حوله جمعٌ كثير من قُريش فقال مخاطباً الجمع:

---

١ . تاريخ الطبري ٢ : ٤٤٩.

١ . شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، مروياً عن الزبير بن بكار ٦ : ٢١.

يامعشر قريش! إنّ حبّ الأنصار إيمانٌ وبغضهم نفاقٌ وقد قضوا ماعليهم وبقي ما عليكم واذكروا أنّ الله رغب لنبيكُم عن مكّة فنقله إلى المدينة وكره له قريشاً فنقله إلى الأنصار ثم قَدِمنا عليهم دارَهم فقاسمونا الأموال وكفونا العمل فصرنا منهم بين بذل الغنى وإيثار الفقير ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم وقد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نِعَم فقال (الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالاْيِمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَيَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[١] ألا وإنّ عمرو بن العاص قد قام مقاماً آذى فيه الميت والحي، ساء به الواتر وسرّ به الموتور فاستحق من المستمع الجواب ومن الغائب المقت وإنّه من أحبّ الله ورسوله أحبّ الأنصار فليكفُف عمرو عنّا نفسه[٢].

واعتبر الإمام(عليه السلام) الهجوم على الأنصار بمثابة الهجوم على الرسالة وبالتالي فهو أمرٌ يعنيه وكأنّه هو المقصود بهذا الهجوم.

وكان لكلمة الإمام(عليه السلام) هذه أثرٌ كبير في الأوساط حيث انتشر صداها بين المسلمين وسارع البعض إلى عمرو بن العاص ليقول له:

أيها الرجل! أمّا إذا غضب عليّ فاكفف، فاضطرّ عمرو بن العاص على أثر ردّ الإمام على محاولته اليائسة في تفجير الصراع بين المهاجرين والأنصار، إلى ترك المدينة وخرج عنها حتى رضي عنه علي والمهاجرون[١].

وهكذا، كان علي بن أبي طالب(عليه السلام) العين الحارسة والحريصة على وحدة المسلمين... فعليّ(عليه السلام) يدرك أهميّة الوحدة وأنّها كانت رمز قوة المسلمين وانتصارهم. فاذا انفرط هذا الصف الذي كان متماسكاً على عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) انكسر المسلمون سيما وأن الأعداء قد ازدادوا واتسعت دائرة المواجهة هذه المرة لتشمل المرتدين والمنحرفين عن الدين وكلهم عيونٌ مفتوحة بحثاً عن أيّة ثغرة تنفعهم فيستغلّونها.

ومرة أُخرى يأتي الإمام ليدافع عن الأنصار المستهدفين في المؤامرة... وقف في المسجد وخطب قائلا:

---

١ . الحشر: ٩.

٢ . شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد ٦ : ٣٤.

١ . المصدر نفسه عن الزبير بن بكار.

يامعشر قُريش! إنّ الله جعلَ الأنصار أنصاراً فأثنى عليهم في الكتاب فلاخيرَ فيكم بعدهم إنّه لايزال سفيهٌ من سفهاء قُريش وَتَرَهُ الإسلام دفعةُ عن الحق وأطفأ شرفه وفضلّ غيره عليه يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار فاتقوا الله وارعوا حقّهم فوالله لو زالوا لزلتُ معهم لأنّ رسول الله قال لهم: أزول معكم حيثما زُلتم فقال المسلمون جميعاً: رحمك الله يا أبا الحسن! قُلت قولا صادقاً[١].

وظلّ الإمام يذود عن الأنصار في كل موقع وموقف فقد اعتبر أيّ هجوم يُشنُّ على الأنصار كأنّه هجوم موجّه إلى الإسلام لأنّهم يشكلون القوة البشرية والاقتصادية والقدرة العسكرية في الكيان الإسلامي.

لقد تمكّن الإمام(عليه السلام) أن يحقّق من خلال مواجهته لهذه الفتنة مايلي:

١ ـ أوجد رأياً عامّاً معادياً للتمزق والفرقة.

٢ ـ أعاد الاعتبار للأنصار بشكل يحقّق التوازن السياسي في المجتمع الإسلامي بينهم وبين المهاجرين.

٣ ـ فضح النوايا الشريرة التي كان يُبيتُها مثيروا الفتن والمشاكل.

وكان باستطاعة الإمام أن يستغلّ هذه الأجواء ويُثيرها حرباً شعواء ضد الخليفة ومن يقف إلى جانبه من أصحاب الزعامات القرشية لكنّه(عليه السلام) لم يفعل ذلك حفاظاً على وحدة المسلمين وكيان الإسلام. فلم يكن يُريد أن يتصيّد في الماء العكر حتى لوكان في المطالبة بحق ثابت ومشروع وهذه منقبة أُخرى من مناقب الإمام(عليه السلام) في عمله السياسي في عهد الخليفة الأول.

٤ . إسداء النصيحة والمشورة للخلفاء

وقف الإمام علي(عليه السلام) بروح مغمورة بالايجابية إزاء الخلفاء بالرغم من ابتزازهم لحقّه. وقد أوصلت هذه الروح العظيمة الإمام علي(عليه السلام) إلى قلوب الخلفاء حتى كان عمر بن الخطاب يقول: يا أبا الحسن! لا أبقاني الله لشدة لست لها، ولا لبلية لست فيها.

أمّا الموارد التي شاور فيها الخلفاء علياً(عليه السلام) فهي كثيرة منها:

١ ـ في خلافة أبي بكر حين أراد المسلمون غزو الروم فشاور أبوبكر جماعة من أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فرفض بعضهم الفكرة ثم إنّه شاور علي بن أبي طالب(عليه السلام) فأشار إليه بأن يفعل وأخبره بنتيجة المعركة قائلا:

---

١ . شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد ٦ : ٣٨.

إنْ فعلت ظفرت. فقال أبوبكر:بشّرت بخير...فاطمأنّ الخليفة من تحقّق النصر للمسلمين من كلام أمير المؤمنين فقام في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم[١].

٢ ـ عندما أراد عمر بن الخطاب غزو الفُرس جمع قادة الجيش مع كبار الصحابة الذين كانوا يمثلون مجلسا عسكريا مهمته إسداء المشورة في الأمور الحربية وكان من رأي عمر أن يتجهّز ويذهب بجيش من المسلمين ويستقر بين الكوفة والشام ومن هناك تبدأ عملياته الحربية ضد الفُرس.

فقام كل واحد من القادة العسكريين وأعطى رأيه وجلس ثم قام عثمان وطلب من عمر أن يكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم وإلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم يسير عمر بجيش من أهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة.

وجاء الدور إلى الإمام علي(عليه السلام) فلم يُحبِّذ خروج أهل الشام لأنّهم محاطون بالأعداء وهم الروم وليس من السليم أيضاً خروج أهل اليمن لأنّهم محاطون بأعداء كامنين لهم في بلاد الحبشة. ولم يحبذ أيضاً خروج أهل الحرمين إلى الحرب لأنّ العرب القابعين في الأطراف يستغلون غياب القوة العسكرية فيفعلون مايريدون.

وكان مقترح الإمام(عليه السلام) أن يستقر أهل الأمصار في أماكن سكناهم ويُكتب إلى أهل البصرة فينقسموا إلى ثلاث فرق، فرقة في حُرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لاينتفضوا ثم تسير فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مَدَداً لهم فقال عمر هذا هو الرأي[١].

٣ ـ أراد الخليفة عمر أن يضع تأريخاً للمسلمين، فكان من رأيه أن يُكتب من ولادة رسول الله ثم قال من المبعث[٢] فشاور الإمام عليّاً(عليه السلام)، فكان رأيه أن تكون بداية السنة من هجرة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أورد ابن الأثير أنّ كتابة التاريخ جاءت بمشورة من علي بن أبي طالب(عليه السلام)[٣].

٤ ـ شاور الخليفة عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله في سواد الكوفة، فقال له بعضهم: نقسمها بيننا فشاور علياً(عليه السلام) فقال:

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٣.

١ . الكامل في التاريخ ابن الأثير ٣ : ٨ .

٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤٥.

٣ . الكامل في التاريخ ٢ : ٥٢٦ .

إن قَسَّمْتَها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن تقرها في أيديهم يعملونها. فتكون لنا ولمن بعدنا، فقال: وفقك الله هذا الرأي[1].

وبهذا الرأي وضع الإمام للخليفة عمر معالم السياسة الاقتصادية للدولة الإسلامية.

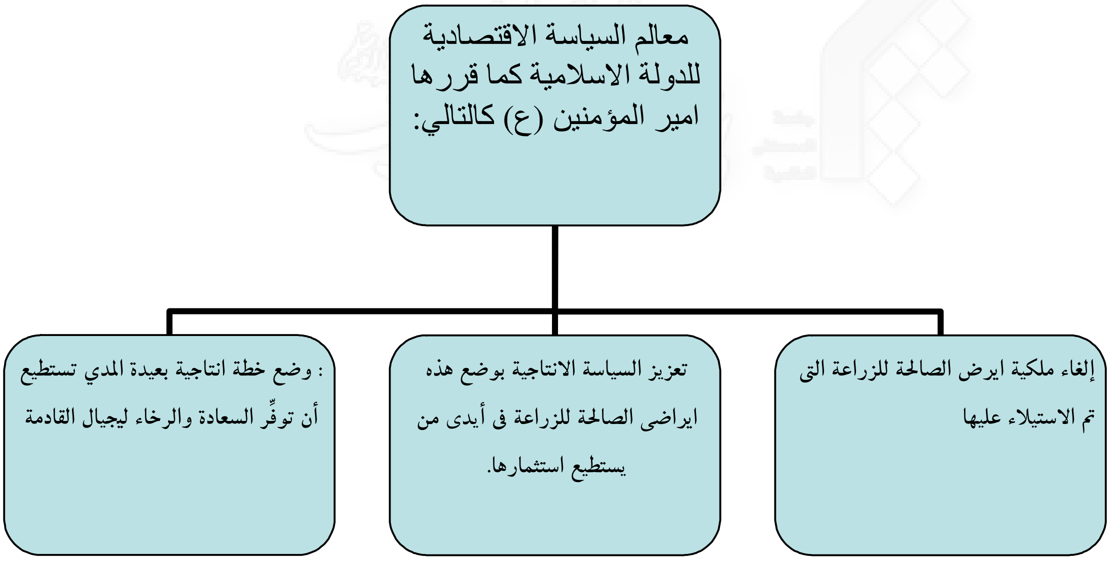
فهذه السياسة تقوم على ثلاثة مبادىء.

الأول: إلغاء ملكية الأرض الصالحة للزراعة التي تم الاستيلاء عليها.

فأرض السواد كانت أرضاً زراعية تُضيف للثروة الاقتصادية موارد جديدة بشرط أن لاتُستملك.

الثاني: تعزيز السياسة الانتاجية بوضع هذه الأراضي الصالحة للزراعة في أيدي من يستطيع استثمارها. فهي في حوزته بشرط الاستثمار.

الثالث: وضع خطة انتاجية بعيدة المدى تستطيع أن توفِّر السعادة والرخاء للأجيال القادمة خلافاً لاقتراح بعض الصحابة بتقسيم أرض السواد.



٥ ـ بعد أن تم توزيع الغنائم التي غنمها المسلمون من معركة القادسية بقي بساط كبير طوله ستون ذراعاً وعرضهُ ستون ذراعاً كانت أكاسرة الفُرس تستخدمه في الشتاء حيث يتخيلون أنّهم في إحدى الرياض، إذ أُقيم فوق البساط تماثيل للحيوانات والنباتات وشق فوقهُ الأنهار من فصوص كالدرر، وكانت العرب تُسميه القطيف، فطلب

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٥٢.

عُمر رأي الصحابة بهذا القطيف فمنهم من رأى تفويض الأمر إلى الخليفة ليرى رأيه، ومنهم من كان رأيه أن يكون ملكاً للخليفة...

أمّا علي(عليه السلام) فقال: لم يجعل الله علمك جهلا ويقينَك شكاً، إنّه ليس لك من الدنيا إلاّ ماأعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت أو أقلت فأفنيت وإنّك إن تُبقه على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ماليس له.

فقال الخليفة عمر: صدقتني ونصحتني فقطّعهُ بينهم[١].

٦ ـ واشتهر أنّ امرأة قد زنت وشهد عليها أربعة شهداء عدول فأجمعوا على رجمها فلمّا ذهبوا ليرجموها، مرّ بهم الإمام علي(عليه السلام) فقال:

ماشأن هذه؟! قالوا: مجنونة بني (فلان) زنت فأُمِر بها أن تُرجَم.

فانتزعها علي(عليه السلام) من أيديهم وردّها إلى مأمنها فجاؤوا إلى عمر فاستغرب من عودتهم فقال ماردّكم قالوا: ردّنا علي.

فقال عمر: مافعل أبوالحسن هذا إلاّ لشيء قد علمه فجاء الإمام علي فسأله الخليفة مابالك قد رددت هؤلاء فقال(عليه السلام):

أما سمعت قول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يعقل فما بال هذه تُرجم؟

حينذاك جعل عُمر يُكبّر ويقول: لولا علي لهلك عُمر.

٧ ـ ودخل على عثمان وقال له:

فالله! الله! في نفسك فإنّك والله ماتُبصَّرُ من عمىً ولاتُعَلَّم من جهالة وأنّ الطريق لواضح بينٌ وأنّ أعلام الدين لقائمة فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادل هُدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة متروكة، فوالله إنّ كلا لبيّن وإنّ السنن كثيرةٌ لها أعلامٌ، وإنّ البدع لقائمة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمامٌ جائر ضلّ وأضلَّ، فأمات سنة وأحيا بدعة متروكة، وإنّي أحذّرك الله سطواته ونقماته فإنّ عذابه شديد أليم وأحذّرك أن تكون إمام هذه الأمّة، الذي يُقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ويلبّس أمورها عليها ويتركها شيعاً لأيبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً.

فقال الخليفة عثمان: قد علمت والله ليقولنّ الذي قُلت[١].

---

١ . الكامل في التاريخ ٢ : ٥١٨ .

ولو عمل الخليفة عثمان بنصيحة الإمام(عليه السلام) لما جرى عليه الذي جرى، ولما تأ لّبت عليه الأمصار ولما لقي ذلك المصير الدامي الذي حذّره الإمام من وقوعه.

كان الإمام(عليه السلام) لايُفتي بشيء إلاّ عن اطلاع عميق وبعد في النظر، وكان الخلفاء ينظرون إليه كأفضل مشاور لهم.

لم يجد الخلفاء أفضل من علي في المشورة فهو الذي جرّب الناس وعرف مداخل الأمور ومخارجها فوجوده إلى جوار رسول الله خلال ثلاثة وعشرين عاماً من تبليغ الرسالة منحته الخبرة والاطلاع الواسع في إدارة الدولة والمجتمع، وكان وجوده بالقرب من مركز القرار واستعداده الدائم لإسداء النصح ثروة لاتعوض بأي ثمن، كما وأنّ الإمام(عليه السلام)ـ ومن فرط حِرصِه على سلامة الكيان الإسلامي ـ لم يدخر رأياً أو فكرة إلاّ وقدمها للخلفاء عندما وجد عندهم الاستعداد الكافي لسماع آرائه والعمل بها[١].

إنّ عشر مراجعات للخليفة الأوّل إلى الإمام علي(عليه السلام) وتسعين مراجعة للخليفة الثاني وعشر مراجعات للخليفة الثالث، إليه[٢] بالرغم من أنّ الإمام(عليه السلام) لم يتولّ منصب القضاء رسميّاً في عهد الخلفاء تفيدنا الحقائق التالية:

١ ـ إنّ الإمام(عليه السلام) كان يساهم في حفظ عناصر قوّة الكيان الإسلامي.

٢ ـ كما انه كان لايأنف من تقديم الخدمات الممكنة للدولة الإسلامية بالرغم من إبعاده عن منصب القيادة والخلافة.

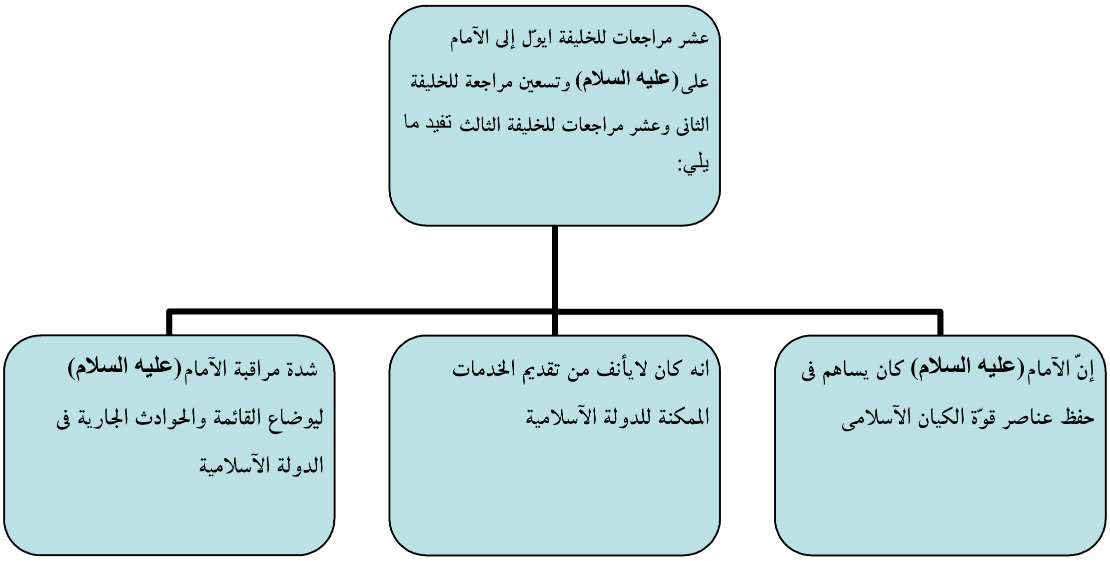
٣ ـ وتشير هذه الحوادث وسواها إلى شدة مراقبة الإمام(عليه السلام) للأوضاع القائمة والحوادث الجارية في الدولة الإسلامية حتى أنّه كان يؤكّد لهم أنّه الأمين على الرسالة والكيان والامّة الإسلامية.

---

١ . علي أنصاريان الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٥٣٨ وأيضاً الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣ : ١٥١.

١ . راجع دولة الإمام علي(عليه السلام)، محسن الموسوي : ١٠٥ ـ ١٢٨.

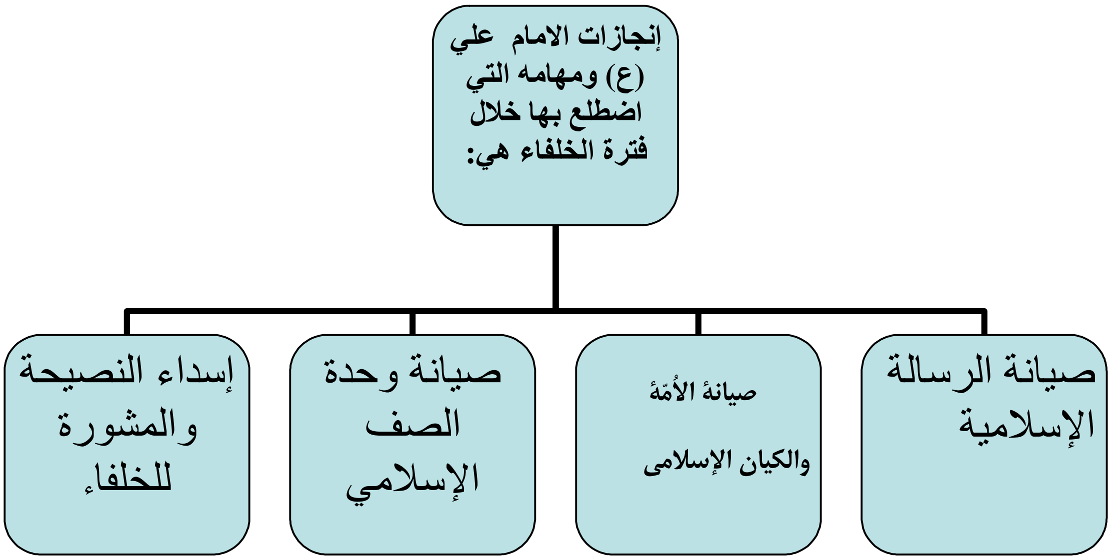
٢ . راجع علي(عليه السلام) والخلفاء، نجم الدين العسكري.



ومن هنا فإننا بالرغم من الاعتراف بوجود دور للخلفاء في صياغة مجموعة من أحداث التاريخ، ولكن الموجّه غير المباشر لمجريات الأمور باتجاه صيانة الأُمّة والرسالة والكيان الإسلامي من تزايد الانحراف واشتداده كان هو الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)بالرغم من أنّ كثيراً من منافسي الإمام(عليه السلام) كانوا لايريدون أن يكون له أيّ دور في الحياة الاسلامية.

وسوف نلاحظ أنّ الإمام(عليه السلام) كيف استطاع أن يؤجل المطالبة بالحكم إلى ظرف ملائم بعد أن خلق رأياً عامّاً حول جدارته للحكم ممّا أدّى إلى انثيال الناس عليه بعد مقتل عثمان والإصرار على المبايعة معه على استلام زمام الخلافة وإعادة الامور إلى نصابها من جديد[١].

١ . يراجع محسن الموسوي: دولة الإمام علي: ١٢٨ ـ ١٤٣ و ١٠٩ ـ ١١٢، و ابن الأثير الكامل في التاريخ ٢ : ٤٤٩ و الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٠٠ و المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦١ و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٧.


إنجازات الامام علي (ع) ومهامه التي اضطلع بها خلال فترة الخلفاء هي:
صيانة الرسالة الإسلامية
صيانة الأُمّة والكيان الإسلامى
صيانة وحدة الصف الإسلامي
إسداء النصيحة والمشورة للخلفاء

الخلاصة:

١. إنّ أهمّ إنجازات الإمام(عليه السلام) بعد الانحراف السياسي الحاصل عقيب وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وإبعاده عن مركز القيادة تتلخص في مايلي:

_ صيانة الشريعة الإسلامية ومصادرها من أيدي العابثين.

_ صيانة الكيان الإسلامي من التصدع والانهيار.

_ صيانة الامّة الإسلامية بتحصينها ضد التحديات المقبلة.

_ السعي لإقامة حكم إسلامي مشروع وسليم من التناقضات والانحرافات.

٢. وكانت للإمام(عليه السلام) مراقبة مستمرة للجهاز الحاكم وتدخّلات ايجابية للحدّ من الانحراف.

٣. ولم يترك الإمام(عليه السلام) إسداء النصح للخلفاء إذا تطلّبت المصلحة الإسلامية ذلك.

بسم الله الرحمن الرحیم

التاریخ الاسلامی

(تاریخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٣)

الشوری السداسیّة

المقدمة:

الهدف الدراسي: الشورى السداسية وما اعقبها من احداث

النتائج المتوخاة من الدرس:

التعرف الى:

١ـ ملامح شخصية عثمان بن عفان حين استولى على كرسي الحكم وملامح سياستةالمالية والفرق بينها وبين سياسة الشيخين ونتائجها.

٢ـ اسباب بدأ الفساد الأخلاقي بالشيوع في عهد عثمان والسمات التي اتصف بها ولاته.

٣ـ نظرة عثمان إلى الخلافة وما كان موقف أبي سفيان حين استولى عثمان عليها.

المحتوى العلمي :

الشورى السداسيّة

إنّ الشورى السداسيّة التي اقترحها عمر وفرضها على المسلمين فتحت باباً جديداً من الشر على الأمّة الإسلامية حيث كانت تستبطن إبعاد الإمام وإقصائه عن الخلافة بالرغم من توفر الظروف الموضوعية لقبول خلافته عند عامّة المسلمين.

ولكلّ لبيب أن يكتشف ماكانت تستبطنه تركيبة أعضاء الشورى السداسية التي صرّح عمر عنها بأنّه لو كان أبوعبيدة حيّاً لما كان ينتهي به الأمر إلى المسرحيّة التي سُمّيت بهذه الشورى.

لقد أيقن الإمام(عليه السلام) بأنّ هذه الشورى مكيدة دبّرت لإقصائه عن الخلافة من جديد.

وما إن خرج الإمام(عليه السلام) من عند عمر حتى تلقّاه عمّه العباس مستفسراً فبادره قائلا:

ياعمّ! لقد عُدِلَتْ عنّا، فقال العباس: من أعلمك بذلك، فقال عليّ(عليه السلام): قُرن بي عثمان، وقال عمر: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، فسعد لايخالف ابن عمّه عبدالرحمن وعبدالرحمن صهر عثمان لايختلفون، فيوليها عبدالرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبدالرحمن، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني[١].

وتحقّق ما تنبّأ به الإمام(عليه السلام) فقد آلت الخلافة إلى عثمان بتواطؤ عبدالرحمن، فقد روي أنّ سعداً وهب حقّه في الشورى لابن عمّه عبدالرحمن، ومال طلحة لعثمان فوهب له حقّه، ولم يبق إلاّ الزبير فتنازل عن حقّه لصالح الإمام(عليه السلام)، وهنا عرض عبدالرحمن أن يختار الإمام أو عثمان فقال عمّار: إن أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع عليّاً(عليه السلام)، فردّ عليه ابن أبي سرح: إن أردت ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان، فتأكّد التوجّه غير السليم للخلافة وبدت أعراض الانحراف واضحةً جليةً تؤجّجها نار العصبية.

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٦.

فعرض عبدالرحمن بيعته بشرط السير على كتاب الله وسنّة نبيّه(صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الشيخين، فرفض الإمام سيرة الشيخين وقبلها عثمان فتمّت له البيعة، فقال عليّ(عليه السلام) لعبدالرحمن: «حبوته حبو دهره، ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون»[١]. «والله مافعلتَها إلاّ لأنّك رجوت منه مارجا صاحبكما من صاحبه، دقَّ الله بينكما عطر منشم».

ثمّ التفت(عليه السلام) إلى الناس ليوضّح لهم خطأهم المتكرّر في الاستخلاف ورأيه في مصير قيادة الأُمّة، فقال(عليه السلام):

«أيّها الناس! لقد علمتم أنّي أحقّ بهذا الأمر من غيري، أما وقد انتهى الأمر إلى ماترون، فوالله لأُسالمنّ ماسَلِمَتْ أُمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة، التماساً لأجرِ ذلك وفضلهِ، وزهداً فيما تنافَسْتُموه من زُخرفه وزِبْرجه».

إنّ الامام(عليه السلام) دخل مع الباقين في الشورى وهو يعلم بما ستؤول إليه، محاولةً منه لإظهار تناقض عمر ومن سار على نهجه عند وفاة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) حين كان يرى أنّه لاتجتمع الخلافة والنبوّة في بني هاشم، أمّا الآن فقد رشّح عمر بنفسه الإمام(عليه السلام) للخلافة فناقض نفسه من حيث لا يشعر.

وقد روي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال: «ولكنّي أدخل معهم في الشورى لأنّ عمر قد أهّلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنَّ النبوّة والإمامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأُظهر للناس مناقضة فعله لروايته»[٢].

وبايع الإمام(عليه السلام) عثمان بن عفّان سعياً منه أن يصلح أمر الأُمّة ويوجّهها، وأن يحافظ على كيانها من التصدّع بترك الخلاف، ولم يبخل على الأُمّة بالنصيحة والهداية والتربية، فإن أُبعدت الخلافة عنه(عليه السلام) فإنّه لم يدّخر وسعاً في ايضاح الحق والارشاد إليه على مستوى الحاكمين والمحكومين جميعاً.

ملامح عهد عثمان بن عفان (١)

اشتد الانحراف في عهد عثمان بن عفان وقد استمر حكمه إثني عشر عاماً.
ويعود أسباب تزايد الانحراف في عهده إلى العوامل التالية:

---

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٠.
٢ . شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد ١ : ١٨٦.

١ ـ استلم عثمان بن عفان الخلافة وعمره يومذاك سبعون عاماً وكانت شخصيته تميل إلى الدعة واللين فهو غنيٌّ من الأغنياء قبل الإسلام وظلَّ على غناه في الإسلام أيضاً، والأغنياء لايقدرون أن يشعروا بما يشعره المحروم. فكانت دائرة المحرومين تتسع مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وإذا أضيف للحرمان الاقتصادي ظُلم الولاة فقد تكامل عاملان مهمّان من عوامل التمرد والثورة.

وبسبب كبرِ سِنّه ووداعته فقد ترك أُمور البلاد إلى أقربائه الذين كان يثق بولائهم له.

وقدِم على عثمان عمّه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهما من بني أُمية. والحكم هو طريد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي غرّبه عن المدينة ونفاه عن جواره.

وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ـ ، وهو ممّن أخبر عنه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّه من أهل النار ـ وعبدالله بن أبي سرح على مصر ومعاوية بن أبي سفيان على الشام وعبدالله بن عامر على البصرة. وصَرَفَ عن الكوفة الوليد بن عُقبة وولاّها سعيد بن العاص[١].

وكان عثمان ضعيفاً أمام مروان بن الحكم يفعل مايأمره به وقد وصف الطبري كيف استطاع الإمام علي(عليه السلام) أن يُهدِّيء الأوضاع وأن يُرجع الثائرين إلى بلدانهم بعد أن أخذ من عثمان شرطاً أن لايطيع مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية فأجابه إلى ذلك[٢].

لكن بمجرد أن هدأت الأوضاع عاد مروان بن الحكم واقترح على الخليفة أن يخرج ويتكلّم بما ينال به من الثوار ففعل الخليفة فانتهره عمرو بن العاص فرجع علي(عليه السلام) إلى عثمان مغضباً حتى دخل عليه فقال: ما رضيت من مروان ولارضي منك إلاّ بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به والله ماموان بذي رأي في دينه ولا نفسه...

فلما خرج علي(عليه السلام) دخلت عليه نائلة زوجته فقالت أتكلّم أو أسكت؟ فقال تكلمي، فقالت: قد سمعت قول عليّ لك وإنّه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لاشريك له وتتبع سنّة صاحبك من قبلك فإنّك متى أطعت مروان قتلك.

---

١ . مروج الذهب، المسعودي ٢ : ٣٤٣ ـ ٣٤٤.
٢ . انظر الطبري ٤ : ٣٥٨.

وفي كل مرة كان يحاول الصحابة أن يصلحوا الأمر فيأتي مروان إلى عثمان فيغريه أن يفعل مايُثير الوضع ضده من جديد.
ولو قُدِّرَ للخليفة أن يقف الموقف الصارم من أقربائه (بني أُمية) ويحاسبهم على كل معصية لما كان يحدُث ماحدث.

٢ ـ انّ سياسة عثمان المالية كانت بعيدة عن التوازن في التوزيع وكانت النتيجة الحتمية لهذه السياسة هي ظهور الفقر في الرقعة الكبيرة من المجتمع الإسلامي وتسابق الأقلية الأموية على اقتناء الأموال.

ذكر المسعودي أنّ في أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم الزبير بن العوّام بنى داره بالبصرة وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والإسكندرية، وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخَلّفَ الزبير ألف فرس وألف عبد وأمة.

وكذلك طلحة بن عبدالله التميمي ابتنى داره بالكوفة المشهورة المعروفة بالكُناسة بدار الطلحيين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار، وكذلك عبدالرحمن بن عوف الزُهري ابتنى داره ووسّعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة مِن الغنم وبلغ بعد وفاته رُبُع ثمن ماله أربعةً وثمانين ألفاً، وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسّع فضاءها وجعل أعلاها شُرُفات.

وقد ذكر سعيد بن المسيب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلّف من الذهب والفضة ماكان يُكسر بالفؤوس غير ماخلّف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار[١].

ويحاول المسعودي أن يبرز مفارقة بين البذخ في عهد عثمان والزهد في عهد الخليفة عمر فيقول: وحجّ عمر فأنفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة ستة عشر ديناراً وقال لولده عبدالله: لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا[٢].

وكان بنو أمية يتعاملون مع بيت المال وكأنّه من مالهم الخاص بل أكثر من ذلك كانوا ينظرون إلى ممتلكات الدولة الإسلامية على أنّها جزء من ممتلكاتهم الشخصية.

فقد ذكر الطبري أنّ سعيد بن العاص كان والي عثمان في الكوفة يسمر مع وجوه الناس فقال مخاطباً الجمع من حوله: إنّما هذا السواد بُستان لقُريش[٣] وهو يقصد العراق.

---

١ و ٢. المسعودي ٢ : ٣٤٢.

٣ . الطبري ٤ : ٣٢٣.

فواجهه مالك الأشتر قائلا: أتزعم أنّ السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بُستان لك ولقومك، والله مايزيد أوفاكم فيه نصيباً إلاّ أن يكون كأحدنا.

وكان الخليفة يشجّعهم على اتبّاع هذه السياسة فقد كتب لمروان بخُمس مصر[1] فتجبّروا وطغوا فأشاعوا الفساد والإرهاب بين الناس.

وقد أوجد هذا الغنى طبقة واسعة من الفقراء من العرب والموالين الذين كانوا يعملون على الأرض في الزراعة. ولعل أقوى دليل على وجود هذهِ الطبقة الوسيعة من الفقراء حركة أبي ذر الغفاري والتي كان على رأس أهدافها الدفاع عن حقوق المحرومين والفقراء، فكان يقول: ويلٌ للأغنياء من الفقراء.

وبشِّر الأغنياء بمكاو من نار تكوى بها جباهُهُم وجنوبهم وظهورهم.

ولولا هذه الحركة التي قام بها أبوذر للدفاع عن الفقراء والمحرومين لما عرفنا بوجود الفقر في زمن عثمان، إذ لم يتحدث المؤرخون إلاّ عن الأغنياء وعمّا يمتلكون من أموال وأراض، أمّا الفقراء فلانجد ذكراً لهم في صفحات التاريخ.

٣ ـ شيوع الانحراف الأخلاقي في المجتمع الإسلامي.

لقد أدّى تزايد الثروة لدى قطاع من المهاجرين والأنصار إلى انتشار روح البذخ والإسراف وإلى اقتناء العبيد والجواري.

وكان هؤلاء العبيد يؤدون الأعمال بالنيابة عن ساداتهم الأمر الذي أوجد الفراغ في حياة أصحاب الأموال الطائلة فكانوا يضطرون لملئه باللهو والغناء.

يقول الدكتور طه حسين عن هذه الظاهرة: ونشأ عن ذلك أنّ الذين اشتروا الأرض في بلاد العرب عامّة وفي الحجاز خاصّة قد أرادوا أن يستغلّوا أرضهم فاجتلبوا الرقيق وأكثروا من اجتلابه ولم يمض وقت طويل حتى استحال الحجاز إلى جنّة من أجمل جنّات الأرض، وأحسنها ثَمَراً، وأعودها على أهلها بالغنى ومايستتبع الغنى من الترف والفراغ، وماهي إلاّ أن تنشأ في الحجاز نفسه، في مكة والمدينة والطائف طبقة من هذه الارستقراطية الفارغة التي لاتعمل شيئاً وإنّما يعمل لها ماجلبت من الرقيق، والتي تنفق وقتها في فنون اللهو والعبث والمجون.

ونشأ عن هذا بعد ذلك أن جُلبت الحضارة جلباً إلى الحجاز وغيره من بلاد العرب واتسعت الفنون التي تنشأ عن هذا الترف والتبطّل فكان منها الغناء والإيقاع والرقص

---

١ ـ الطبقات الكبرى ٣ : ٦٤.

والشعر الذي لايصدر وجداً ولانشاطاً وإنّما يصدر بطالة وفراغاً وتهالكاً من أجل ذلك في اللذة أو عكوفاً من أجل ذلك على النفس وتعمُقاً لما ينتابها من الهم[١].

وكان ممن جلب الإماء والجواري والي الدولة الإسلامية على البصرة عبدالله ابن عامر فيذكر ان عبدالله بن عامر اشترى إماء نائحات وأتى بهنّ إلى المدينة فكان لهن يومٌ في الجمعة يلعبن فيه وسمع الناس منهن[٢].

ويُستنتج مما تقدم أنّ الغناء بدأ أوّل مابدأ من بيوت الولاة الذين هم قدوة المسلمين وأنّهم ولاة لبلاد دخلت في الإسلام لتوِّها.

أمّا الخمرة فكانت رفيقة الغناء وهي أيضاً بدأت تنتشر في الأمصار وفي عاصمة الدولة الإسلامية حتى ذكر المؤرخون أنّ محمد بن أبي حُذيفة قد وجد في حالة سكر وهو ربيب عثمان بن عفان، فأجرى عليه الحد. وكان ممن يُشيع شرب الخمر بعض ولاة الخليفة على الأمصار والأقطار.

وقد بدا كل شيء معكوساً، فإذا الذي يتولى مسؤولية مُراقبة المجتمع ومواجهة مظاهر الانحراف ويعمل على إقامة الحدود على العاصين أصبح أوّل من يُمارس الانحراف ولايتورع عن شيوع أنباء انحرافه في المجتمع، فكيف سيكون وضع الناس العاديين؟! وعلى هذا فقِس ماسواه.

٤ ـ ظلم الولاة واستئثارهم بالأموال وتجاهرهم بالفسوق.

اتبع الخليفة عثمان سياسة خاصة في نصب وعزل الولاة فلم يعر أيّة أهمية للمعايير الإسلامية في اختيار الولاة، فقد آثر مصالح العشيرة على المصالح الاسلامية العليا.

فقد ولّى الوليد بن عقبة مكان سعد بن أبي وقاص مع علمه التام بأنّ الله أنزل فيه قرآناً وكان والده ممن يُباشر عملية إيذاء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان آخر شيء يُفكر فيه سعد هو عزله وتعيين الوليد مكانه (وهو أخو الخليفة من أُمّه).

وكان الوليد يمتلك الشجاعة الكافية لكي يقول الحقيقة لسعد: إنّما ولي القوم الأمر فاستأثروا ويقصد بالقوم بني أُمية.

وإسلام الوليد هو إسلامٌ ظاهري، فقد ظلّ على عاداته التي اعتاد عليها في الجاهلية ومنها شُربه الخمر، وبلغ به الاستهتار حداً أنّه تقدَّم إلى صلاة الصُبح وهو سكران، فصلى بهم أربعاً وقال: أتريدون أن أزيدكم، وقيل أنّه قال في سجوده وقد أطال: اشرب

---

١ . طه حسين، الفتنة الكبرى، عثمان ص ٧٤٠.

٢ . الأغاني ٧ : ١٧٩.

واسقني فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول: ماتُزيد لازادك الله من الخير والله لاأعجبُ إلاّ ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي.

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنّح ويتمثل بأبيات لتأبط شرّاً:

ولست بعيداً عن مدام وقينة *** ولابصفا صلد عن الخير معزل

ولكنني أروي من الخمر هامتي *** وأمشي المَلا بالساحب المتسلسل

وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومُداومته على شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدي وجُندب بن زهير الأزدي وغيرهما فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لايعقل فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقيّأ عليهم ماشرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنّه شرب الخمر.

فقال عثمان: ومايدريكما أنّه شرب خمراً؟ فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه فزجرهما ودفع في صدورهما. وقال تنحيا عني فخرجا من عنده وأتيا علي بن أبي طالب(عليه السلام) فأخبراه بالقصة فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود وأبطلت الحدود[١]. ثم أمر الإمام(عليه السلام) عثمان باستدعاء الوليد ومحاكمته وإقامة الحدّ عليه.

واضطر الخليفة أمام ضغط الرأي العام أن يذعن للأمر الواقع حين ثبت عليه الحد أقام الإمام عليه الحدّ. فغضب عثمان وقال للإمام(عليه السلام): ليس لك أن تفعل هذا به فأجابه الإمام(عليه السلام) قائلا: بل وشرّ من هذا إذا فسق ومنع حقّ الله أن يؤخذ منه[٢].

وأرسل مكانه سعيد بن العاص، وكان الأحرى به أن يُعيّن شخصاً آخر مقبولا عند المسلمين لايمتُّ له بقرابة ليخفف من حجم المعارضة الساخنة.

فقد فجّر سعيد بن العاص بسياسته الهوجاء حالة التمرد. بمقولته المشهورة: إنّما هذا السواد بستانٌ لقريش ـ فهبّ بوجهه جمعٌ من الصحابة وكانت حركتهم بداية انتفاضة تواصلت حتى مقتل الخليفة.

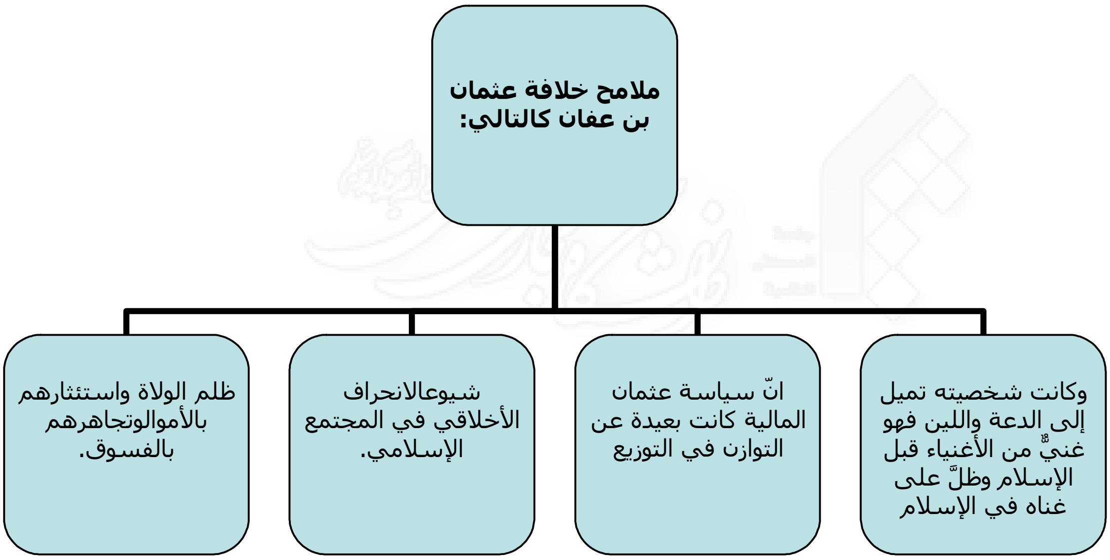
---

١ . مروج الذهب، المسعودي ٢ : ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

٢ . نفس المصدر.

ومن الذين تم تنصيبهم والياًعبدالله بن عامر وكان فتىً لايتجاوز الخامسة والعشرين من عمره تم تنصيبه مكان أبي موسى الأشعري، ليس لشيء إلاّ لقرابته فهو ابن أُخت الخليفة وقد سبق ماذكرنا في أحواله أنّه كان مولعاً بشراء الإماء.

ومن ولاته عبدالله بن أبي سرح الذي نزلت في حقّه آية من آيات القرآن الكريم وقد أهدر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) دمه يوم الفتح على رؤوس الأشهاد، والمسلمون كانوا يعرفون ذلك ولم ينسوا مواقفه من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن بالرغم من ذلك كله فقد أرسله الخليفة والياً على مصر وإذا ماأضفنا إلى هؤلاء معاوية بن أبي سفيان واليه على الشام لاكتملت الصورة ولأدرك أبسط إنسان يعيش في ذلك اليوم، أنّ الكيان الإسلامي كان في خطر ماحق وأنّ الظُلم والتعسف هو الظاهرة العامّة للولاة.



نظرة عثمان والجهاز الحاكم إلى الدولة

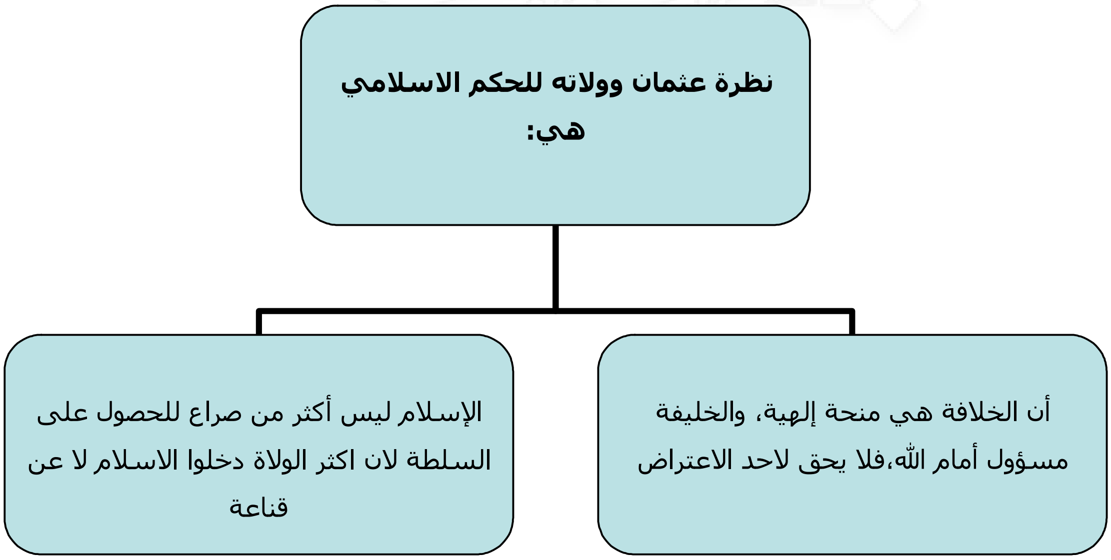
كان عثمان وأعوانه يتصرفون في سياسة الدولة من خلال تصور تفرزه عقيدة ثابتة ترسَّخت لديهم وهي:

١ ـ أن الخلافة هي منحة إلهية، والخليفة مسؤول أمام الله، فعندما حاول بعض الصحابة الضغط على الخليفة وإجباره على خلع نفسه، قال لهم: لاأنزعُ سربالا سربلنيه الله، ولكن أنزع عمّا تكرهون[١].

وهذه العبارة تعكس مايصطلح عليه اليوم (بنظرية الحق الإلهي). وعلى أساس هذا الاعتقاد كان الخليفة يتصرف وكأنّه موكّل من قبل الله في تصريف أُمور الناس وماعلى الناس سوى الطاعة ولاحقّ لهم في إرغامه على شيء.

وخطورة هذه النظرة تكمن في السياسة المالية التي اتبعها الخليفة إذ أعطى لنفسه الحق في التصرف ببيت المال، كيف شاء فأخذ يوزِّع العطاء حسب مايراه، وقد سار عماله في الأموال بسيرته فأخذوا يتصرفون بالأموال كما كان يحلو لهم دون ضابط.

٢ ـ المشهور أنّ بني أُمية لم يدخلوا الإسلام عن قناعة ولم يفهموا الإسلام كما هو مُنَزّل من قبل الله تبارك وتعالى. فكل مايستطيع أن يدركه شيخ الأُمويين أبوسفيان أنّ الدين الجديد الذي جاء به محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) من عند الله ليس أكثر من صراع للحصول على السلطة. وقد أفصح أبوسفيان عن عقيدته هذه يوم وقف هو والعباس ينظران إلى كتائب المهاجرين والأنصار، قبل فتح مكّة فقال للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فردّ عليه العباس قائلا: ويحك! إنّها النبوة[٢].



١ . الطبقات الكبرى لإبن سعد ٣ : ٦٦.
٢ . الكامل في التاريخ لإبن الاثير ٢ : ٢٤٦.

فأبو سفيان لم يفهم الإسلام على أنّه دين جديد نازلٌ من عند الله. بل كل مافهمه أبو سفيان وغيره أنّ الدين الجديد ماهو إلاّ اسلوب ذكي من محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) للسيطرة على السلطة وظلّ على هذه العقيدة حتى آخر أيّام عمره.

وعندما بويع عثمان بالخلافة دخل دار عثمان ومَعَهُ بنو اُمية، فقال أبوسفيان أفيكم أحدٌ من غيركم؟ (وقد كان أعمى) قالوا: لا، قال: يابني اُمية، تلقّفوها تلقُّف الكرة فوالذي يحلفُ به أبوسفيان مامن جنّة ولا نار ولاحساب ولاعقاب...

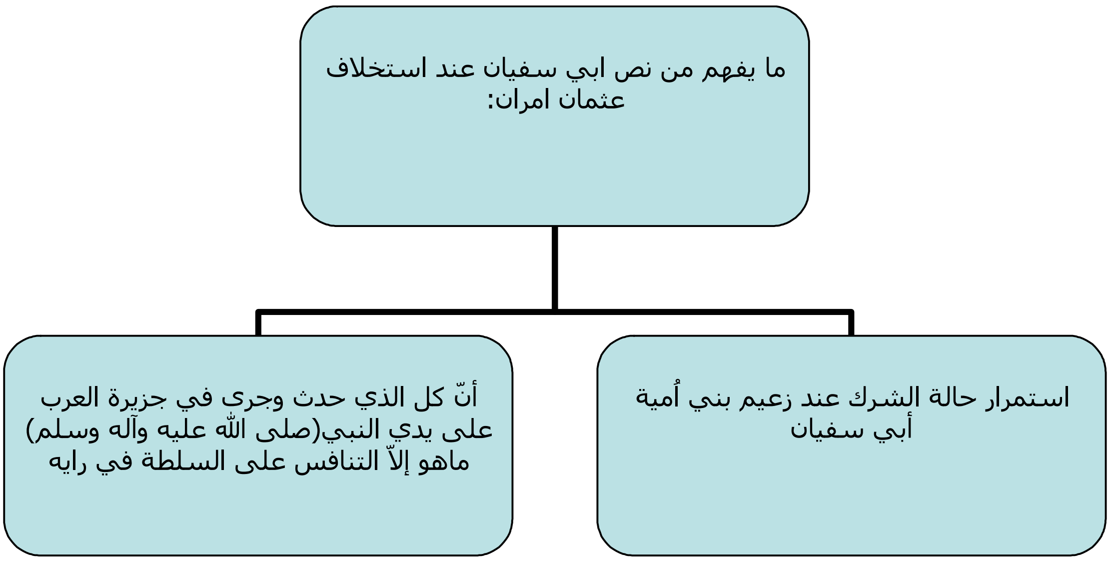
ولقد كنت أرجوها لكم ولتصير إلى صبيانكم وراثة[1]. ثم سار إلى قبر سيدّ الشهداء حمزة بن عبد المطلب فوقف على القبر وركله برجله وقال:

يا أبا عمارة! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعبّون به[2].

ونلاحظ في هذا النص أمرين هامّين:

الأول: استمرار حالة الشرك عند زعيم بني اُمية أبي سفيان فهو لازال يشك بالمعاد والحساب ويُقسم بالذي اعتاد أن يُقسم عليه أهل الجاهلية.

الثاني: أنّ كل الذي حدث وجرى في جزيرة العرب على يدي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ماهو إلاّ التنافس على السلطة والآن قد جاء الوقت المناسب لكي يستلم بنو اُمية السلطة من بني هاشم ولا يدعوها تخرج من أيديهم.



١ . مروج الذهب، المسعودي ٢ : ٣٥٢.
٢ . الاستيعاب ٢ : ٦٩ والأغاني ٦ : ٣٣٥.

وأخَذَ ولاة بني اُمية يتصرفون بعد استلام السلطة وكأنّ كل شيء هو ملك يمينهم، وقد أفصح سعيد بن العاص عن هذه النظرة، عندما اعتبر العراق بستاناً لهم يتقاسمونه بينهم، وماتوزيع القطائع في الأمصار على بني اُمية إلاّ تطبيق لتلك السياسة التي تعتبر البلاد ومن عليها ملكاً للسلاطين.

أبلغ مقالة تكشف عن هذه النزعة هي مقالة زياد بن أبيه وهو أحد ولاة بني اُمية الذي أصبح يعتبر نفسه سليل البيت الاُموي بعد أن استلحقَهُ معاوية بأبيه.

لقد خطب زياد قائلا: أيها الناس! إنّا قد أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذودُ عنكم بفيء الله الذي خوّلنا.

فكل شيء لبني اُمية طالما كانت السلطة بأيديهم.

ولعلّ أخطر أثر تركته خلافة عثمان هو زرع هذه الرؤية التي مهّدت الطريق لحكم معاوية بن أبي سفيان ومن بعده لملوك بني اُمية الذين حولّوا الخلافة إلى ملوكية (كسروية وقيصرية)[١].

١ . راجع دولة الإمام علي(عليه السلام)، محسن الموسوي : ١٤٤ ـ ١٥٣.

الخلاصة:

١. اتّسم عهد عثمان بشيوع الفساد الاداري والاقتصادي والسياسي وكان يتبعه التردّي الثقافي والديني; وذلك لاستهتار عمّاله بالمقدسات الإسلامية. كما بدأ الفساد الأخلاقي يدبّ بين الولاة المتميّعين والمسيطرين على مصادر الثروة في البلاد على أنّ الخليفة نفسه كان يرى أنّ الخلافة لباس قد ألبسه الله إيّاه وليس هو الذي تقمصّ هذا القميص، وهذه النظرة أدتّ إلى أن يشعر عمّا له بأنّ البلاد الإسلامية بستان لقريش (وهي الفئة الحاكمة باعتبار انتسابها الى قريش).

٢. وهنا وقف المسلمون على فداحة المصاب الذي ألمّ بهم نتيجة إقصاء أهل بيت نبيّهم عن القيادة.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٤)

ملامح عهد عثمان (٢)

المقدمة:

الهدف الدراسي: الاطلاع على ملامح عهد عثمان وما اكتنفه من احداث

النتائج المتوخاة من الدرس:

التعرف الى:

١ـ ظروف بدأ المعارضة لحكومة عثمان،وعلى يد من.

٢ ـ الذين اكتووا بنار عثمان وعمّاله.

٣ ـ موقع الإمام علي(عليه السلام) من المعارضة لحكم عثمان.

٤ ـ الاصلاحات التي كان يطالب بها الثوار عثمان.

المحتوى العلمي :

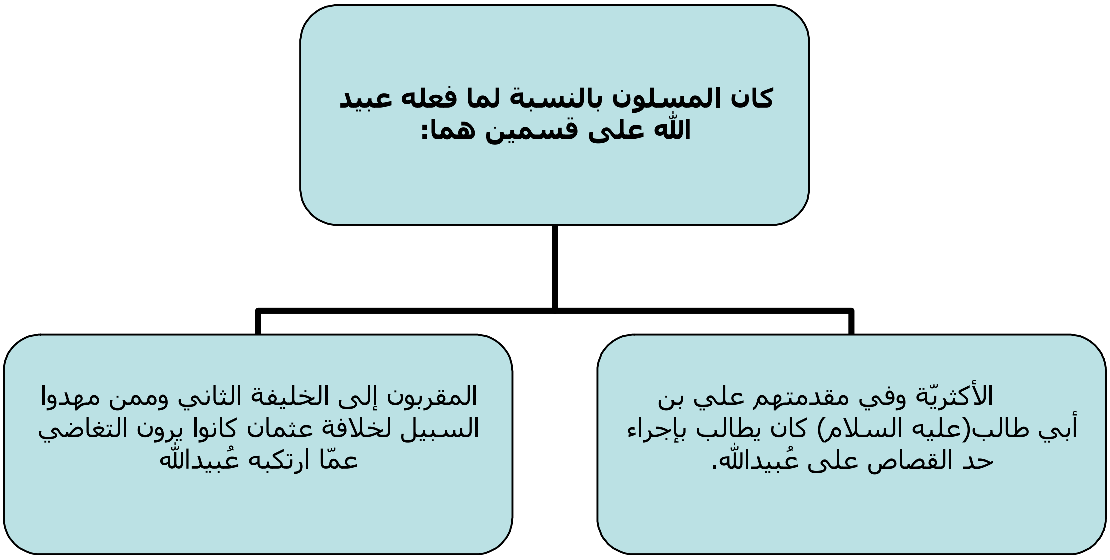
اشتداد تيار المعارضة

بدأت المعارضة منذُ اليوم الأول مِن اعتلاء عثمان بن عفان منصب الخلافة فقد كانت أول مواجهة للمسلمين مع الخليفة الجديد، هي تلك المواجهة التي حدثت نتيجة تساهل الخليفة مع جريمة القتل التي ارتكبها عبيدالله بن عمر بسفكه ثلاثة دماء لم يثبت جُرمها، فقد قتل الهرمزان وجفينة وبنت أبي لؤلؤة لمجرد شبهة اشتراك الهرمزان وجُفينة مع أبي لؤلؤة في قتل أبيه. وكان المفترض إقامة حدّ القصاص عليه دون غيره، بينما تجاوز عثمان على أُناس لم يثبت للحاكم تواطؤهم في جريمة قتل عمر، وعلى فرض ثبوت الإدانة بحقهم فالحد لايُجرى إلاّ بأمر الحاكم وطالما لم يأمر الحاكم بذلك فليس من حق أحد إجراء القصاص.

كيف تصرّف الخليفة حيال هذه الجريمة؟

انقسم المسلمون إلى قسمين: الأكثريّة وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب(عليه السلام) كان يطالب بإجراء حد القصاص على عُبيدالله.

وقسمٌ آخر وهم المقربون إلى الخليفة الثاني وممن مهدوا السبيل لخلافة عثمان كانوا يرون التغاضي عمّا ارتكبه عُبيدالله معتذرين عن ذلك بأنّه كيف يُقتل عمر أمس ويُقتل ابنه اليوم؟



وكان أول ضعف كشفه الخليفة عن نفسه عندما مال إلى الطرف الثاني، ووجد في كلام الداهية عمرو بن العاص مايُبرِّر له ذلك فقد قال له: قد أعفاك الله من هذه القضية فقد حدث ماحدث وليس لك على المسلمين سلطان.

فقال عثمان أنا وليّه وقد جعلتها دية واحتمالها في مالي[١].

وبذلك فَلَتَ عُبيدالله من القصاص العادل، وفَلَتَ أيضاً من الدية الواجب تقديمها لأهل المقتول فلم يدفع منها قرشاً واحداً.

وقد شكّل هذا الموقف بداية ظهور لمعارضة علنية ضد الخليفة.

ولم يمضِ وقتٌ طويل على هذه الحادثة ـ وبعد عام تقريباً ـ حتى عينّ عثمان أخاه من أُمِّه وهو الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط والياً على الكوفة بدلا من سعد بن وقاص.

وكان الوليد يتجاهر بشرب الخمر حتى اضطر الخليفة لإجراء الحد عليه وعَزلِه.

ومن بعده أُنيطت الولاية إلى أحد أبناء العشيرة وهو سعيد بن العاص وحتى سنة ٣٠ للهجرة استطاع بنو أُمية أن يُطبقوا سيطرتهم على الدولة الإسلامية.

ومع ازدياد استبداد الولاة كانت المعارضة للحُكم العثماني تزداد اتساعاً وقوةً.

وأول عمل قامت به المعارضة هو إزاحة سعيد بن العاص عن ولاية الكوفة وذلك في سنة ٣٤ للهجرة.

وذكر المسعودي في أحداث هذه السنة أنّ طلحة والزُبير كانا جالسين أثناء خروج عمرو بن العاص وقد سَمِعَ ماقيل في اجتماع الخليفة مع ولاته فقالا له: تعال إلينا فصار إليهما، فقالا: ماوراءك؟ قال: الشر. ماتركَ شيئاً من المنكر إلاّ أتى به وأمَرَهُ.

وجاء الأشتر، فقالا له: إنّ عاملكم الذي قمتم فيه خطباءَ قد رُدَّ عليكم وأمرَ بتجهيزكم في البعوث وبكذا وبكذا.

فقال الأشتر: والله لقد كنا نشكو سوء سيرته وماقمنا فيه خطباء، فكيف وقد قمنا وأيمُ الله على ذلك لولا أنّي أنفذتُ النفقة وأنضيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى أمنَعه دخولها؟

فقالا له: فعندنا حاجتك التي تقوم بك في سفرك. قال: فأسلفاني إذن مائة ألف درهم قال فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقَسَّمها بين أصحابه وخرج إلى الكوفة فسبق سعيداً وصعد المنبر وسيفه في عنقه ماوضعه بعد، ثم قال:

أما بعد، فإنّ عاملكم الذي أنكرتُم تعدّيه وسوء سيرته رُدَّ عليكُم وأمَرَ بتجهيزكم في البعوث، فبايعوني على أن لايدخلها. فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة، وخرج راكباً

---

١ . الكامل في التاريخ لإبن الاثير ٣ : ٧٥.

متخفياً يُريد المدينة أو مكّة، فلقي سعيداً بـ(واقصة) فأخبره بالخبر فانصرف إلى المدينة.

وكَتَبَ الأشتر إلى عثمان: إنّا والله مامنعنا عاملك الدخول لنُفِسدَ عليك عملك ولكن لسوء سيرته فينا وشدّة عذابه، فابعث إلى عملك من أحببت.

فكتب إليهم: انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولُّوه فنظروا فإذا هو أبوموسى الأشعري فولوّه.

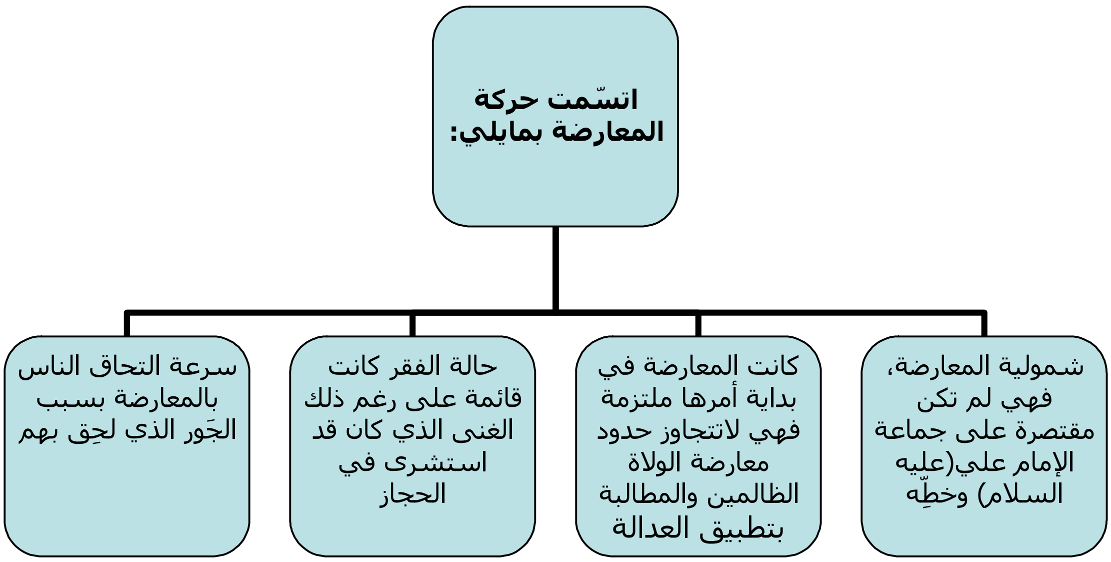
وهذه الحركة كانت بداية الثورة على الحكم العثماني القائم. واتسّمت بمايلي:

١ ـ شمولية المعارضة، فهي لم تكن مقتصرة على جماعة الإمام علي(عليه السلام) وخطِّه بل كانت تشمل آخرين كطلحة والزُبير وعمرو بن العاص، بغضّ النظر عن نواياهم المبيّتةَ.

٢ ـ كانت المعارضة في بداية أمرها ملتزمة فهي لاتتجاوز حدود معارضة الولاة الظالمين والمطالبة بتطبيق العدالة ولم تَمسّ شخصية الخليفة.

٣ ـ حالة الفقر كانت قائمة على رغم ذلك الغنى الذي كان قد استشرى في الحجاز، فالأشتر وهو أحد كبار القادة لايملك المال لكي يعود إلى العراق فيضطر للاستقراض من طلحة والزُبير.

٤ ـ سرعة التحاق الناس بالمعارضة بسبب الجَور الذي لحِق بهم والظُلم الذي نالهم من ولاة عثمان.



ومع دخول سنة ٣٥ للهجرة دخلت المعارضة مرحلة أكثر صرامة في المواجهة بسبب إهمال مطاليبهم والتي كان على رأسها اعتزال الخليفة للعصابة الأموية التي كانت تحيط به وعَزل الولاة الأمويين الذين كانوا يحكمون بأهوائهم لا بأحكام الله.

ومع تجاهل الخليفة لتلك المطالب، توجّهت المعارضة باتّجاه تعديل مواقف الخليفة، إلاّ إنها لم تفلح في تغيير الوضع الفاسد.

محاولات التغيير

المحاولة الأولى: كان عبدالله بن مسعود ـ وهو المعروف بأمانته وإخلاصه ـ خازناً لبيت المال في الكوفة وحدث أن اقترض الوليد بن عقبة مقداراً من المال من بيت المال فطالبه ابن مسعود عند الأَجَل فتجاهل ذلك.

وبعد إلحاحِهِ أرسل الوليد برسالة إلى عثمان يطلب منه تعنيفه، فكتب إليه عثمان: إنّما أنت خازن لنا فلاتعرض للوليد فيما أخذ من بيت المال.

فاغتاظ ابن مسعود وترك وظيفته، وأقام في داره مكتفياً بالوعظ والإرشاد وتحوّل داره إلى معقل للمعارضة ولكل غاضب على السلطة.

واشتد ابن مسعود في تحركِه ضد عثمان فأرسل عليه، وعندما دخل عليه المسجد قابله بكلمات لاتليق بالخليفة وأُخرج ابن مسعود من المسجد بالقوة وضُرِب بالأرض فكُسِرَت إحدى أضلعه وقَطَعَ عنه الخليفة العطاء وحظر عليه الخروج من المدينة ليصبح تحت رقابتهم وساءت أحواله الصحية، فمرض فعاده الخليفة بغية كسب رضاه فلم يبالِ بوجوده، فأراد عثمان أن يعيد إليه العطاء.

فقال له ابن مسعود: حبستم عنّي حين احتجت إليه وتردّه اليّ حين لاحاجة لي به!

فقال عثمان: يكون لأهلك، قال ابن مسعود: رِزقهُم على الله.

ثم توفي ابن مسعود وصلّى على جنازته عمّار بن ياسر، ولم يخبروا عثمان بوفاته، فغضب عثمان وهو يقول: سبقتموني به!

قال عمار: فإنه أوصى ألاّ تصلي عليه.

فأسرّها عثمان في نفسه وكانت من أسباب غضبه على عمار[١].

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٥٣ الطبقات ٥ : ٣٨٨.

المحاولة الثانية: ظلّ أبوذر حتى آخر لحظة من عمره كما هو في أول إسلامه، يوم نظر إليه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ماأقلّت الغبراء ولا أظلَّت الخضراء رجلا أصدق لهجة من أبي ذر.

وكان أبوذر يأتي إلى المدينة من الشام فيجاور قبر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أيام مكثه في المدينة. وفي إحدى المرّات اكتشف أمراً هاماً لم يخطُر على باله، فقد أعطى عثمان لمروان بن الحكم مالا كثيراً وأعطى الحارث بن الحكم ثلاثمائة ألف درهم وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم فتأثر أبوذر فوقف بوجه مروان يقرأ عليه الآية:

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَاب أَلِيم)[١].

فشكاه مروان على هذا التصرف، فأرسل الخليفة إليه مولى له ينهاه، فقال أبوذر: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله؟!

وكانت هذه بداية معارضته لسياسة عثمان في العطاء حيث كان يعطي البعض ويقطع عن البعض الآخر والذين يعطون أيضاً كانوا يتفاضلون في العطاء.

وأراد عثمان أن يتخلص منه فأرسله إلى الشام.

وفي الشام لم يهدأ أبوذر لحظة واحدة فقد وجد معاوية يُسرف في صرف أموال المسلمين، فيبني بها القصور، ويتصرف في بيت المال وكأنّه من ماله الخاص.

فكان صوت أبي ذر في وجه معاوية كأنّه السيف البتّار، فخاف معاوية على نفسه وعلى أهل الشام فأرسله إلى المدينة، وفي المدينة أخذ يواصل رسالته في مقاومة الاستئثار والإسراف في مال المسلمين.

وكان يقول: بَشِّرِ الأغنياء بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

فاجتمع حوله كل مؤمن وكل فقير وأصبح يُشكِّل خطراً يهدِّد السلطة.

ورُوي أنّ أباذر دَخَلَ على عثمان وكان عليلا متوكّئاً على عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حُملت إليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يُقَسّمها فيهم فقال أبوذر: لعثمان، ماهذا المال؟

فقال عثمان: مائة ألف درهم حُملت إليّ من بعض النواحي أُريد أن أضم إليها مثلها ثم أرى فيها رأيي.

فقال أبوذر(رضي الله عنه) لعثمان: ياعثمان أيّما أكثر مائة ألف درهم أم أربعة دنانير فقال: بل مائة ألف درهم فقال أما تذكر إنّي أنا وأنت دخلنا على رسول الله(صلى الله

١ . التوبة : ٣٤.

عليه وآله وسلم) عشاء فرأيناه كئيباً حزيناً فسلّمنا عليه فلم يردّ علينا السلام، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً، فقلنا له: بآبائنا وأُمهاتنا نفديك، دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً، وعُدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً؟! فقال: نعم كان بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسّمتها وخفت أن يدركني الموت، وهي عندي وقد قسّمتها اليوم فاسترحتُ.

فنظر عثمان إلى كعب الأحبار، فقال: ياأبا بحر! ماتقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟

فقال: لا، لو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ماوجب عليه شيء، فرفع أبوذر عصاه فضرب بها رأس كعب ثمّ قال له: يابن اليهودية الكافرة ماأنت والنظر في أحكام المسلمين؟! قول الله أصدق من قولك حيث قال: الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله...

فقال عثمان ياأباذر إنّك شيخ خرِفتَ وذهب عقلك ولولاصحبتك للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لقتلتك.

فقال: ياعثمان! أخبَرَني حبيبي رسول الله فقال. لايفتنونك ولايقتلونك، وأما عقلي فقد بقي منه ماأحفظ حديثاً سمعته من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فيك وفي قومك.

فقال وماسمعت من رسول الله؟ قال سمعته يقول: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلا صيّروا مال الله دُولا وكتاب الله دخلا وعباده خولا والفاسقين حزباً والصالحين حرباً.

فقال عثمان: يامعشر أصحاب رسول الله! هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله؟! فقالوا: لا، فقال عثمان: أُدعوا عليّاً.

فجاء أمير المؤمنين(عليه السلام) فقال عثمان: ياأبا الحسن، انظر مايقول هذا الشيخ الكذّاب!

فقال أمير المؤمنين(عليه السلام): لاتقل كذّاب فإنّي سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ماأظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر.

فقال أصحاب رسول الله، صَدَقَ أبوذر فقد سمعنا هذا من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فبكى أبوذر عند ذلك.

فقال عثمان: ياأبا ذر أسألك بحق رسول الله الاّ ماأخبرتني عن شيء أسألك عنه. فقال أبوذر: والله لو لم تسألني بحق رسول الله لأخبرتك.

فقال: أيّ البلاد أحبُّ اليك أن تكون فيها؟ فقال: مكّة حرم الله وحرم رسوله أعبدُ الله حتى يأتيني الموت، فقال: لا، ولا كرامة لك.

فقال: المدينة، فقال: لا ولاكرامة لك، قال: فسكت أبوذر.

فقال عثمان: أيّ البلاد أبغض إليك تكون فيها؟ فقال: الربذة التي كنتُ فيها على غير دين الاسلام.

فقال عثمان: سِر إليها فقال أبوذر: صدق الله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

ثم إنّ عثمان منع من توديعه ولكنّ الإمام عليّاً(عليه السلام) خفّ لتوديعه ومعه الحسنان(عليهما السلام)وعقيل وعبدالله ابن جعفر، فاعترضهم مروان بن الحكم ليردّهم، فثار الإمام عليّ(عليه السلام) فحمل على مروان، وضرب أُذني دابته وصاح به: تنحَّ نحّاك الله إلى النار[٢].

ووقف الإمام عليّ(عليه السلام) مودّعاً أباذر فقال له: «يا أباذر، إنّك غضبت لله فَارْجُ من غضبتَ له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ماخافوك عليه، واهرب بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى مامنعتهم، وما أغناك عمّا منعوك، وستعلم مَن الرابح غداً والأكثر حسداً؟»[٣].

وهكذا انطوت صفحات حياة هذا الصحابي الجليل في قعر الصحراء، لكنّها لم تنطوِ من حياة الأُمّة التي ظلت على الخط الذي رَسَمَه أبوذر، فقد تدافع من بعده الدعاة والثوّار ليؤدّوا مسؤولياتهم الدينية من بعده.

المحاولة الثالثة: كان عمّار بن ياسر من أوائل مَن آمن برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى قبل عثمان بن عفان، وكان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ينظُر إليه نظرة تقدير وإعجاب لإيمانه وإخلاصه وصدقه وشجاعته ووفائه وصبر أُمّه وأبيه في سبيل الله وفي أحلك الظروف التي مرّت بها الرسالة الإسلامية، إنّه ابن العائلة التي قال لها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): صبراً يا آل ياسر! إنّ موعدكم الجنة.

وكذلك كان جميع الصحابة... يتعاملون مع عمار وينظرون إليه نظرة إكبار تأسيّاً بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وبتاريخه الجهادي الناصع.

---

١ . طبقات الشيعة، علي خان الشيرازي : ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

٢ . مروج الذهب ٢ : ٣٥٠.

٣ . أعيان الشيعة ٣ : ٣٣٦، وشرح نهج البلاغة ٣ : ٥٤، وذكر ذلك أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز في كتابه السقيفة.

كان لعمار دورٌ مؤثّر في معركة اليمامة أيام أبي بكر واستعمله عمر والياً له على الكوفة، أمّا عثمان بن عفان فقد كان له رأي آخر في عمار، معاكس لكل ماتلقّاه عمّار من احترام وتقدير من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة.

وتعود العلاقة المتوتّرة بين عمّار وعثمان إلى مواقف سابقة قبل خلافته.

فقد ذكر المؤرخون...أنّه كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي(عليه السلام) وعمّار يعملون مسجداً فمرّ عثمان في بزّة له يخطر فأخذ عمّار ينشد:

لايستوي من يعمر المساجدا *** يظل فيه راكعاً وساجدا

ومن تراه عائداً معانداً *** عن الغبار لايزال حائدا[1]

فغضب عثمان وأبقى في نفسه ذلك.

وكان عمار قد سمع ماقال أبوسفيان لبني أُمية[2] فسارع، وعلى عجل دخل المسجد وأفشى ذلك السِر ولامَ المسلمين على اختيارهم السيّىء وانصرافهم عن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).

وهناك نقطة ثالثة زادت في الهوّة بين عمار والخليفة وهي موقف عمار من القضية التي وقعت بين الخليفة وعبدالله بن مسعود حيث وقف عمّار إلى جانب ابن مسعود وصلّى على جنازته بعد موته وكان المعهود أن يصلّي الخليفة على جنائز الأصحاب.

ورُويَ أنّ المقداد وعمّاراً وطلحة والزبير وعدّة من أصحاب رسول الله اجتمعوا وهم خمسون رجلا من المهاجرين والأنصار فكتبوا كتاباً عدّدوا أحداث عثمان ومانقموا عليه وخوّفوهُ به وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يقلع، وقالوا لعمّار: أوصل هذا الكتاب لعثمان.

فلمّا قرأ عثمان الكتاب طَرَحَهُ ثمّ قال: أعليَّ تقدم من بينهم؟ فقال: لأنّي أنصحهم لك قال: كذبت ياابن سميّة، فقال عمّار: أنا ابن ياسر، فأمر عثمان غلمانه فمدّوا يديه ورجليه وضربوه حتى أُغمي عليه وكان ضعيفاً كبيراً.

وقام إليه عثمان بنفسه ووطأ بطنه ومذاكيره برجليه وهي في الخفين حتى أصابه الفتق فأُغمي عليه أربع صلوات فقضاها بعد الإفاقة.

ثمّ إنه أُلزم بيته إلى أن كان ماكان من قتل عثمان[3].

وقيل أُخرج محمولا حتى أتي به منزل أُم سلمة زوج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). ويُقال: إنّ أُمّ سلمة أو عائشة أخرجت شيئاً من شعر النبي(صلى الله عليه

---

١ . طبقات الشيعة، علي خان الشيرازي : ٢٥٩.

٢ . مروج الذهب، المسعودي : ٣٥٢.

٣ . طبقات الشيعة، علي خان الشيرازي : ٢٦٣.

وآله وسلم) وثوباً من ثيابه ونعلا من نعاله وقالت: هذا شعر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وثوبه ونعله لم يبلَ وأنتم تعطّلون سنته، وضج الناس وخرج عثمان عن طوره حتى لايدري مايقول[1].

أمّا معارضة علي وأصحابه لعثمان فكانت تتحكّم بها المصلحة الإسلامية العليا فهي لم تتجاوز الحدود الإسلامية ولم تخضع لرغبات ذاتية أو لمصالح مؤقته.

وعند استعراض مواقف الإمام علي(عليه السلام) وصحبه نستطيع أن نرسم خطوطاً عامّة لحركة المعارضة ضد عثمان بمايلي:

١ ـ المطالبة بالإصلاح الاجتماعي...فقد تفشت المفاسد الاجتماعية نتيجة انتشار الخمرة والغناء وكان من واجب الإمام(عليه السلام) وصحبه العمل على مواجهة هذه المفاسد، فنشر أفراد حركته في الأقاليم الإسلامية المختلفة، أباذر في الشام، ومحمد بن حذيفة ومحمد بن أبي بكر في مصر وعبدالله بن مسعود ومالك الأشتر وصعصعة بن صوحان في العراق وكان على رأس المهام التي كان يقوم بها هؤلاء الدعاة إيقاظ المشاعر الدينية في الناس ومواجهة الفساد وعوامل الميوعة بالموعظة الحسنة وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ مراقبة تصرّفات الولاة ومحاسبتهم على سلوكياتهم المناقضة للشريعة والأخلاق الإسلامية. فقد قام محمد بن أبي حُذيفة بدور هام في محاسبة والي مصر عبدالله بن أبي سرح حتى تزعزع وجوده في مصر ففضّل تركها على البقاء فيها.

وفي الكوفة كان لمالك الأشتر وبقية رفاقه الدور المهم في إزاحة الوليد بن عقبة ومن ثمّ الثورة على سعيد بن العاص نتيجة لتصرّفاتهم المشينة والمخالِفة لروح الإسلام.

وكذلك كان لأبي ذر ـ كما هو معروف ـ الدور الهام في إيقاظ أهل الشام ومحاسبة معاوية بن أبي سفيان على سياسته في الرعية.

٣ ـ الدعوة إلى تطبيق قاعدة الزكاة والإنفاق: فقد ظهرت في عهد الخليفة عثمان طبقة من الأثرياء موغلة في الثراء، بينما كانت الأكثرية من عامّة المسلمين يعيشون الفقر المدقع، فكان لابُدّ من إزالة هذه الفجوة باستخراج أموال الفقراء من أموال الأغنياء وذلك بالتأكيد على الإنفاق وحُرمة الاكتناز.

٤ ـ تقديم النُصح للخليفة: فقد التزم علي وصحبه سياسة ثابتة وهي مساعدة الخليفة على اجتيازه للأزمة التي كان يمرُّ بها مع الثوّار. وأقرب الناس إلى عثمان وهي

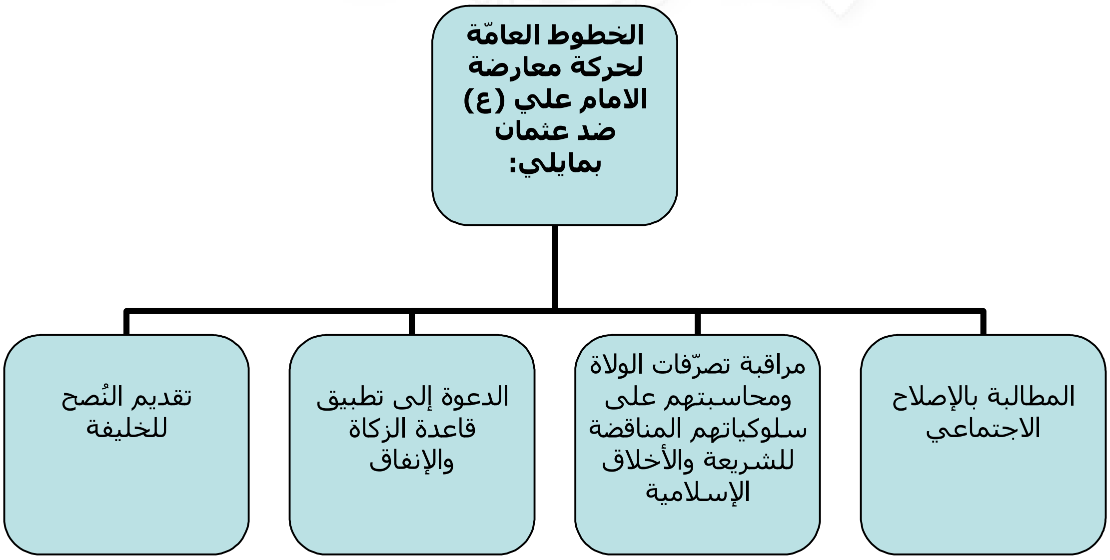
١ . اسلاميات (عثمان)، طه حسين : ٧٨٥.

زوجته نائلة قد أقرّت بسلامة مواقف الإمام علي(عليه السلام) وصحبه وأنّهم يُريدون له الخير، فكلمّا اشتدت الأزمة عليه كانت تطلب منه أن يرسل إلى علي ليستعين به على الأعداء[1].

وعلى العكس كان مروان وصحبه يصورّون للخليفة أنّ مايحدث كلهُ بسبب مواقف علي بن أبي طالب(عليه السلام)[2].

ولم يكن في بيت الخليفة من يؤثر مصلحته ويأخذ الأمور بجدّية وحكمة إلاّ امرأة واحدة وهي نائلة فقد ظلّت وحدها في البيت عندما هرب بنو أُمية وكان عددهم ثمانية عشر نفراً، وقفت نائلة تؤازر زوجها وتُدافع عنه عند الهجوم على الدار بينما فرّ مروان بن الحكم وكلُّ الذين كانوا يوحون للخليفة بتلك السياسة التي أودت بحياته.

لقد كان الإمام علي(عليه السلام) ينطلق في معارضته للسلطة من موقف إسلامي أصيل فكان يُشكّل خطّاً في المعارضة الايجابية التي تُساهم في الأعمال الخيرة التي كان يقوم بها الخليفة بينما كان موقفها من الأعمال المنافية هو تقديم النصح والتخفيف من موجة الاضطرابات وكان رائد هذه الحركة في جميع المواقف هو الحرص على المصلحة الإسلامية فقط[3].



---

١ . الطبري ٤ : ٣٦٣.

٢ . المصدر : ٣٦٥.

٣ . راجع دولة الإمام علي(عليه السلام)، محسن الموسوي : ١٥٤ ـ ١٦٤.

الخلاصة:

١. توالت الضربات من الخليفة عثمان وبطانته وعمّاله على الأمّة الإسلامية وتصدّى فيها لصحابة أجلآء مثل ابن مسعود وأبي ذر وعمّار بن ياسر وكانت معاملته مع أبى ذر ونفيه إلى الربذة عاملا مهمّاً في اكتشاف الوجهة المنحرفة لحكومته.

٢. وانتهت هذه الفضائح بأن قام جمع من الصحابة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معه، وحيث لم تتغير مواقف عثمان وبطانة السوء من حوله أخذ أهل الأمصار يشِددّون المطالبة بالنزول عند مطالبهم التي كانت تتلخص في المطالبة بالإصلاح الإداري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٥)

عهد الإمام على(عليه السلام) (١)

المقدمة:

الهدف الدراسي: التعرف الى الاحداث قبيل عهد الامام علي (ع)

النتائج المتوخاة من الدرس:

الاطلاع على:

١ـ دور عائشة ومعاوية في مقتل عثمان.

٢ ـ دور الإمام علي(عليه السلام) في الحيلولة بين الثوار وبين قتل عثمان.

٣ ـ مواقف مروان وعواقبها.

٤ـ سبب رفع معاوية لشعار المطالبة بدم عثمان.

٥ ـ أهمّ خصائص بيعة المسلمين للإمام علي(عليه السلام) على الخلافة.

المحتوى العلمي :

عهد الإمام علي(عليه السلام) (١)

١ . دور عائشة ومعاوية في مقتل عثمان

لم تتحرّج عائشة بنت أبي بكر من الدخول في الصراعات السياسية والدعوة إلى إحداث التغيير في شكل السلطة القائمة، إذ كانت تحاول أن يصل طلحة إلى رئاسة السلطة، وشجّعها على ذلك ضعف وفساد سلطة عثمان فشنّت عليه حرباً إعلامية محرّضة الناس على خلعه بل قتله أيضاً.

فقد كانت ترى أنّه بدّل سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثَمَّ كفر واستحق القتل لانقاذ الأُمّة منه، فكتبت إلى البلاد تحرّض المسلمين على الخروج عليه[١]...وأخرجت قميص رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وعثمان يخطب ونادت: يامعشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنّته، فقال عثمان: ربّ! اصرف عنّي كيدهنّ إنّ كيدهن عظيم[٢].

ولمّا رأت منه استئثاره ببيت المال هو وبنو أُمية هدّدته بالقتل[٣] وكانت تقول في مواطن عديدة: اقتلوا نعثلا فقد كفر[٤].

ولما التقى عبدالله بن عباس بعائشة في طريق مكّة قالت: ياابن عباس! إيّاك أن تردّ عن هذا الطاغية وأن تشكّك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم، وأنهجت ورفعت لهم المنار، وتحلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ، وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح فإن يلِ يَسر بسيرة ابن عمّه أبي بكر[٥].

وأمّا موقف معاوية من عثمان فإنّه قد خطّط بذكاء لمقتل عثمان بعد خذلانه فإنّه كان يعلم بتفاصيل ماكان يجري لعثمان في المدينة وعندما استنجد به عثمان أرسل جيشاً بقيادة يزيد القسري وأوصاه بأن يقيم خارج المدينة ولايتجاوزها ولا يقول إنّ الشاهد يرى مالايراه الغائب; لأنّ معاوية هو الشاهد ويزيد القسري هو الغائب.

---

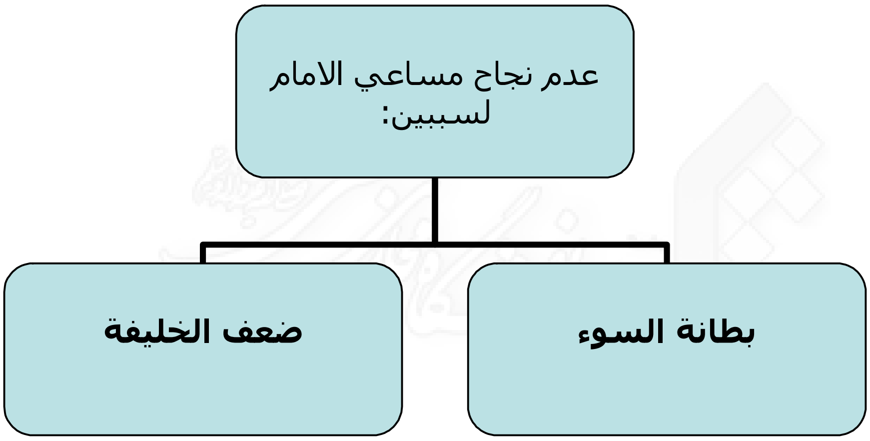
١ . أنساب الأشراف ٥ : ١٠٣.
٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٥.
٣ . كتاب الفتوح: ١١٥.
٤ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٤٨٥.
٥ . أنساب الأشراف ٥ : ٧٥، وتاريخ الطبري ٥ : ٤٢٥.

وقد فهم غير واحد من معاصريه أنّه قد خطط لخذلانه ثم المطالبة بدمه[1].

موقف الإمام(عليه السلام) تجاه الجماهير الغاضبة

تأزّم الوضع العام في البلاد الإسلاميّة، وتحرّكت قطاعات كبيرة من داخل المدينة وبقية الإمصار معترضة على سيرة عثمان وعمّاله طالبةً منه العدل والسويّة والعمل وفق التعاليم الإسلامية[2]، ولكن لم تنل إلاّ الخيبة والفشل في مساعيها.

وتدخّل الإمام علي(عليه السلام) في مسعىً لأنْ يصل إلى حلّ يغني الأُمّة عن فتنة لاتحمد عواقبها، ولكن بطانة السوء وضعف الخليفة جعلت مساعي الإمام لاتثمر نجاحاً.



وقدمت وفود عديدة نحو المدينة لتضغط على الخليفة بالقوّة كي يصلح الفساد الإداري أو يعتزل أو القتل.

وأيقن عثمان أنّ الوضع خطير جدّاً ولا يوجد محاور يمكن له أن يتدخّل في الوساطة بينه وبين الثوّار سوى الإمام عليّ(عليه السلام)، فأسرع يستغيث به، وتمكّن الإمام(عليه السلام)بأُسلوبه الحكيم ومكانته في قلوب الجماهير أن يقنع الثائرين على عثمان بالهدوء والتفاهم مع الخليفة، عسى أن يصلوا معه إلى حلّ يرضي الأطراف، فأدخل الإمام(عليه السلام)عدداً من وجوه الثائرين على عثمان فعاتبوه ولاموه على سوء أعماله ومافرّط به من مصلحة الأمّة، وطالبوه أن يغيّر سياسته

---

١ . تاريخ المدينة ٤ : ١٢٨٩ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ١٥٤.

٢ . أنساب الأشراف ٥ : ٥٩.

وسلوكه...فاستجاب لهم وكتب كتاباً يتعهّد بتنفيذ الإصلاح والسير فيهم بكتاب الله وسيرة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان الإمام عليّ(عليه السلام) هو الضامن للمؤمنين على عثمان بالوفاء، وشهد على ذلك عدد من الصحابة[١]، وقفل الثائرون عائدين إلى بلادهم اطمئناناً منهم بمستقبل أفضل.

ولكنّ ضعف عثمان أمام خبث ومكر مروان جعله ينكث، فخرج عثمان وصعد المنبر وخطب فقال: أمّا بعد، إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلمّا تيقّنوا أنّه باطل مابلغهم رجعوا إلى بلادهم...فصاح به عدد من المسلمين من أطراف المسجد وطالبوه بالتقوى والعمل الصالح[٢].

ويبدو أنّ عثمان كتب لأهل مصر بتولية محمد بن أبي بكر عليهم بدلا من عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وأعطاهم الكتاب وسيّر محمداً معهم، فما أن ذهبوا حتى كتب كتاباً آخر إلى ابن أبي سرح يأمره بقتل محمد ومن معه، ويثبت على ولايته، وأرسله مع رسول خاص، وكان سوء حظّ الخليفة أن وقع الكتاب بيد محمد والوفد الذاهب معه.

وخطب عثمان بنصيحة من الإمام عليّ(عليه السلام) ليهّدىء الوضع العام، فأعلن فيها توبته عن خطئه وعزمه على الإصلاح المالي والإداري ورعاية شؤون الأُمّة، وبكى على المنبر ندماً من أفعاله السابقة...ولكنّ يد السوء تتلاعب بأهواء الساسة والحاكمين فعاد مروان يحرّض عثمان على مواجهة الجماهير والتصلّب في المواقف، ولم تنفع اعتراضات نائلة ـ زوجة عثمان ـ عليه.

فقال له عثمان ـ وقد اجتمع الناس على باب عثمان ـ : فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي أستحي أن أُكلّمهم، فخرج مروان إلى الناس فقال: ماشأنكم قد اجتمعتم كأنّكم قد جئتم للنهب؟ شاهت الوجوه، كلّ إنسان آخذ باذُنُ صاحبه إلاّ من أُريد، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟ أُخرجوا عنّا، أما والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منّا أمر لايسرّكم ولا تحمدوا غِبَّ رأيكم.

فرجع الناس وأتوا الإمام عليّاً(عليه السلام) فأخبروه الخبر، فجاء(عليه السلام) مغضباً حتى دخل على عثمان فقال: أما رضيت من مروان ولارضي منك إلاّ بتحريفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يُسار به، والله مامروان بذي رأي في دينه ولافي نفسه، وأيم الله إنّي لأراه سيوردك ثمّ لايصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أَذهبتَ شرفك وغلبت على أمرك.

---

١ . أنساب الأشراف ٥ : ٦٣ وتاريخ الطبري ٥ : ٣٤٧ حوادث سنة (٣٥) هـ.

٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٣٧٠.

لقد أساء عثمان إلى الأمّة كثيراً فلم يُبق له صديقاً حميماً إلاّ النفعيين من بني أُميّة الذين غشّوا صحبته وخذلوا نصرته، فتكاثرت الفئات المسلّحة تحوم من أطراف البلاد الإسلامية حول المدينة تريد رفع الظلم، وما بقيت للحكومة المركزية سلطة ولا للخلافة هيبة.

ولم يجد الإمام(عليه السلام) في كلّ مابذل من أجل تهدئة الأمور إلاّ تعنّتاً من طرفي النزاع، فآثر أن يعتزل الفتنة فقد روي أنّه خرج إلى ينبع في مال له هناك، ويبدو أنّ الإمام(عليه السلام)كان يستجيب لطلب عثمان فيما يخصّ تهدئة الوضع المتوتر، ولكنّ تَصرفات عثمان جعلت الإمام يردّ على ابن عباس حين جاءه بطلب من عثمان ـ وهو محصور ـ أن يخرج من المدينة لأنّ الناس ترى فيه الخليفة الأصلح، فقال(عليه السلام): «ياابن عباس! مايريد عثمان إلاّ أن يجعلني جَملا ناضحاً بالغَرب أقبِلْ وأدبِرْ، بعث إليّ أن أَخرُج، ثمّ بعث إليَّ أن أَقدم، ثمّ هو الآن يبعث إليَّ أن أخرُجَ، واللهِ لقد دفعتُ عنه حتّى خَشِيتُ أن أكونَ آثماً»[١].

إنّ استعمال العنف والقسوة في التعامل مع المعترضين وإهانتهم ولّد ردّة فعل معاكسة للثورة على النظام القائم عسكرياً، وكان مقتل عثمان نقطة تحوّل في الصراعات الدائرة بين وجهات نظر المسلمين، فعمل السيف عمله في أفراد الأُمّة وأجّجه وزاد فيه تعنّت بني أُمية ومن والاهم على تحدّي الحقّ ورغبة الأُمّة في الإصلاح.

وهذا مافسح المجال أمام النفعيّين في الوصول إلى الحكم بقوّة السيف بعد أن افترقت الأُمّة الإسلامية في توجّهاتها السياسية، كلّ فرقة تريد الحكم لنفسها.

لقد خلّف مقتل عثمان فتنةً يتأجّج أوارها كلّ حين، وشعاراً يرفعه النفعيّون والخارجون على الطاعة والبيعة لإثارة المشاكل والحروب تجاه حكومة شرعية جماهيرية بزعامة الإمام عليّ(عليه السلام)، وتكامل دور الفتنة والشقاق على يد معاوية فيما بعد، فحارب الإمام(عليه السلام) وسالت دماء المسلمين كثيراً، ثمّ حرّفوا التوجّه الديني الصحيح إلى ثقافة مشبوهة يحركون بها المجتمع لغرض إدامة سلطانهم الذي تحوّل إلى ملك متوارث، يساعدهم على ذلك سعة الدولة الإسلامية الجديدة ووجود فئات واسعة من المجتمع الإسلامي لم تفهم العقيدة الإلهية بوعي وبصيرة.

---

١ . نهج البلاغة «صبحي الصالح»: الكلمة (٢٤٠).

البيعة العامّة مع الإمام(عليه السلام)

سادت الفوضى أرجاء المدينة بعد مقتل عثمان، فاتّجهت الأنظار والآراء إلى الإمام عليّ(عليه السلام) لينقذ الأمّة من محنتها وتخبّطها، ولم يتجرّأ أحد أن يدّعي أحقيّته بالخلافة التي يكتنف طريقها المشاكل المستعصية، كما أنّ الظرف السياسي لم يمهل عثمان أن يتّخذ قراراً بشأن الخلافة كما اتّخذ صاحباه من قبل، ولم يكن المتبقّي من أصحاب الشورى يملك مؤهّلات الخلافة أصلا، فكيف وقد تعقّدت الأمور وتدهور وضع الدولة وكيانها، ولابدّ أن يتزعّم الأُمّةَ قائدٌ يملك القدرة للنهوض بالأُمّة بعد انحطاطها وقيادتها لاجتياز الأزمة وصيانتها عن الضياع، ولم يكن من شخص إلاّ الإمام عليّ(عليه السلام) راعيها وسيّدها.

تحرّكت جماهير المسلمين بإصرار نحو الإمام عليّ(عليه السلام) لتضغط عليه كي يقبل قيادتها، ولكنّ الإمام(عليه السلام) استقبل الجماهير المندفعة بوجوم وتردّد، فقد حُرِم منها وهو صاحبها وجاءته بعد أن امتلأت الساحة انحرافاً والامّة ازدادت تردياً ومعاناة لمشاكل تستعصي دون النجاح في المسيرة فقال لهم: لاحاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به...وقال(عليه السلام) إنّي لكم وزير خير من أن أكون أميراً[1].

وأوضح لهم الإمام(عليه السلام) عما سيجري فقال: «أيها الناس! أنتم مستقبلون أمراً له وجوه، وله ألوان لاتقوم به القلوب ولاتثبت له العقول...» وأمام إصرار الجماهير على توليته الأمر قال لهم: إنّي إن أجبتكم ركبت بكم ماأعلم وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم، ألا وإنّي من أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه».

وتكاثرت جموع الناس نحو الإمام(عليه السلام) وقد وصف(عليه السلام) توجههم نحوه مطالبين قبوله بالخلافة بقوله: فما راعني إلا والناس كعرف الضبع ينثالون عليَّ من كلّ جانب حتى لقد وطيء الحسنان، وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم».

لقد كانت خطورة الموقف من نفوذ بني أُميّة في مراكز الدولة وطمعهم الشديد للسلطان في حالة من غياب الوعي الرسالي في المجتمع.

وما أن أقبل الصباح حتى حفّت الجماهير بالإمام(عليه السلام) تسير نحو المسجد، فاعتلى المنبر وخاطب الجماهير: «ياأيّها الناس، إنّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقّ إلاّ

---

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٤٤٨.

من أمَّرْتُم، وقد افترقنا بالأمس وكنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم، آلا وأنّه ليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم قعدت لكم، وإلاّ فلا آخذ على أحد...».

فهتفت الجماهير بصوت واحد: نحن على مافارقناك عليه بالأمس...وقالوا: نبايعك على كتاب الله، فقال(عليه السلام): اللّهمّ اشهد عليهم[١].

وتدافع الناس كالموج المتلاطم إلى البيعة، فكان أوّل من بايع طلحة بيده الشلاّء والذي سرعان مانكث بها عهد الله وميثاقه، وجاء بعده الزبير فبايع، ثمّ بايعه أهالي الأمصار وعامّة الناس من أهل بدر والمهاجرون والأنصار عامّة.

كانت بيعة الإمام عليّ(عليه السلام) أول حركة انتخاب جماهيرية، ولم يحضَ أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعة، وبلغ سرور الناس ببيعتهم أقصاه، فقد أطلّت عليهم حكومة الحقّ والعدل، وتقلّد الخلافة صاحبها الشرعي ناصر المستضعفين والمظلومين، وفرحت الأُمّة بقبول الإمام للخلافة كما وصف الإمام(عليه السلام) ذلك بقوله: «وبلغ سرور الناس بيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير، وهَدَجَ إليها الكبير، وتحامل نحوها العَليل، وحَسَرَت إليها الكِعاب»[٢].

١ . أنساب الأشراف ٥ : ٢٢.

٢ . نهج البلاغة: الكلمة (٢٢٩).

الخلاصة:

١. لعبت عائشة دوراً مهمّاً في التحريض على قتل عثمان.
٢. وقام معاوية بدور التخذيل عنه للإسراع في قتله وانتهاز الفرصة للتسلّق إلى قمّة السلطة في الدولة الإسلامية التي حاربها بكل جهده هو وأبوه من قبل.
٣. واتخذ معاوية شعار الدفاع عن عثمان وهو يخذله بينما كان يتهم الإمام عليّاً(عليه السلام)بقتل عثمان بالرغم من علمه بأنّ الإمام(عليه السلام) لم يكن له أي دور في قتله وإن كان من الناقمين على سياساته.
٤. واستطاع معاوية أن يقوم بإعلام تضليلى لكسب آراء الناس الذين كانوا جاهلين بحقيقة معاوية وعلي(عليه السلام).
٥. وأستقر مقتل عثمان عن نتائج سيئة ظهرت آثارها في الأمّة الإسلامية من بعده وامتدتّ لِتشكّل خطراً جديداً يحيق بدولة الإمام علي(عليه السلام).
٦. وكانت بيعة المسلمين للإمام علي(عليه السلام) نموذجاً للبيعة الجماهيريةالفريدةالتي لم تتحقق لأي واحد من الخلفاء السابقين.
٧. ولئن كانت في التاريخ شورى حقيقية من أهل الحل والعقد ومن عامّة المسلمين فهي الشورى التي انتخبت الإمام عليّاً(عليه السلام) للخلافة وضغطت عليه ليتولّى شؤون المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٦)

عهد الإمام على(عليه السلام) (٢)

المقدمة:

الهدف الدراسي: الاطلاع على التحديات التي تواجه حكومة الامام (ع).

النتائج المتوخاة من الدرس:

الاحاطة بمايلي:

١ـ النتائج التي تمخضت عن الشورى السداسية.

والعقبات التي حصلت بعد ربع قرن من عزلة الإمام السياسية.

٢ ـ أبرز وأهمّ الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والادارية التي كان يتطلبّها عهد الإمام علي(عليه السلام) وأهمّ الإصلاحات الدينية التي أثمرتها جهود الإمام(عليه السلام).

٣ ـ الملامح السياسة التي أعلنها الإمام(عليه السلام) حين تصديه للحكم.

المحتوى العلمي :

العقبات أمام حكومة الإمام علي(عليه السلام)

١ ـ إنّه لأمر طبيعيّ أن يقف ضد الحقّ أو يحايد من ساءت سريرته وضعف يقينه وأضمرت نفسه الحقد والحسد، فرغم أنّ الإمام علياً(عليه السلام) هو الخليفة الشرعي بنصوص الأحاديث النبويّة الشريفة بل كلّ مراحل الدعوة الإسلامية أكّدت وأيّدت أنّ من يصلح لصيانة الأمّة والرسالة بعد غياب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) هو الإمام عليّ(عليه السلام) لما له من قابليات ومؤهّلات لاتتوفر لغيره من المسلمين، كما وأنّ الأُمّة هي التي فزعت إلى الإمام بكل شرائحها وفئاتها ترتجي منه قبول الخلافة، لكنّنا نجد أنّ فئة قليلة تمرّدت على الحقّ وراحت ترتدّ عن بيعتها له.

لقد كان تخلّفهم خرقاً لإجماع الأُمّة وتحدّياً لبيعتها، وبذلك فتحوا أبواباً جديدة لِتأجيج الفتنة واستمرار الصراع الداخلي، وهؤلاء المتخلّفون هم: سعد بن أبي وقّاص، وعبدالله بن عمر، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن البشير، ورافع بن خديج، وعبدالله بن سلام، وقدامة ابن مسلمة، وقدامة بن مظعون، وأُسامة بن زيد، والمغيرة بن شعبة، وصهيب بن سنان، ومعاوية بن أبي سفيان.

وقد ندم بعضهم على تفريطه في أمر بيعة الإمام(عليه السلام).

وأمّا موقف الإمام(عليه السلام) من هؤلاء فقد كان هادئاً للغاية فإنّه لم يتعرّض لأحد منهم بأيّ سوء وتركهم وحالهم في الأُمّة، لهم ماللناس وعليهم ماعلى الناس.

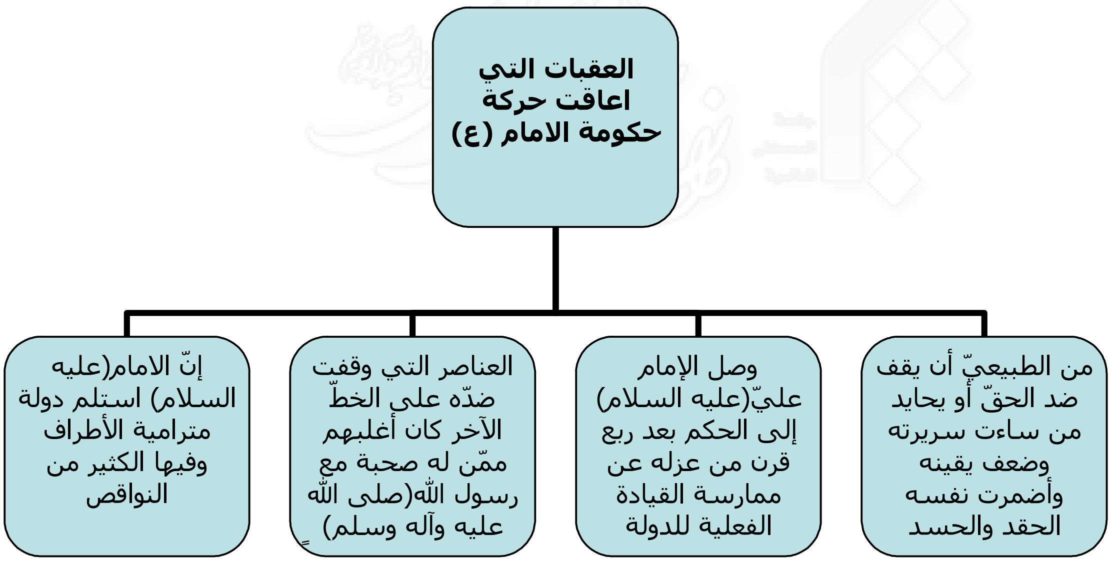
٢ ـ وصل الإمام عليّ(عليه السلام) إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة القيادة الفعلية للدولة الإسلامية فكان هذا عاملا مؤثّراً في إضعاف الإمام(عليه السلام) من الأحداث، إذ أَلِفَ الناس أن يروا الإمام(عليه السلام) محكوماً لا حاكماً، طوال هذه الفترة محكوماً لأُناس أقلّ كفاءةً وشأناً منه.

كما أنّ عدداً من الشخصيات كان قد تنامى لديها الشعور بالمنافسة لِبلوغ قمة السلطة تحقيقاً لأغراضهم الشخصية، فالزبير في السقيفة كان يدافع عن حقّ الإمام(عليه السلام)مقابل الفئات المندفعة نحو السلطة، ثمّ نجده اليوم ينازع الإمام(عليه السلام) على السلطة، ومعاوية الطليق الذي لم يفتأ عن محاربة الإسلام

أصبح بعد هذه المدّة مناوئاً قويّاً للإمام(عليه السلام) يهدّد كيان الدولة الإسلامية بكل جرأة وصلافة.

٣ ـ مماأعاق حركة الإمام أنّ العناصر التي وقفت ضدّه على الخطّ الآخر كان أغلبهم ممّن له صحبة مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان هذا عاملا مهماً لانخداع أعداد كبيرة من المسلمين بهؤلاء، فأصبح عقبة في طريق نجاح حكومته(عليه السلام).

٤ ـ إنّ الامام(عليه السلام) استلم دولة مترامية الأطراف، ففي زمن أبي بكر لم تكن تتجاوز الدولة الإسلامية حدود الجزيرة والعراق، أمّا في عهد الإمام علي(عليه السلام) فإنّها كانت تمتد إلى شمال أفريقيا وأواسط آسيا إضافةً إلى تمام الجزيرة والعراق والشام، وقد دخل في الإسلام أقوام من غير العرب، وهؤلاء المسلمون الجدد فتحوا عهدهم الجديد مع الإسلام في ظلّ حكومة غير معصومة، بل منحرفة عن الخط الرسالي السليم.



متطلّبات العهد العلوي

كان على الإمام(عليه السلام) أن يقوم بعملية الإصلاح الشامل في أقصر وقت رغم وجود الصراعات الداخلية وكان لابد لهذا الاصلاح أن يتحقق في المجالات التالية:

١ و ٢ . الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي

لقد أنشأ كلٌّ من عمر وعثمان كياناً اجتماعياً طبقياً ضخماً متناقضاً مما سبّب هذا التناقض الطبقي تفكّكاً واضحاً في المجتمع الذي بناه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان على الإمام(عليه السلام) أن يقوم بهدم هذا الكيان الطبقي. وذلك عبر مايلي:

أ ـ المساواة في العطاء بين المسلمين جميعاً، متّبعاً في ذلك سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)التي أهملها من كان قبله من الخلفاء، وقد أوضح في خطبته سياسة التوزيع النابعة من حكم الله فقال:

«ألا وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخَل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسّم بينكم بالسويّة، لافضل لأحد على أحد، وللمتّقين غداً أحسن الجزاء وفضل الثواب».

ب ـ استرجاع الأموال المنهوبة من بيت المال في عهد عثمان: فقد أعلن الإمام أنّ الأموال المأخوذة بغير حقّ ـ وما أكثرها في عهد عثمان ـ لابدّ أن ترجع إلى بيت المال، حيث كانت الأموال الطائلة عند طبقة محيطة بالخليفة أو أنّ عثمان كان يعطيها ليستميلها إليه. فقال(عليه السلام): «ألا إنّ كل قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ لايبطله شيء، ولو وجدته قد تُزوج به النساء ومُلك به الإماء وفرّق في البلدان لرددته، فإنّ في العدل سعةً، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»[١].

هذه السياسة المالية لم ترق لقريش، فقد كان العديد من أقطابها تنالهم قرارات الإمام وهم في أنفة الطغيان والتكبّر والاستعلاء، مثل: مروان بن الحكم وطلحة والزبير، فما أن استوثقوا الجدّ في عمل الإمام حتى بدأوا بإثارة الفتن والإحَن أمام حكومة الإمام(عليه السلام)، حتى أنّ طلحة والزبير جاءا إلى الإمام(عليه السلام) يعترضان على ذلك فقالا: إنّ لنا قرابةً من نبّي الله وسابقةً وجهاداً، وإنّك أعطيتنا بالسوية ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، وكانوا يفضّلونا على غيرنا.

فقال(عليه السلام): فهذا كتاب الله فانظروا مالكم من حقٍّ فخذوه، قالوا: فسابقتنا؟! قال(عليه السلام): أنتما أسبق منّي؟! قالا: لا، فقرابتنا من النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)؟!

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة (١٥).

قال(عليه السلام): أقرب من قرابتي؟! قالا: لا، فجهادنا؟! قال(عليه السلام): أعظم من جهادي؟! قالا: لا، قال(عليه السلام): فوالله مأأنا في هذا المال وأجيري إلاّ بمنزلة سواء[١].

ج ـ المساواة أمام القانون:

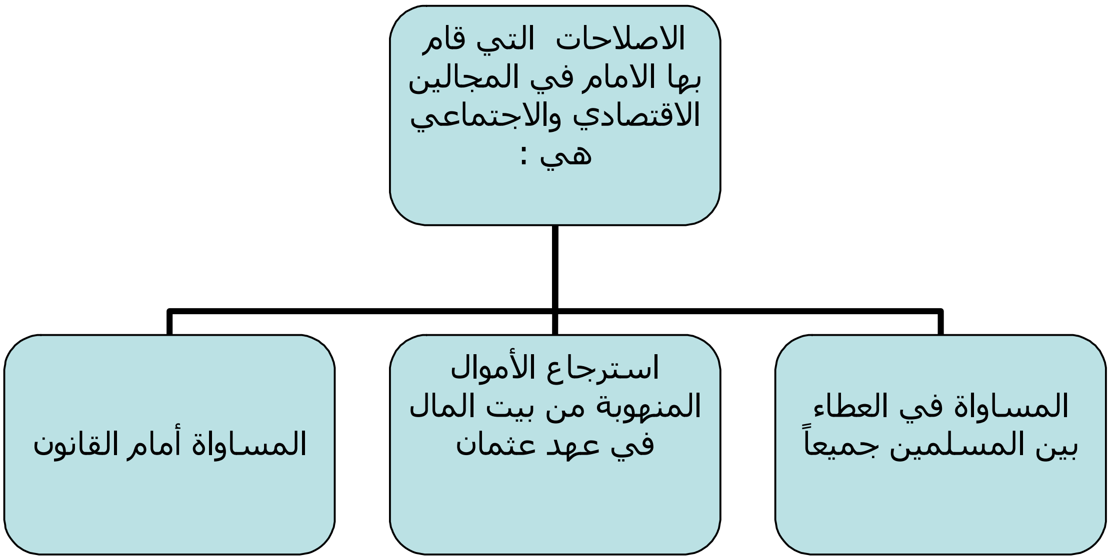
لم يكن الإمام(عليه السلام) غافلا عن تطبيق أحكام الشريعة في عهد من سبقه من الخلفاء، فكان يحكم ويفصل بالحقّ والعدل، إذ يعجز غيره، وما أن استلم زمام اُمور الدولة حتى ضرب أروع صنوف العدل وسلك أوضح سبل الحقّ مُظْهِراً عدل الشريعة الإلهية وقدرة الإسلام على إقامة دولة تنعم بالحرية والأمان والعدل...ومواقف الإمام(عليه السلام) كثيرة وما كان يتحرّج أن يجري القانون على نفسه وأهل بيته وأصحابه، فقد ترافع مع يهوديّ إلى شريح القاضي ليفصل بينهما في درع افتقده(عليه السلام)[٢].

وقد كانت أحكام الإمام(عليه السلام) في فصل القضاء نابعةً من عمق الشريعة وسعة علم الإمام(عليه السلام) بأُمور الدين والدنيا، وهي تدلّ على العصمة في الفكر والعمل.

---

١ . بحار الأنوار ٤١ : ١١٦.

٢ . السنن الكبرى ١٠ : ١٣٦، وتاريخ دمشق ٣ : ١٩٦، وقد وردت مواقف الإمام هذه في عدّة مصادر منها، الأغاني ١٦ : ٣٦، والبداية والنهاية ٨ : ٤، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٩٩، والصواعق المحرقة: ٧٨.



٣ . الإصلاح الإداري

إنّ تجديد التنظيم الإداري وإعادة السيطرة المركزية للدولة كانت ضرورة عاجلة لاستقرار الحكم الجديد.

وقد قام الإمام(عليه السلام) بإعفاء الولاة الذين كان قد عيّنهم عثمان من مناصبهم، ونصب ولاة كانوا جديرين بهذه المهمة، وهم محلّ ثقة المسلمين، فأرسل عثمان بن حنيف الأنصاري بدلا عن عبدالله بن عامر إلى البصرة، وعلى الكوفة أرسل عمارة ابن شهاب بدلا عن أبي موسى الأشعري، وعلى اليمن عبيدالله بن عباس بدلا عن يعلى بن منبه، وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بدلا عن عبدالله بن سعد، وعلى الشام سهل بن حنيف بدلا من معاوية بن أبي سفيان،كان كلّ هذا لسوء سيرة الولاة السابقين وفسادهم الإداري حتى آخر لحظة، فقد استولى يعلى بن منبّه على بيت مال اليمن وهرب به، وحرّك معاوية قوّةً عسكريةً لصدّ سهل بن حنيف عن ممارسة مهامّه الجديدة[١].

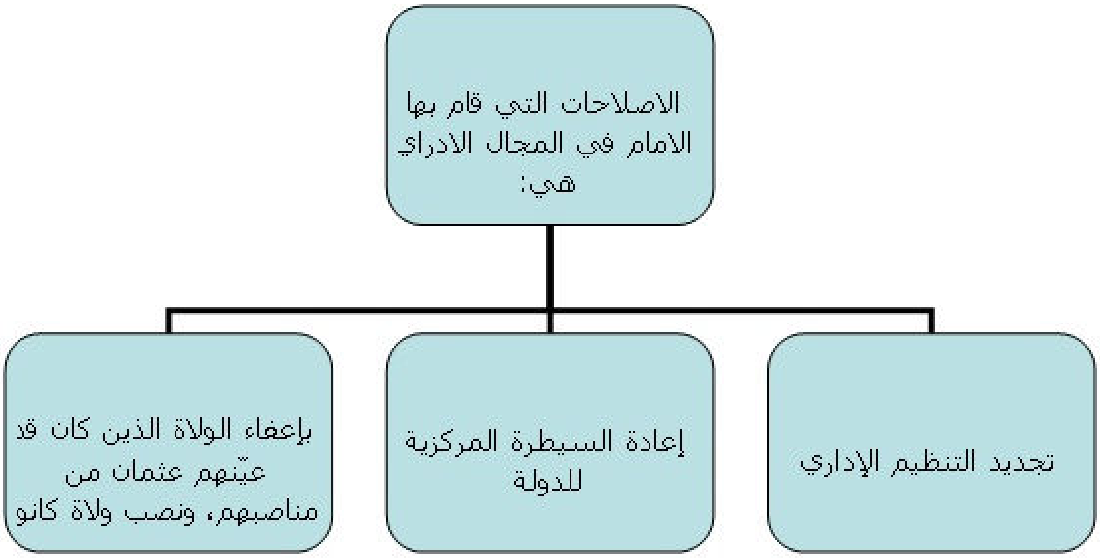
وفي عملية اختيار الولاة الجدد كان الإمام(عليه السلام) دقيقاً وموضوعياً وحريصاً على تطبيق الشريعة الإسلامية بجهازه الإداري الجديد، وقد أعاد الثقة للأنصار بأنفسهم ورفع معنويّاتهم، إذ أشركهم في الحكم، كما أنّ الإمام لم يكن مستعداً لقبول الحلول المنحرفة أو أنصاف الحلول، فقد كان حازماً في اجتثاث جذور الفساد، فقد

---

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٤٦٦.

رفض(عليه السلام) اقتراح إبقاء معاوية على الشام حتّى يستقر حكم الإمام ثمّ تنحيته فيما بعد[١].

لقد حاول الإمام(عليه السلام) فرض سيطرة الخلافة المركزية على ولاية الشام بعد أن امتنع معاوية عن البيعة، فدفع الراية إلى ولده محمد بن الحنفية، وولّى عبدالله بن عباس على ميمنته وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، ودعا أباليلى بن عمر بن الجرّاح فجعله على مقدمة الجيش، وخطب في أهل المدينة وحثّهم على القتال، ولكن حال دون التحرّك وصول خبر خروج طلحة والزبير على حكم الإمام إلى البصرة بعد أن كانا قد استأذناه في الخروج للعمرة وكان قد أذن لهما مع تحذيرهم من نكث البيعة[٢].



٤ و ٥ . الإصلاح الديني والثقافي

لقد كشف الإمام عليّ(عليه السلام) عن أسباب وجذور الانحراف الديني والثقافي في كلمته الرائعة:

«إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجالٌ رجالا على غير دين الله،فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن

---

١ . المصدر : ٤٦١، والبداية والنهاية ٧ : ٢٥٥.

٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٤٦٩.

يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى»[1].

وكان الإمام عليّ(عليه السلام) يرى أن من أوليّات مهامّه بعد غياب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) صيانة الشريعة المقدسة من الزيغ والانحراف بها عن مسارها الصحيح ورعاية شؤون الدعوة الإسلامية لتستمر من دون تلكؤ أو توقّف، وقد بذل جهده في ذلك أثناء حكم الخلفاء متغاضياً عن حقّه المشروع في مباشرة القيادة للأمّة والدولة الإسلامية.

وما أن مسك بزمام الحكم حتى خطا خطوات عظيمة في إحياء سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وفي الدعوة إلى الحياة في ظلّها، واهتم اهتماماً بليغاً بالقرآن الكريم وتفسيره وتربية الأمّة على أساسه وإصلاح الفساد أَينما وجد، ويمكننا أن نلحظ الخطوات التي قام بها الإمام عليّ(عليه السلام) كما يلي:

١ ـ فتح باب الحوار والسؤال عن القرآن والسنّة وكلّ مايتعلّق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامّة من دون أن يتردّد حتى في جواب مخالفيه وأعدائه الحاقدين عليه.

وكانت كلّ إجاباته دقيقة وصائبة ونابعة من عمق الشريعة الإسلامية، بعد أن كان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد خصّه باستيعاب علومه الربّانيّة كما تجلى ذلك في كلمته المعروفة:

«سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي خلق الحبّة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، أنبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصّها من عامّها، ومحكمها من متشابهها، ومكيّها من مدنيّها، والله مامن فئة تضلّ أو تهدي إلاّ وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة»[2].

٢ ـ الاهتمام بالقرّاء مراعياً لشؤونهم ومتّبعاً فيهم سنّة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في التعليم والإقراء، فكان إقراء القرآن مقروناً بتعلّم ومعرفة مافيه من العلم والعمل والتفقّه في أحكام الدين.

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة (٥٠).

٢ . تاريخ دمشق ٣ : ٢٢، والاستيعاب (ترجمة الإمام عليّ) ٢ : ٤٦٣، وشواهد التنزيل ١ : ٣١، والإصابة ٤ : ٢٦٩ وفرائد السمطين ١ : ٣٤، والغدير ٦ : ١٩٢.

بمعنى ربط القرآن بالسنّة النبويّة الشريفة بعد أن جرّد الخلفاء السابقون[١] القرآن عن السنّة النبويّة وعن روح التحقيق والفهم والسؤال.

٣ ـ الاهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب، أو من الذين لايحسنون اللغة العربية بصورة صحيحة، فوضع علم النحو لتقويم اللسان عن اللحن في الكلام، وأمر أبا الأسود الدؤلي أن ينشر هذا العلم ويعلمه[٢]، كما اهتم الإمام(عليه السلام) بالكتابة والخطّ وتحسينه[٣].

٤ ـ دعا الإمام(عليه السلام) إلى رواية السنّة النبوية وتدوينها ومدارستها، فكان يقول: «قيّدوا العلم بالكتابة»[٤] وأمر(عليه السلام) بالبحث في علوم السنّة قائلا: «تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يُدْرَسْ»[٥].

كما أنّ الإمام(عليه السلام) كان يحتفظ بنسخة من كتاب مدوّن فيه ماأملاه عليه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)من العلم، وبقي هذا الكتاب لدى الأئمّة من ولده مع كتب أُخرى كانوا يتوارثونها واحداً بعد آخر[٦].

٥ ـ ركّز الإمام(عليه السلام) على مصدرية القرآن والسنّة في التشريع والأحكام، وشَجَبَ المصادر الأُخرى كالاستحسان والقياس وغيرهما ممّا لايكون طريقاً مشروعاً لتحصيل الأحكام الإلهية، وكان(عليه السلام) يقول:

«قال الله سبحانه: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْء فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولَ) فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنّته»[٧]، وقال أيضاً:

«الله الله أيّها الناس! فيما استحفظكم من كتابه، واستودعكم من حقوقه، فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدىً...ثم قال: وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيء، وعمّر فيكم نبيّه أزماناً حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه ـ دينه الذي رضي

---

١ . شرح نهج البلاغة ٤ : ١٠٩ (تحقيق: محمد أبو الفضل)، وكنز العمال ٢ : ٢٨٨ و ٣٢٩ ط. بيروت.

٢ . الأغاني ١٢ : ١٣، الفهرست لابن النديم: ٥٩ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢١٦، والبداية والنهاية ٨ : ٣١٢.

٣ . الإتقان للسيوطي ٢ : ١٧، وكنز العمال ١: حديث ٢٩٥٦٣.

٤ . الطبقات الكبرى ٦ : ١٨٦، وتدوين السنّة الشريفة للسيد الجلالي: ١٣٧.

٥ . كنز العمال ١: حديث ٢٩٥٢٢.

٦ . تهذيب الأحكام: ١ : حديث ٩٦٣، وتدوين السنّة الشريفة للسيد الجلالي: ٦٥.

٧ . نهج البلاغة: الخطبة (١٢٥).

لنفسه ـ فاستدركوا بقيّة أيّامكم، ولا ترخِّصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة، ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية»[١].

كما أنّ الإمام(عليه السلام) قد أحيى سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في سيرته العبادية والأخلاقية، وحاربَ البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهاد من سبقه من الخلفاء[٢].

٦ ـ واستطاع الإمام أن يبني ثلّةً صالحةً من المؤمنين تتحرّك في المجتمع الإسلامي للمساهمة في قيادة التجربة الإسلامية والمحافظة على المجتمع الإسلامي، وذلك عبر الدفاع العسكري عن الكيان الاسلامي مستهدية بتوجيهات الإمام(عليه السلام) ومنقادة لأوامره ملتزمةً بالقيم الإلهيّة صامدة في طريق الحقّ رغم كلّ الصعوبات والظروف الحرجة.

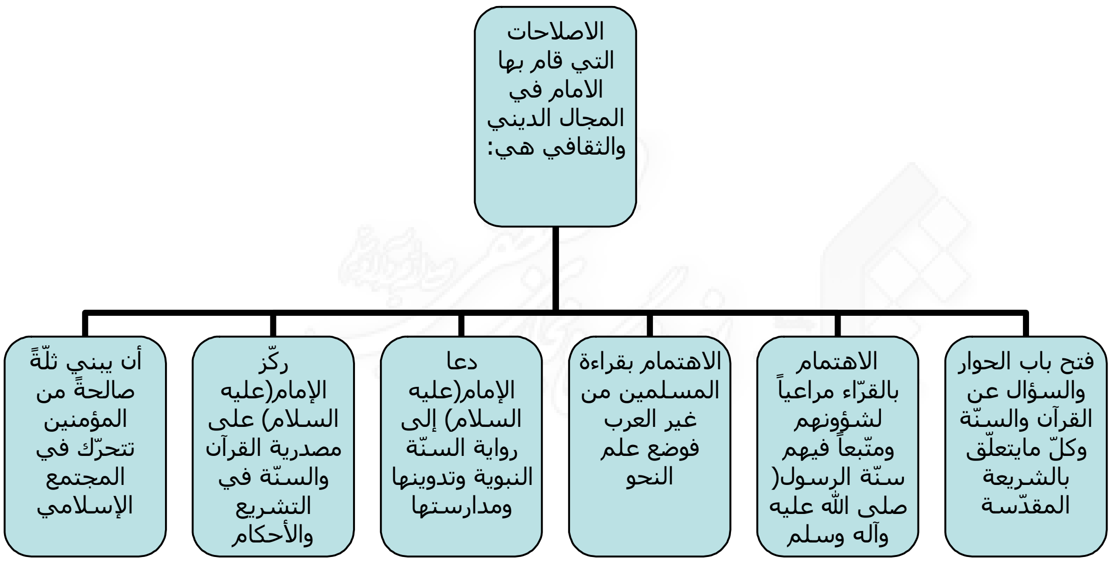
ومن تنامي الثلّة الصالحة في المجتمع يَسود الانسجام والوئام بين طبقاته وأفراده وتنطفيء بذلك نيران العنصرية والطائفية والاقليمية بين المسلمين، وكلّ هذا يساهم في المحافظة على تطبيق الشريعة الإسلامية وسلامة الخط الموالي للقيادة المشروعة حيث تتواصل الثلّة المؤمنة في طاعتها للأئمة(عليهم السلام) الذين يتعاهدون بأمر الله تعالى أمر الأمّة وقيادتها كما أراد الله ورسوله.

ويبدو أنّ الإمام عليّاً(عليه السلام) بدأ عملياً في هذا المسار منذ حياة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)وبأمر منه، إذنجد أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يُوكل الى عليّ(عليه السلام) مهمّة رعاية من كان يجد فيه الرغبة والوعي في سلوك طريق الحقّ وكان يحثّ على التمسّك بخط عليّ(عليه السلام) الذي جسّد القيم الرساليّة في سلوكه حتى تكوّنت جماعة عرفت بشيعة عليّ في حياة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)مثل: عمار بن ياسر، سلمان الفارسي، وأبي ذر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، المقداد بن الأسود، عبدالله بن عباس، وسواهم ممّن ثبتوا على هذا الخط رغم كلّ الظروف الصعبة التي مرّت بها التجربة الإسلامية بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

وحين استلم الإمام علي(عليه السلام) الخلافة احتفّت به الجماعة الصالحة من المؤمنين الأوفياء والأشدّاء في دين الله، فازداد الإمام(عليه السلام) اعتناءً بهم وأعدّهم

١ . نهج البلاغة: الخطبة (٨٦).
٢ . صحيح مسلم: كتاب صلاة التراويح، ومسند أحمد ٥ : ٤٠٦، وصحيح البخاري: كتاب الخمس باب ٥ حديث ٢٩٤٤، وسنن أبي داود: ٢: حديث ١٦٢٢.

إعداداً رسالياً خاصاً، وأودعهم علوماً شتّى في مختلف نواحي الحياة، وقام هؤلاء الصحابة الأجلاّء بدورهم الجبّار في دعم الدولة الإسلامية ومساندة خطّ الإمامة والمحافظة على الشريعة من الزيغ والانحراف والاندثار، فكانت مواقفهم رائعة وبطولية تجاه طواغيت زمانهم ومن هؤلاء: مالك الأشتر، وكميل بن زياد النخعي، محمد بن أبي بكر، حجر بن عدي، عمرو بن الحمق الخزاعي، صعصعة بن صوحان العبدي، رشيد الهجري، هاشم المرقال، قنبر وسهل بن حُنيف.



الخلاصة:

١. أنتجت الشورى السداسيّة روح الطموح إلى الخلافة وتشديد التنافس بين الصحابة للوصول إلى السلطة وجعلت كل واحد منهم يتمنّاها لنفسه في وقت كان الزبير مثلا قد وقف إلى جانب علي(عليه السلام) يوم السقيفة.

٢. إنّ ربع قرن من العزلة السياسية تمخض عن انقلاب جملة من المقاييس عند عامّة المسلمين تجاه الإمام(عليه السلام) بالإضافة إلى تجذّر جملة من الانحرافات بين أبناء المجتمع الإسلامي واستدعت ظروف الإمام(عليه السلام) إصلاحاً شاملا في المجال الإداري والاقتصادي والديني واستطاع الإمام(عليه السلام) أن يشق طريقه باتجاه المجتمع الإسلامي الأمثل بالرغم من وجود عقبات كبيرة في طريق الإصلاح الشامل.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٧)

عقبات فى طريق دولة الإمام على(عليه السلام)

المقدمة:

الهدف الدراسي: العقبات التى اعترضت طريق دولة الامام علي (ع)

النتائج المتوخاة من الدرس:

التعرف الى:

١ـ أسباب تمرد طلحة والزبير على الإمام علي(عليه السلام) وخروج عائشة على امام زمانها.

٢ ـ وهل كان هناك دور لمعاوية في تحريض الزبير ضدّ الإمام علي(عليه السلام)؟

٣ ـ محاولات نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لصدّ عائشة عن المسير إلى حرب الإمام(عليه السلام).

٤ ـ الاحداث التي جرت على مشارف البصرة قبيل حرب الجمل.

المحتوى العلمى :

أسباب فتنة الجمل[1]

كانت بيعة الناس لأمير المؤمنين(عليه السلام) بمنزلة صاعقة حلّت بقريش وكلّ من يكنّ العداء للإسلام، فحكومة الإمام هي إمتداد لحكومة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) التي أدانت الظلم والعدوان والبغي، وجاءت بالعدل والمساواة والحقّ والفضيلة، ضربت المصالح الاقتصادية القائمة على الربا والاحتكار والاستغلال، ومن هنا فقد عزّ على كثير من أثرياء قريش أن يكونوا على قدم المساواة مع أيّ مواطن آخر من أيّ فئة كانت في حكومة الإمام عليّ(عليه السلام)الذي طالت إصلاحاته عزل ولاة عثمان الأثرياء.

وقد كان كلّ من طلحة والزبير يرى نفسه قريناً لأمير المؤمنين(عليه السلام) بعد أن رشحهما عمر للخلافة إذ أصبح كلّ منهما يتوقّع أن يلي حكومة جزء كبير من البلاد الإسلامية إن لم يحض بالخلافة.

وكان لعائشة المقام المرموق لدى الخلفاء السابقين حيث كانت تتحدّث كما تشاء، وهي الآن تعلم أن لامجال لها في حكومة تعتمد القرآن والسنّة مصدراً ودستوراً للحياة.

وكان معاوية يتصرّف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرّد

والطامع في السيادة الإسلامية جادّاً في تولّي أُمور الأُمّة بصورة تامة، فكانت قرارات الإمام وتخطيطه للإصلاح الشامل ضربةً قاصمة لكل هؤلاء، إضافةً إلى تضرّر مجموعات كانت تستغل مناصبها للحصول على الثروة الطائلة: في عهد عثمان وهي الآن قد فقدت مصدر ثرواتها، فإنّ وجود الإمام في قمة السلطة كان يُعدّ تهديداً صارخاً للخطّ القبلي المنحرف الذي سارت عليه قريش وقد عرف الإمام علي(عليه السلام) بأنّه الفرد القادر على رفع راية الإسلام الحقيقي من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، ولهذا فهو سيقضي على كل خط منحرف دون ترديد.

من هنا اجتمعت آراؤهم وأهواؤهم على إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم الجديد، ولم يكن تقلّب الوضع السياسي ووجود العناصر المعادية للاتّجاه الصحيح لمسيرة الرسالة الإسلامية غريباً على الإمام عليّ(عليه السلام)، فقد أخبره

---

١ . وقعت معركة الجمل في جمادى الآخرة سنة (٣٦) هـ .

النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بتمرّد بعض الفئات على حكمه، وعهد إليه بقتالهم كما أنّه قد سمّاهم له بالناكثين والقاسطين والمارقين[١].

تمرّد عائشة

كان موقف عائشة من عثمان غريباً ومتناقضاً ولا يليق بمقام امرأة تعدّ نفسها من جملة نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، لقد كانت تردّد: «اقتلوا نعثلا»، وتحرّض الناس على التمرّد عليه وقتله[٢].

وقد خرجت من المدينة إلى مكّة أثناء محاصرة عثمان من قبل الثوّار وهي تتوقّع النهاية السريعة لعثمان، ومن ثمَّ فوز قريبها طلحة بالخلافة والاستيلاء على زمام الحكم.

وحين فوجئت بأنّ الناس قد بايعوا الإمام علياً(عليه السلام) كرّت راجعةً نحو مكّة بعد أن كانت قد عزمت على الرجوع إلى المدينة[٣]، وأعلنت حزنها وتظلّمها على عثمان، فقيل لها: أنتِ التي حرّضت على قتله، فاختلقت عذراً واهياً، وقالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه[٤]. وكأنّها كانت حاضرةً تشهد مقتله.

وأظهرت السيدة عائشة مقدرةً سياسيةً بارعةً على المناورة والتلاعب بالألفاظ واستغلال مكانتها، فاستغفلت السذّج واستمالت الحاقدين وتحوّلت من داعية لقتل عثمان إلى مطالبة بدمه، فأشعلت فتنةً وقادت جيشاً وحاربت إمام زمانها الذي عقد له أهل الحلّ والعقد بيعتهم علانية.

وأعلنت عائشة الحرب ضدّ الإمام عليّ(عليه السلام) في خطابها الذي ألقته في مكّة محرّضة أتباعها على الحرب[٥].

وطمعت عائشة في توسيع جبهتها ضدّالإمام عليّ(عليه السلام) فحاولت مخادعة أزواج النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)للخروج معها ضدّ الإمام(عليه السلام)، فامتنعن من ذلك.

---

١ . مستدرك الحاكم ٣ : ١٣٩، وكنز العمال ٦ : ٨٢، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٤٠ ومجمع الزوائد ٩ : ٢٣٥.
٢ . شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥، وكشف الغمة ٣ : ٣٢٣.
٣ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٦.
٤ . نفس المصدر.
٥ . تاريخ الطبري ٥ : ٤٧٤.

وحاولت أُمّ سلمة أن تصرفها عن مسعاها عسى أن ترجع من غيّها، وتجنّب الأمّة البلاء والدماء، فقالت لها: إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وماكان اسمه عندك إلا نعثلا، وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) عند رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، أفأُذكّرك؟

ثم قالت لها أُمّ سلمة: أتذكرين يوم أقبل(صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه، فأطال فأردتِ أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتيني فهجمتِ عليهما،فما لبثتِ أن رجعت باكية،فقلتُ: ماشأنك؟ فقلتِ: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلتُ لعليّ: ليس لي من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ يوم من تسعة أيام أفما تدعني ياابن أبي طالب ويومي؟

فأقبل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عليَّ وهو غضبان محمّر الوجه، فقال: «ارجعي وراءك والله لايبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من النّاس إلاّ وهو خارج من الايمان»، فرجعتِ نادمةً ساخطة.

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت أُمّ سلمة: أيّ خروج تخرجين بعد هذا؟!

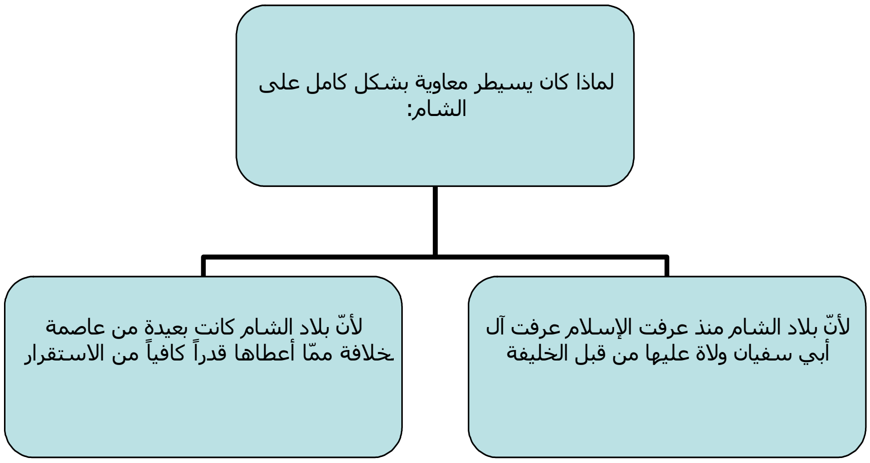
فقال عائشة: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء الله.

فقالت أُمّ سلمة: أنتِ ورأيكِ، فانصرفت عائشة عنها[1].

معاوية يحرّض الزبير للتمرّد على الإمام علي(عليه السلام)

كان معاوية يتمتّع بسيطرة إدارية تامّة على شؤون الشام، وكانت لديه أجهزة يستطيع أن يحرّكها وفق رغباته وأهوائه، وما كانت لديه مشكلة مع جماهير الشام; لأنّ بلاد الشام منذ عرفت الإسلام عرفت آل أبي سفيان ولاة عليها من قبل الخليفة، فقبله كان أخوه يزيد، والياً عليها كما أنّ بلاد الشام كانت بعيدة من عاصمة الخلافة ممّا أعطاها قدراً كافياً من الاستقرار والقوة.

١ . راجع شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦ : ٢١٧، وراجع أيضاً بحار الأنوار ٣٢ : ١٤٩.



وبدأ معاوية تحرّكه السياسي لتأجيج الفتنة المشتعلة بسبب مقتل عثمان، ليستثمرها لصالحه، فخاطب الزبير وطلحة بصيغة تحرّك فيهما الأطماع والرغبات للدخول في الصراع الجديّ ضدّ الإمام(عليه السلام) فتزداد الفتنة في العاصمة المركزية. فكتب رسالة إلى الزبير جاء فيها:

لعبدالله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان...سلام عليك، أمّا بعد، فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة لايسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لاشيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير، أظفركما الله وخذل مناوئكما[1].

ولمّا وصلت رسالة معاوية إلى الزبير خفّ لها طرباً واطمأنّ إلى صدق نيّة معاوية، واتفق هو وطلحة على نكث بيعة الإمام(عليه السلام) والخروج عليه، فأظهرا الحسرة والتأسف على بيعتهما للإمام مردّدَيْن، بايعنا مكرَهَيْن.

وما أن وصلت إلى أسماعهما صيحة عائشة محرّضة على الإمام(عليه السلام) حتى اجتهدا في إيجاد الحيلة للخروج إليها.

وروي أنّهما جاءا يطلبان من الإمام(عليه السلام) المشاركة في الحكم فلم يتوصّلا إلى شيء، فقرّرا الالتحاق بعائشة ثمّ عادا ثانيةً إلى الإمام(عليه السلام) ليستأذناه الخروج إلى العمرة.

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٣١.

فقال لهما الإمام(عليه السلام): نعم والله ماالعمرة تريدان وإنّما تريدان أن تمضيا لشأنكما[1]. وروي أنّه(عليه السلام) قال لهما: بل تريدان الغدرة[2].

لقد جمع بيت عائشة في مكة الخارجين على بيعة الإمام(عليه السلام) بعد أن كانوا متنافرين متحاربين في عهد عثمان، فضمّ الاجتماع الزبير وطلحة ومروان بن الحكم وتعاهدوا على أن يتّخذوا من دم عثمان شعاراً لتعبئة الناس لمحاربة الإمام عليّ(عليه السلام)، فرفعوا قميص عثمان كشعار للتمرّد والعصيان، وأشاعوا أنّ الإمام عليّاً(عليه السلام) هو المسؤول عن إراقة دم عثمان، لأنّه آوى قتلته ولم يقتصّ منهم، وقرّروا أن يكون زحفهم نحو البصرة لِاحتلالها واتّخاذها مركزاً للتحرّك ومنطلقاً للحرب، حيث أنّ معاوية يسيطر على الشام، والمدينة لازالت تعيش حالة الاضطراب[3].

عائشة تتّجه إلى البصرة

مضت عائشة في خطّتها لإثارة الفتنة والدخول في المواجهة المسلّحة مع الإمام عليّ(عليه السلام) الذي لايشك أحد في أنّه الخليفة الشرعي، فحشدت أعداداً من الناس يدفعهم الحقد والكراهية للإمام عليّ(عليه السلام) ويحدوهم الطمع بالدنيا والأمل لِنيل السلطان والقدرة.

وجهّزهم يعلى بن منبة بمستلزمات الحرب من السيوف والإبل التي كان قد سرقها من اليمن عندما عزله الإمام عنها.

وقدم عليهم عبدالله بن عامر بمال كثير من البصرة سرقه أيضاً[4]. وجهّزوا لعائشة جملها المسمّى (عسكر) وقد احتفّ بها بنو أُميّة وهي تتقدّم أمام الحشد الزاخر متوجّهين نحو البصرة، تسبقهم كتبهم التي أرسلوها إلى عدد من وجوه البصرة، يدعونهم فيها للخروج على بيعة الإمام(عليه السلام) زاعمين المطالبة بدم عثمان[5].

وبدرت سمة المكر والخداع التي تكاد تكون ملازمة لكلّ من ناوأ الإمام عليّاً(عليه السلام)من زعماء الفتنة، فلمّا خرجوا من مكّة أذّن مروان بن الحكم للصلاة، ثمّ جاء

---

١ . الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٧٠.
٢ . شرح نهج البلاغة ١ : ٢٣٢.
٣ . تاريخ الطبري ٥ : ٤٧٥.
٤ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٧، الإمامة والسياسة: ٧٩.
٥ . الإمامة والسياسة: ٨٠، الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٠.

حتّى وقف على طلحة والزبير محاولا إثارة الوقيعة بين الرجلين وغرس فتنة ليستغلّها إن تمكّن من الأمر.

فقال مروان: على أيّكما أُسلّم بالإمرة وأُؤذّن بالصلاة؟

فتنافس أتباع الرجلين كلٌّ يريد تقديم صاحبه، فأحسّت عائشة بوقوع التفرقة فأرسلت أن يصلّي بالناس ابن أُختها عبدالله بن الزبير.

وروي: أنّ نساء النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) خرجن مع عائشة إلى منطقة «ذات عرق» ويبدو أنّهنّ حاولن إرجاع عائشة إلى المدينة والحيلولة دون وقوع الفتنة، فلم يتوصّلن إلى حلّ فبكين على الإسلام وبكى النّاس معهنّ، وسمّي ذلك اليوم بـ «يوم النحيب»[١].

وحين وصل جيش عائشة إلى منطقة «أوطاس» لقيهم سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة، وحين علم سعيد بدعوى عائشة «الطلب بدم عثمان» استهزأ ضاحكاً وقال: فهؤلاء قتلة عثمان معك ياأُمّ المؤمنين[٢].

وروي: أنّ سعيداً قال: أين تذهبون وتتركون ثأركم وراءكم على أعجاز الإبل[٣]؟! يقصد بذلك طلحة والزبير وعائشة.

ووصل الجيش إلى مكان يقال له: «الحوأب» فتلقّتهم كلاب الحيّ بنباح وعواء.

فذعرت عائشة وسألت محمد بن طلحة عن المكان فقالت: أيّ ماء هذا؟ فأجابها: ماءالحوأب ياأُمّ المؤمنين...فهلعتوصرخت:ماأراني إلاّراجعة، قال:لِمَ، قالت: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يقول لنسائه: كأنّي بإحداكنّ قد نبحها كلاب الحوأب وإيّاك أن تكوني ياحميراء[٤]!

ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردّوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة، وجاءها عبدالله بن الزبير فحلف لها بالله أنّه ليس ماء الحوأب، وأتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك[٥]. فكانت أوّل شهادة زور في الإسلام.

---

١ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٩.

٢ . الإمامة والسياسة: ٨٢.

٣ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٩.

٤ . الإمامة والسياسة: ٨٢، وأخرج الحديث أحمد في مسنده ٦ : ٥٢١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٤٩٧.

٥ . الإمامة والسياسة: ٨٢ ، مروج الذهب ٢ : ٣٩٥.

على مشارف البصرة

حين شارف جيش عائشةعلى مدينة البصرة قام عثمان بن حنيف والي الإمام(عليه السلام) على البصرة موضّحاً أمر الجيش المتقدم إليهم، ومحذّراً الناس من الفتنة وبطلان وضلالة موقف زعماء الجيش، وأعلن المخلصون للإسلام وللإمام(عليه السلام) استعدادهم للدفاع عن الحقّ والشريعة المقدّسة وصدّ الناكثين عن الاستيلاء على البصرة[١].

وفي محاولة من عثمان بن حنيف ـ الذي يتأسّى بأخلاق الإسلام ويطيع إمامه(عليه السلام) ـ سعى أن يُثني عائشة ومَن معها من غيّهم لتجنّب وقوع القتال، فأرسل إليهم عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ليحاججوا عائشة ومن معها ببطلان موقفهم، ولكن محاولات الرجلين باءت بالفشل، فقد كانت عائشة ومعها طلحة والزبير مصرّين على نيّتهم في إثارة الفتنة وإعلان الحرب[٢].

وأقبلت عائشة ومن معها حتى انتهوا إلى«المربد» فدخلوا من أعلاه وخرج إليهم عثمان ابن حنيف ومن معه من أهل البصرة، فتكلّم طلحة والزبير وعائشة يحرّضون الناس على الخروج على بيعة الإمام(عليه السلام) بدعوى الثأر لعثمان، فاختلف الناس بين معارض ومؤيّد.

وأقبل جارية بن قدامة السعدي لينصح عائشة عسى أن يردّها عن تأجيج الفتنة، فقال: ياأُمّ المؤمنين، والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضة للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكتِ سترك وأبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلك، لئن كنت أتيتنا طائعةً فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهةً فاستعيني بالناس[٣].

الاقتتال . الهدنة . الغدر

افتتن الناس بقدوم عائشة على البصرة، فبين منكر ومؤيّد ومصدّق ومكذّب فافترقت جماهير البصرة، وتأزّم الموقف، فاصطدم الناس واقتتلوا على فم السكة، ولم يحجز بينهم إلاّ الليل.

---

١ . الإمامة السياسة: ٨٣.

٢ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢١١، وتاريخ الطبري ٥ : ٤٨٨.

٣ . المصدر : ٢١٣، وتاريخ الطبري ٥ : ٤٩٣.

وكان عثمان بن حنيف لايريد إراقة الدماء بل يريد أن يجنح للسلم وينتظر قدوم الإمام عليّ(عليه السلام) إلى البصرة، فلمّا عضّت الحرب الطرفين تنادوا للصلح، فكتبوا كتاباً لعقد هدنة مؤقّتة على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحة والزبير أُكرها على البيعة خرج ابن حنيف عن البصرة وإلاّ خرج عنها طلحة والزبير[١].

وعاد كعب بن مسور رسول الطرفين إلى المدينة بادّعاء أُسامة بن زيد أنّ طلحة والزبير بايعا مكرَهَيْن ومخالفة أهل المدينة لرأي أُسامة فاستغلّها زعماء جيش عائشة، فهجموا في ليلة ذات رياح ومطر على قصر الإمارة حيث يتواجد عثمان بن حنيف فقتلوا أصحابه وأسروه ونتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه، ولكنّهم خافوا من قتله لأنّ أخاه سهل بن حنيف كان والي الإمام(عليه السلام) على المدينة[٢].

---

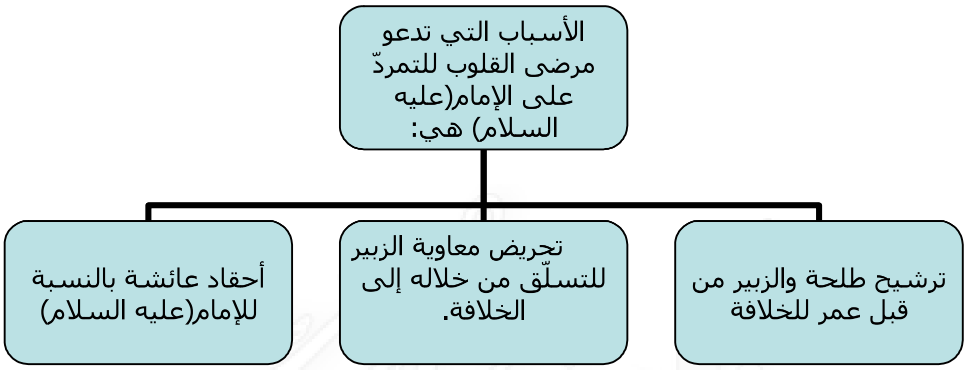
١ . راجع الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٥، والإمامة والسياسة: ٨٧ ، والطبري ٥ : ٤٩٥.

٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٤٩٦، والإمامة والسياسة: ٨٩ ، ومروج الذهب للمسعودي ٢ : ٣٦٧.

الخلاصة:

١. كانت هناك عدة أسباب تدعو مرضى القلوب للتمردّ على الإمام(عليه السلام) منها ترشيح طلحة والزبير من قبل عمر للخلافة ومنها تحريض معاوية الزبير للتسلّق من خلاله إلى الخلافة.

٢. وكانت أحقاد عائشة بالنسبة للإمام(عليه السلام) محّركاً لها لتحريض مرضى القلوب وجهّال الأمة ضدّ إمام المسلمين.



٣. إنّ صحبة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً كانت غطاءً جيداً لإغفال مجموعة من البسطاء وتحريضهم ضدّ الإمام(عليه السلام) حتى أنّ بعض أفراد معسكر الإمام علي سأل الإمام عن هذه النقطة مستفسراً عن مدى إمكانية ضلال أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). فأجابه الإمام(عليه السلام): (اعرف الحق تعرف أهله).

٤. ونساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يفلحن لارجاع عائشة عن الطريق الذي قررته لنفسها فسارت نحو البصرة وكان مروان يريد أن يستغل الظرف ليصطاد في الماء العكر بمايقربّه من كرسي الخلافة فيما بعد.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٨)

موقف الإمام على(عليه السلام) من فتنة الجمل

المقدمة:

الهدف الدراسي: بيان موقف الامام امير المؤمنين(ع) من فتنة يوم الجمل.

النتائج المتوخاة من الدرس:

التعرف الى :

١ـ الخطوات التي خطاها الإمام(عليه السلام) للقضاء على فتنة الجمل.

٢ـ تعامل الامام مع المشتركين في المعركة وبالخصوص عائشة.

٣ـ النتائج التي خلفتها معركة الجمل وآثارها السلبية في المجتمع الإسلامي.

٤- سبب اختيار الإمام(عليه السلام) الكوفة عاصمةً له.

المحتوى العلمى :

الإمام(عليه السلام) والقضاء على التمرّد

حين استلم الإمام عليّ(عليه السلام) زمام الحكم كانت هناك عقبة أمام استقرار الأمن وسيطرة الحكومة الشرعية المركزية، وهي إعلان معاوية بن أبي سفيان تمرّده على خلافة الإمام(عليه السلام)، فشرع(عليه السلام) بالاستعداد العسكري والسياسي لايقاف التمزّق في كيان الأُمّة ومنع سفك الدماء.

وما أن أُحيط الإمام(عليه السلام) علماً بحركة عائشة وطلحة والزبير نحو البصرة وإعلانهم العصيان عليه حتى عدل عمّا كان يخطّطه لمعالجة موقف معاوية فاتّجه(عليه السلام) نحو البصرة بجيش يضمّ وجوه المهاجرين والأنصار ممن اشتركوامع النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في بدر وأُحد والأحزاب.

واستخلف الإمام(عليه السلام) على المدينة سهل بن حنيف وأمره أن يشخص إليه من أحبّ الشخوص ولايحمل أحداً على مايكره، وأسرع الإمام(عليه السلام) في مسيره عسى أن يدرك جموع الناكثين ويردّهم عن غيّهم.

لم يتمكّن الإمام من اللحاق بالناكثين فقد سبقوه إلى البصرة، والتحقت بالإمام(عليه السلام)أعداد كبيرة من المؤمنين، وممّن التحق به قبيلة «طي» بجموعها وجماعة من بني أسد وجماعة من أهل المدينة.

وصل الإمام(عليه السلام) إلى منطقة «الربذة» فكتب إلى الأمصار يستمدّ العون ويوضّح الأمر، كي يتوصّل إلى إخماد نار الفتنة وحصرها في أضيق نطاق، فأرسل الى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فأبى أبوموسى الأشعري الاستجابة للإمام(عليه السلام) ومارس دور المثبّط عن مناصرة الإمام(عليه السلام) في موقفه، ثمّ أرسل عبدالله ابن عباس ولم يتمكّن من إقناع أبي موسى بالانصياع لأوامر الإمام(عليه السلام) والكفّ عن تثبيط الناس عن نصرة الإمام(عليه السلام)، فأرسل(عليه السلام)ولده الحسن(عليه السلام) وعمار بن ياسر ثمّ تبعهم مالك الأشتر فعزلوا أباموسى، وتحرّكت الكوفة بكلّ ثقلها تنصر أمير المؤمنين(عليه السلام)، فلحقت به في «ذي قار».

ولم يتوقف الإمام(عليه السلام) في مراسلة طلحة والزبير وإيفاد الرسل إليهما، عسى أن يعودا لرشدهما ويدركا خطورة فتنتهما فتجنّب الأُمّة المصائب والبلايا وسفك الدماء، فأوفد إلى عائشة زيد بن صوحان وعبدالله بن عباس وغيرهما، فحاوروها بالحجّة والدليل حتى أنّ عائشة قالت لابن عباس: لاطاقة لي بحجج عليّ، فقال ابن عباس: لاطاقة لك بحجج المخلوق فكيف طاقتك بحجج الخالق[١].

لم يداخل الشكّ قوات الإمام(عليه السلام) فهي على بيّنة من أمرها، جلية حجّتها، الحقّ هدفها، وقد أطنب الإمام(عليه السلام) في توضيح كلّ ملابسات الأمر، فلم يبق للناكثين من حجّة إلاّ التمادي والإصرار على الباطل، وتوالت الأخبار على أمير المؤمنين(عليه السلام) بعبث الناكثين في البصرة وسفكهم لدماء المسلمين، والتحق بالإمام(عليه السلام) عثمان بن حنيف واليه على البصرة وعلامات التعدّي والإهانة ظاهرة عليه، فتألّم(عليه السلام) لما يؤول إليه الأمر، وكظم غيظه واستمرّ في مسيره نحو البصرة.

أكثَر الإمام(عليه السلام) من مراسلة طلحة والزبير بعد أن شارفت قواته على أبواب البصرة، فخشيت عائشة ومن معها من اقتناع قادتها وجموع الناس معها بحجج الإمام(عليه السلام)، فخرجوا لملاقاته، فلمّا توقّفوا للقتال أمر الإمام(عليه السلام) منادياً ينادي في أصحابه: لايرمينّ أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أُعذر القوم فأتّخذ عليهم الحجّة البالغة[٢].

فلم يجد الإمام(عليه السلام) منهم إلاّ الإصرار على الحرب، ثمّ خرج إلى الزبير وطلحة فوقفا مابين الصفّين، فقال الإمام(عليه السلام) لهما: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلا ورجالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتّقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما؟ تحرّماني دمي وأُحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمّي؟

ثمّ قال(عليه السلام) لطلحة: أجئت بعرس رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) تقاتل بها وخبّأت عرسك في البيت! أما بايعتني؟!

ثمّ قال(عليه السلام) للزبير: قد كنا نعدّك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء عبدالله ففرّق بيننا.

---

١ . بحار الأنوار ٣٢ : ١٢٢، والإمامة والسياسة: ٩٠.

٢ . الإمامة والسياسة: ٩١، ومروج الذهب ٢ : ٢٧٠.

ثمّ قال(عليه السلام): أتذكر يازبير يوم مررت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في بني غنم، فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه فقلتَ له: لايدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ليس بِمُزه ـ أي: ليس به زهو ـ لَتقاتله وأنت له ظالم! قال الزبير: اللهم نعم.

وروي: أنّ الزبير اعتزل الحرب وقتل بعيداً عن ساحة الحرب بعد أن استعرت الفتنة[١].

كما أنّ طلحة قتله مروان بن الحكم في ساحة المعركة[٢].

وكان الإمام(عليه السلام) طامعاً حتى آخر لحظة قبل نشوب القتال أن يرتدع الناكثون عن غيّهم، فلم يأذن بالقتال رغم ماشاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب، فقال(عليه السلام) لأصحابه: «لايرمينّ رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أُحدث إليكم، وحتى يبدؤكم بالقتال والقتل»[٣].

وشرع أصحاب الجمل بالرمي فقُتل رجل من أصحاب الإمام(عليه السلام)، ثمّ قتل ثان وثالث، عندها أَذِنَ(عليه السلام)[٤] بالردّ عليهم والدفاع عن الحقّ والعدل.

التحم الجيشان يقتتلان قتالا رهيباً، فتساقطت الرؤوس وتقطّعت الأيدي وأُثخنت الجراحات في الفريقين، ووقف أمير المؤمنين(عليه السلام) مُشرِفاً على ساحة المعركة فرأى أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم فنادى بأعلى صوته: «ويلكم اعقروا الجمل فإنّه شيطان...».

فهجم الإمام(عليه السلام) وأصحابه حتى وصلوا الجمل فعقروه، ففرّ من بقي من أصحاب الجمل من ساحة المعركة فأمر(عليه السلام) بعد ذلك بحرق الجمل وتذرية رماده في الهواء لئلاّ تبقى منه بقية يفتتن بها السذّج والبسطاء، ثمّ قال الإمام(عليه السلام): لعنه الله من دابّة: فما أشبهه بعجل بني إسرائيل!

ومدّ بصره نحو الرماد الذي تناثر في الهواء فتلا قوله تعالى: (وَانْظُرْ إلى إلـهِكَ الّذي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً)[٥].

وانتهت بذلك فصول المعركة المؤلمة، ومرّ الإمام(عليه السلام) على القتلى والأشلاء وهو يتوجّع على دماء المسلمين أن تضيع هدراً في سبيل الأحقاد الدفينة

---

١ . نفس المصدر السابق.

٢ . الطبقات الكبرى ٣ : ١٥٨، والإمامة والسياسة: ٩٧.

٣ . شرح نهج البلاغة ٩ : ١١١.

٤ . الإمامة والسياسة: ٩٥.

٥ . طه: ٩٧.

والأطماع الدنيوية المغروسة في نفوس أصحاب الفتن الذين فرّطوا بمصلحة الرسالة الإسلامية والأُمّة المسلمة.

الإمام(عليه السلام) بعد فتنة الجمل

كتب الله النصر لأمير المؤمنين(عليه السلام) على مخالفيه، ووضعت الحرب أوزارها، وانقشع غبار المعركة، فنادى منادي الإمام(عليه السلام) يعلن العفو العام:

ألا! لايجهز على جريح ولا يتبع مول ولايطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وأن لايؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلاّ ماوجد في عسكرهم من سلاح أو غيره ممّا استخدم في القتال، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم[١].

وأمر الإمام عليّ(عليه السلام) محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلى وسط ساحة المعركة وينحّوه جانباً، وأن يتعهّد محمد أمر اُخته عائشة، فلمّا كان من آخر الليل أدخلها محمد البصرة فأنزلها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي.

وطاف الإمام(عليه السلام) في القتلى من أصحاب الجمل، وكان يخاطبهم ويكرّر القول:

«لقد وجدتُ ماوعدني ربّي حقاً فهل وجدتم ماوعدكم ربّكم حقاً»؟

وقال(عليه السلام) أيضاً: «ماألوم اليوم من كفَّ عنّا وعن غيرنا ولكنّ المليم الذي يقاتلنا»[٢].

وأقام الإمام(عليه السلام) في ظاهر البصرة ولم يدخلها، وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم[٣]، ثمّ دخل(عليه السلام) مدينة البصرة معقل الناكثين، فانتهى إلى المسجد فصلّى فيه ثمّ خطب في الناس وذكّرهم بمواقفهم ومواقف الناكثين لبيعته، فناشدوه الصفح والفعو عنهم، فقال(عليه السلام): «قد عفوت عنكم،

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٢، ومروج الذهب ٢ : ٣٧١.

٢ . الإرشاد للمفيد: ١٣٥.

٣ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٥.

فإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوّل الرعية نكث البيعة، وشقّ عصا هذه الأُمّة». ثمّ أقبلت الجماهير ووجوه الناس لمبايعة الإمام(عليه السلام)[١].

وبعد ذلك دخل أمير المؤمنين(عليه السلام) بيت المال في البصرة، فلمّا رأى كثرة المال قال: «غُرّي غيري...» وكرّرها مراراً، وأمر أن يقسّم المال بين الناس بالسوية، فنال كلّ فرد منهم خمسمائة درهم، وأخذ هو كأحدهم، ولم يبقَ شيء من المال فجاءه رجل لم يحضر الوقعة يطالب بحصّته، فدفع إليه الإمام(عليه السلام) ماأخذه لنفسه ولم يصب شيئاً[٢].

ثمّ أمر أمير المؤمنين(عليه السلام) بتجهيز عائشة وتسريحها الى المدينة، وأرسل معها أخاها وعدداً من النساء ألبسهنّ العمائم وقلّدهن السيوف لرعاية شؤونها وأوصلنّها الى المدينة، ولكنّ عائشة لم تحسن الظنّ بأمير المؤمنين(عليه السلام) وتصوّرت أنّ الإمام(عليه السلام) لم يرعَ حرمتها، وما أن علمت أنّ الإمام(عليه السلام) بعث معها النساء حتى أعلنت ندمها على خروجها وفشلها وإثارتها للفتنة، فكانت تكثر من البكاء[٣].

نتائج معركة الجمل

خلّفت معركة الجمل نتائج سلبية على المجتمع الإسلامي بلاريب. وعلينا أن نشير إلى بعضها:

١ ـ توسّعت قضيّة قتل عثمان بن عفّان حتى أصبحت قضيةً سياسيةً كبيرةً جرّت من ورائها ظهور تيارات مناوئة فعلا وقولا لمسيرة الدعوة الإسلامية، فأطلّ معاوية بن أبي سفيان ليكمل مسيرة الانحراف الدموي في معركة الجمل بصفيّن.

٢ ـ أشاعت الأحقاد بين المسلمين، وفتحت باب الحرب والاقتتال فيما بينهم، فكانت الفرقة بين أهل البصرة أنفسهم وبين باقي الأمصار الإسلامية، وَكانت العداوة لمطالبة بعضهم البعض الآخر بدماء أبنائهم في حين كان المسلمون يتحرّجون من إراقة دمائهم.

---

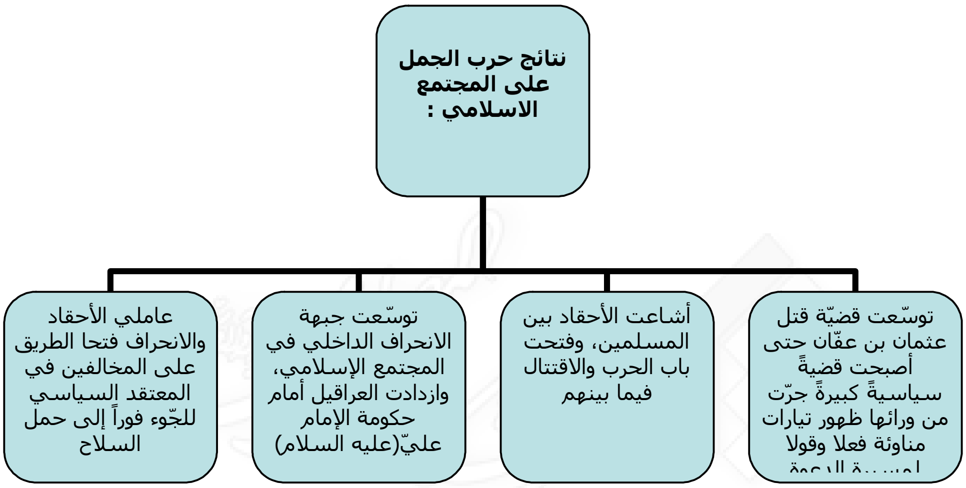
١ . الإرشاد للشيخ المفيد: ١٣٧، وتاريخ الطبري: ٥ : ٥٧٧ .

٢ . شرح نهج البلاغة ١ : ٢٥٠.

٣ . التذكرة للسبط بن الجوزي: ٨٠ ، ومروج الذهب للمسعودي ٢ : ٣٧٩، والإمامة والسياسة: ٩٨، والمناقب للخوارزمي: ١١٥.

٣ ـ توسّعت جبهة الانحراف الداخلي في المجتمع الإسلامي، وازدادت العراقيل أمام حكومة الإمام عليّ(عليه السلام) فبعد أن كان تمرّد معاوية في الشام انفتحت جبهة أُخرى ممّا أدّى إلى انحسار التوسّع الخارجي، وكذلك انحسار الأعمال الإصلاحية والحضارية التي كان يُرجى تحققّها في المجتمع الإسلامي.

٤ ـ إنّ عاملي الأحقاد والانحراف فتحا الطريق على المخالفين في المعتقد السياسي للجّوء فوراً إلى حمل السلاح وإشعال نار الحرب.



الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية

بعد أن هدأت الأمور تماماً تحرّك الإمام عليّ(عليه السلام) نحو الكوفة ليتّخذها مقرّاً له بعد أن بعث إليهم برسالة أوضح فيها بايجاز تفاصيل الأحداث[١]، كما أنّ الإمام(عليه السلام) أمّر عبدالله ابن عباس على البصرة وشرح له كيفية التعامل مع سكّانها بعد الذي وقع بينهم[٢].

وكان لاختيار الإمام(عليه السلام) الكوفة عاصمةً جديدةً للدولة الإسلامية أسباب عديدة منها:

١ ـ توسّع رقعة العالم الإسلامي، ولابدّ أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين الحكومة في التحرّك نحو جميع نقاط الدولة، كما أنّ الكوفة تقع

---

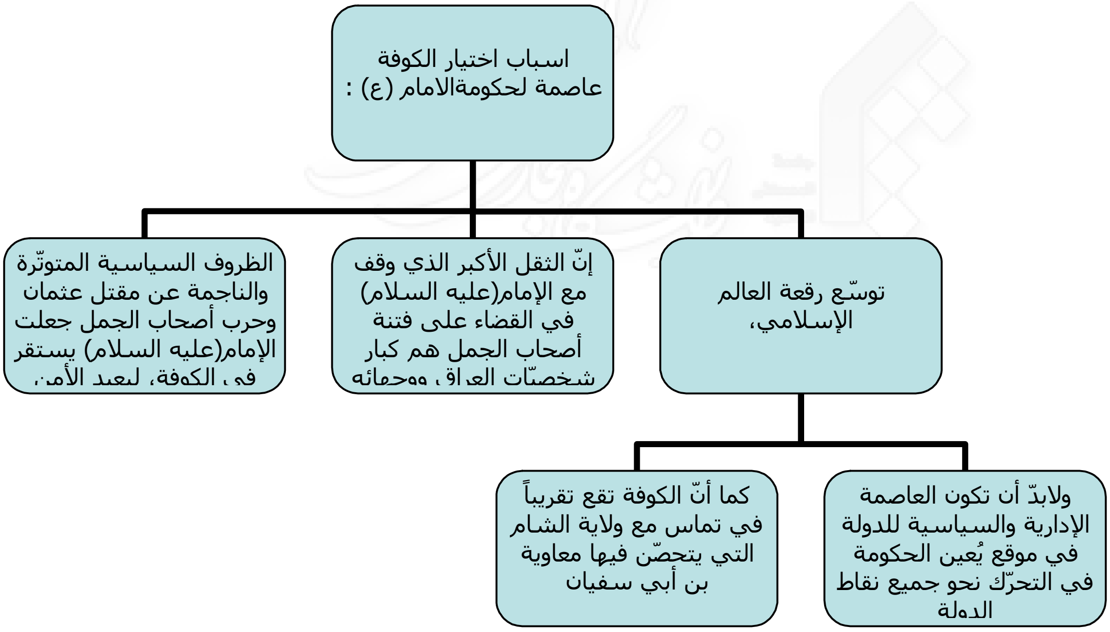
١ . تاريخ الطبري ٥ : ٥٧٩ .

٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٥٨٠ .

تقريباً في تماس مع ولاية الشام التي يتحصّن فيها معاوية بن أبي سفيان معلناً التمرّد دون باقي أقطار العالم الإسلامي.

٢ ـ إنّ الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام(عليه السلام) في القضاء على فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيّات العراق ووجهاء الكوفة وجماهيرها، فكان(عليه السلام) يرى فيهم مادةً صالحةً لمجتمع إسلامي سليم وقويّ بإمكانه أن يربّيهم لينطلق بهم إلى العالم أجمع.

٣ ـ الظروف السياسية المتوتّرة والناجمة عن مقتل عثمان وحرب أصحاب الجمل جعلت الإمام(عليه السلام) يستقر في الكوفة، ليعيد الأمن والاستقرار للمنطقة التي يحكمها ويمنع حدوث انشقاقات محتملة في المجتمع الاسلامي بشكل عام والشعب العراقي بشكل خاصّ.



الإمام(عليه السلام) يحذّر معاوية من التمرّد

لم يكن أمير المؤمنين(عليه السلام) داعياً إلى حرب أبداً، وماكانت مواقفه الصارمة مع مخالفيه إلاّ بعد النصح والوعظ وإتمام الحجّة والتحذير من سوء العواقب، وهكذا تعامل(عليه السلام) مع معاوية الذي رفض أن يبايعه، وأعلن العداء مستغلاّ قضية قتل عثمان ابن عفان ومضّللا الرأي العام في الشام ومهيّجاً الناس لشنّ الحرب على

الخلافة الشرعية، فأرسل إليه الإمام(عليه السلام) جرير بن عبدالله البجلي يدعوه إلى الطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون من مبايعته(عليه السلام) وحمّله كتاباً جاء فيه:

«فإنّ بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام، لأنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمراً وعثمان على مابويعوا عليه، فلم يك للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ».

ثمّ حذّره الإمام(عليه السلام) من التمادي في تأجيج الفتن، وأنّ طريق القصاص من قتلة عثمان يكون عبر الخلافة الشرعية والحكومة المركزية فقال(عليه السلام):

«وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس، ثمّ حاكم القوم إليّ، أحملك وإيّاهم على كتاب الله، فأمّا تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن...ولعمري، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان».

ولم يجد معاوية أمام رسالة الإمام(عليه السلام) إلاّ التسويف والمماطلة وتضليل أهل الشام في محاولة لايجاد مخرج يواجه به الإمام(عليه السلام)[1].

---

١ . الإمامة والسياسة: ١١٤، وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٨، الكامل في التاريخ: ٣ : ٢٧٦ والإمامة والسياسة: ٧٤ وتاريخ الطبري ٥ : ٥٠٧ .

الخلاصة:

١. كان خطوات الإمام(عليه السلام) للقضاء على فتنة عائشة وطلحة والزبير متقنة وحكيمة إذ استطاع الإمام أن يثبّط عزيمة الزبير وجعله يعتزل القتال. ولكن لم تؤثر نصائح الإمام(عليه السلام)في طلحة ولا في عائشة.

٢. وبعد أن خسر أصحاب الفتنة المعركة عاملهم الإمام(عليه السلام) معاملة حسنة وجهّز عائشة وسرّحها بما يحفظ كرامتها بالرغم من أنّها لم تحفظ كرامة الإمام(عليه السلام).

٣. وأدّت معركة الجمل إلى نتائج سلبية شتى وفتحت طريق الاقتتال والتناحر بين المسلمين، واتخذ الإمام بعد معركة الجمل الكوفة عاصمة له لأسباب شتّى، وبدأ بالاحتجاج على معاوية ليتمّ عليه الحجّة ويدخله فيما دخل فيه المسلمون.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ٣٩)

تخطيط معاوية لاستنزاف قوى الإمام(عليه السلام)

(١)

المقدمة:

الهدف الدراسي: الالمام بتخطيط معاوية لاستنزاف قوى الامام(عليه السلام)

النتائج المتوخاة من الدرس:

التعرف إلى:

١ ـ وجه استعانة معاوية بعمرو لمواجهة الامام خصوصا لما نقل الامام عاصمته الى الكوفة،وبيان الخصائص المشتركة بينهما.

٢ـ ما اتبعه الامام (عليه السلام) لردع معاوية عن إشعال نار الحرب.

٣ ـ سبب انتصار قوات الإمام علي(عليه السلام) على قوات معاوية.

٤ ـ فتنة رفع المصاحف واثرها في جيش الإمام(ع).

٥ ـ أثر سياسة المكر والخداع التي مارسها عمرو بن العاص.

٦ ـ المواقع التي خطب فيهاالإمام محذّراًالأمة من مغبّة أتباع الأهواءوالأطماع.

٧ ـ الكيفية التي استطاع بها معاوية استمالة أغلب الناس للوقوف إلى جانبه.

٨ ـ شخصيةالحكمين ودورهما في قلب موازين التحكيم ونتائجه.

٩ ـ إفرازات معركة الجمل وصفين.

١٠ ـ موقف كل من الإمام(عليه السلام) والخوارج اتّجاه الطرف الآخر.

١١ ـ كيفية احتلال مصر، وارسال الإمام(عليه السلام) مالك الاشتر لولايتها.

المحتوى العلمي :

استعداد معاوية لمحاربة الإمام(عليه السلام)

ساورت المخاوف معاوية بعد استقرار الإمام في الكوفة ومضيّه في خطّته لتوحيد الدولة وبناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن والسنّة النبويّة، فسارع معاوية إلى الاستعانة بعمرو بن العاص لما كان يتمتّع به من القدرة الفائقة على المكر والغدر، ولم يتردّد عمرو طويلا أمام رسالة معاوية، ولم يكن ليختار على طمعه في الدنيا شيئاً حتى لوكان دينه الذي يُدخله الجنّة[١].

وما أن وصل عمرو إلى الشام حتى جعل يبكي ويولول كالنساء[٢] مبتدئاً خطّته في التضليل وخداع الجماهير، وبعد مراوغة ومكايدة بين معاوية وعمرو تمّت المساومة على أن تكون حصة عمرو ولاية مصر مقابل مواجهة الإمام(عليه السلام) ومحاربته، وكتب معاوية كتاباً بذلك[٣].

وشرعا يخطّطان لمواجهة الإمام والوضع القائم، فكان الاتّفاق على المضيّ في هذا المسار العدائي المشوب بالظلم والغدر والبغي، إذ لاسبيل للوصول إلى أهدافهم وغاياتهم إلاّ مواجهة الإمام(عليه السلام) وهو الوريث الشرعيّ للنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وحامل راية الحقّ والعدل، وكانت الخطّة تتطلب التشبّث بقميص عثمان كشعار لتحريك مشاعر وعقول الجماهير غير الواعية، فرفعاه على المنبر بعد أن قَدِم به عليهما النعمان بن بشير، فكان الناس يضجّون بالبكاء حتى سرت فيهم روح الحقد والكراهية والعمى عن هدى الحقّ"[٤].

ولتحريك جماهير الشام لمؤازرة معاوية وتعبئتهم للحرب اقترح عمرو أن يكون شرحبيل بن السمط الكندي المحرّك الأول، لما عرف عنه من عبادة ووجاهة في قبائل الشام وكراهية لجرير (مبعوث الإمام(عليه السلام) إلى معاوية) كما أنّ شرحبيل كان ممّن

---

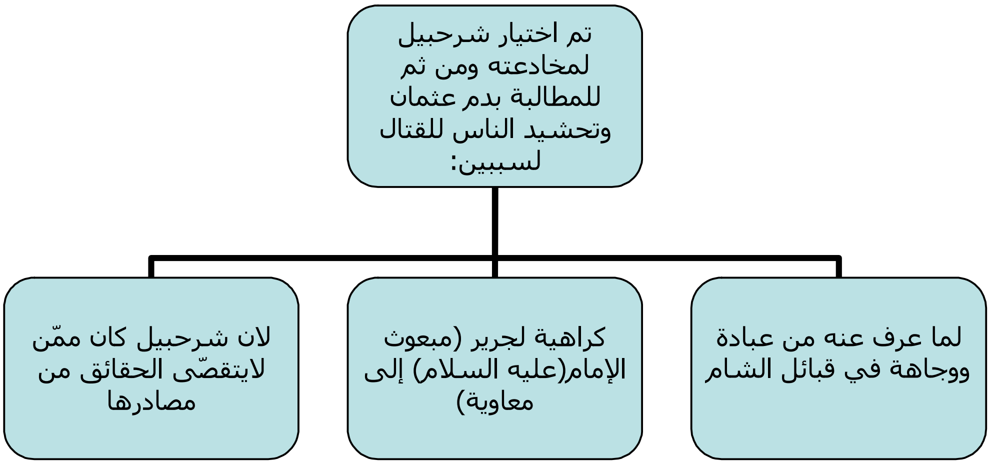
١ . وقعت معركة صفين في صفر من سنة (٣٧) هـ، وكانت المناوشات بين الطرفين بدأت في ذي الحجة سنة (٣٦) هـ الإمامة والسياسة: ١١٦، ووقعة صفّين: ٣٤، والكامل في التاريخ: ٣ : ٢٧٥.

٢ . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٧٤.

٣ . الإمامة والسياسة: ١١٧، ووقعة صفّين: ٤٠.

٤ . وقعة صفين: ص ٣٧، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٧٧.

لايتقصّى الحقائق من مصادرها، وتمّت مخادعة شرحبيل الذي انطلق مطالباً معاوية بالأخذ بثأر عثمان بن عفان، وكان يتحرّك بنفسه لحشد الناس للحرب[١].



وبعد تعبئة أهل الشام للحرب أخذ معاوية منهم البيعة وكتب بالحرب كتاباً أرسله مع جرير[٢] والذي أبطأ كثيراً على الإمام(عليه السلام)، ثمّ سارع معاوية بتحريك قوّاته نحو أعالي الفرات في وادي صفّين لاحتلالها ومنع تقدّم قوات الإمام(عليه السلام) وحبس الماء عنهم، وتصوّر معاوية أنّ هذا أول نصر يحقّقه على الإمام(عليه السلام). وطلب الإمام(عليه السلام) من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء بعد أن وصلوا متأخرين إلى صفّين، وأبى معاوية وجيشه ذلك، وأضرّ الظمأ كثيراً بأهل العراق وازداد الضغط على الإمام(عليه السلام) لكسر الحصار، فأذن لهم بالهجوم على شاطيء الفرات، وتمّ إزاحة قوات معاوية عن ضفّة النهر.

ولكنّ الإمام(عليه السلام) لم يقابل أهل الشام بالمثل،ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة[٣].

ورغم أنّ الإمام(عليه السلام) أكثر من مراسلة معاوية وفتح عدّة قنوات للحوار محاولا كسبه وإدخاله في بيعته لكنّ ردّ معاوية كان هو الحرب والسعي للقضاء على الإمام(عليه السلام) وجيشه بكلّ وسيلة.

بيد أنّ الإمام(عليه السلام) كان يأمل في محاولة سلمية أُخرى بعد أن استقرّ وجيشه على ضفّة الفرات، فسادت هدنة مؤقّتة بعث خلالها الإمام(عليه السلام) مندوبين عنه

---

١ . وقعة صفين: ص ٤٦.

٢ . وقعة صفين: ص ٥٦.

٣ . مروج الذهب ٢ : ٣٨٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٣٢٠، والكامل في التاريخ ٣: ٢٨٣.

إلى معاوية وهم بشير بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي، فقال(عليه السلام)لهم: «إئتوا هذا الرجل ـ أي معاوية ـ وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة».

وما كان جواب معاوية إلاّ السيف والحرب، فقال للمندوبين: انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلاّ السيف[1].

الحرب بعد الهدنة

جرت مناوشات بين الجيشين ولم تستعر الحرب بعدُ، فكانت تخرج فرقة من كلا الطرفين فيقتتلان، وما أن حلّ شهر محرم من عام (٣٧) هـ حتى حصلت موادعة بين الطرفين، حاول من خلالها الإمام(عليه السلام) التوصّل إلى الصلح، وكانت خطّته(عليه السلام) هي الدعوة إلى السلم وجمع الكلمة وحقن الدماء، ودعوات معاوية وأهل الشام كانت رفض بيعة الإمام(عليه السلام) والطلب بدم عثمان بن عفان[2].

واستمرّت الهدنة مدّة شهر واحد، ولمّا طالت فترة المناوشات سئم الفريقان من ذلك فعبّأ الإمام(عليه السلام) جيشه تعبئةً عامةً، وكذلك فعل معاوية، والتحم الجيشان في معركة رهيبة، وكان الإمام(عليه السلام) يوصي جنوده دائماً فيقول: «لاتقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فأنتم بحمد الله عزّ وجلّ على حجّة» ثمّ قال: «فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورةً ولا تمثّلوا بقتيل»[3].

واستمرت الحرب بين كرٍّ وفرّ حتى سقط خلالها عدد كبير من المسلمين مابين صرعى وجرحى.

مقتل عمار بن ياسر

وروي: أنّ عمار بن ياسر خرج بين الصفّين فقال: إنّي لأرى وجوه قوم لايزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنّا على الحقّ وكانوا على الباطل.

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٦١٢ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٨٤.
٢ . المصدر : ٦١٥، ووقعة صفّين: ١٩٥.
٣ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٢٢، ووقعة صفّين: ٢٠٢.

ثمّ تقدم نحو جيش معاوية وهو يرتجز:

نحن ضربناكم على تنزيله *** واليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله *** ويذهل الخليل عن خليله
أويرجع الحقّ إلى سبيله

فتوسّط فيهم ببسالته التي قاتل بها مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) صادقاً مخلصاً، فاشتبكت عليه الرماح فطعنه أبوالغاوية وابن جون السكسكي، وروي أنّهما اختصما في رأس عمّار إلى معاوية وعبدالله بن عمرو بن العاص جالس فقال لهم: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإنّي سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له: «ياعمّار! تقتلك الفئة الباغية»[١].

وكان الإمام(عليه السلام) قلقاً لايقرّ له قرار حين برز عمّار للقتال في ذلك اليوم، وأكثرَ من السؤال عليه حتى جاءه خبر استشهاده، فأسرع إلى مصرعه كئيباً حزيناً تفيض عيناه دمعاً، فقد غاب عنه الناصر الناصح والأخ الأمين، ثمّ صلّى عليه ودفنه.

وسرى خبر استشهاد عمّار بين الجيشين فوقعت الفتنة بين صفوف جيش معاوية، لما يعلمون من مكانة عمّار وحديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عنه...ولكنّ المكر والحيلة كانا بالمرصاد لكلّ ساذج جاهل، فأشاع معاوية أنّ الذي قتل عمّاراً هو من جاء به، وأذعن بسطاء أهل الشام لهذه الضلالة[٢].

وروي: أنّ ذلك بلغ الإمام علياً(عليه السلام) فقال مجيباً على هذا الزعم الماكر: ونحن قتلنا حمزة لأنّا أخرجناه إلى اُحد[٣]!

خدعة رفع المصاحف

استمرّ القتال أياماً أظهر خلالها أصحاب الإمام صبرهم وتفانيهم من أجل انتصار الحقّ، ثمّ إنّ الإمام(عليه السلام) قام خطيباً يحثّ على الجهاد فقال: «أيّها الناس! قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ماقد رأيتم، ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس، وإنّ الاُمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها...وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم مابلغنا، وأنا غاد عليهم بالغداة اُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ»[٤].

---

١ . العقد الفريد ٤ : ٣٤١، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٥٣، ووقعة صفّين: ٣٤٠.
٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٥٣.
٣ . تذكرة الخواص: ٩٠، والعقد الفريد ٤ : ٣٤٣.
٤ . كتاب سليم بن قيس: ١٧٦، والكامل في التاريخ ٣ : ٣١٠.

فبلغ ذلك معاوية وقد بدت الهزيمة على أهل الشام فاستدعى عمروبن العاص يستشيره، وقال له: إنّما هي الليلة حتى يغدو عليٌّ علينا بالفيصل فما ترى؟

قال عمرو: أرى أنّ رجالك لايقومون لرجاله ولست مثله، وهو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لايخافون عليّاً إن ظفر بهم، ولكن ألقِ إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردّوه اختلفوا، أُدعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم[١].

فأمر معاوية في الحال أن ترفع المصاحف على الرماح، ونادى أهل الشام: ياأهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته إلى خاتمته من لثغور أهل الشام من بعد أهل الشام ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟

وكانت هذه الدعوى المضلّلة كالصاعقة على رؤوس جيش الإمام، فهاج الناس وكثر اللغط بينهم، وقالوا: نجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه... وكان أشدّ الناس في ذلك أحد كبار قادة جيش الإمام عليّ وهو الأشعث بن قيس.

فقال لهم الإمام(عليه السلام): «عباد الله، امضوا على حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن أبي مسلمة وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالا ثمّ رجالا فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، ويحكم والله مارفعوها إلاّ خديعةً ووهناً ومكيدةً، إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل».

فخاطبوا أمير المؤمنين(عليه السلام) باسمه الصريح قائلين: ياعليّ! أجب إلى كتاب الله عزّ وجل إذ دعيت إليه وإلاّ ندفعك برمّتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفان.

ولم يجد الإمام(عليه السلام) مع المخدوعين سبيلا فقال: فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ماشئتم[٢].

وكان في ساحة المعركة مالك الأشتر يقاتل ببسالة ويقين حتى كاد أن يصل إلى معاوية فقالوا لأمير المؤمنين(عليه السلام): ابعث إلى الأشتر ليأتينّك...ولكنّ الأشتر لم ينثنِ عن عزمه في القتال، لأنّه يعلم أنّ الأمر خدعة فهدّدوه بقتل الإمام(عليه السلام)، فعاد الأشتر يؤنّبهم فقال لهم: خدعتم والله فانخدعتم ودعوتم إلى وضع الحرب فأجبتم، ياأصحاب الجباه السود كنّا نظن أنّ صلاتكم زهادة إلى الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى قراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت.

---

١ . وقعة صفّين: ٣٤٧، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٦٠.

٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٦٠، ووقعة صفّين: ٤٨١.

وأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين(عليه السلام)، والإمام(عليه السلام) ساكت لايفيض بكلمة مطرق الرأس حزيناً، فقد انطلت الخديعة على جيشه فتمرّد عليه ولم يعد باستطاعته أن يفعل شيئاً، وقد أدلى(عليه السلام) بما مني به بقوله: «لقد كنت أمسِ أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت بالأمسِ ناهياً فأصبحت اليوم منهياً»[١].

خدعة التحكيم

لم تتوقّف محنة الإمام(عليه السلام) بتخاذل الجيش، وكان بالإمكان أن يحقّق مكسباً سياسياً عن طريق المفاوضات التي دُعي إليها لو أطاعه المتمرّدون في اختيار الممثّلين عنه إلى التحكيم، فأراد الإمام(عليه السلام) ترشيح عبدالله بن عباس أو مالك الأشتر لما يعلم منهما من إخلاص ووعي، وأصرّ المخدوعون على ترشيح أبي موسى الأشعري، فقال الإمام(عليه السلام): «إنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر فلاتعصوني الآن، إنّي لاأرى أن أُولّي أبا موسى فإنّه ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عنّي ـ بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل ـ ثمّ هرب منّي حتى أمّنته بعد أشهر»[٢].

وتمكّن معاوية وابن العاص من مأربهم في تفتيت جيش الإمام(عليه السلام)، يساعدهم في ذلك الأشعث بن قيس من داخل قوّات الإمام.

حضر عمرو بن العاص ممثّلا عن أهل الشام بدون معارضة من أحد لتسطير بنود الاتّفاق مع أبي موسى الأشعري، ولم يقبل عمرو كتابة اسم «أمير المؤمنين» في الصحيفة، فقال الإمام(عليه السلام): إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية إذ قال سهل بن عمر للنبي: لستَ رسول الله، ثمّ قال(عليه السلام): فقال لي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): أما إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد[٣].

وأهمّ ماجاء في الصحيفة هو إعلان الهدنة ووقف القتال، وأن يلجأ الطرفان إلى كتاب الله وسنّة نبيّه لحلّ قضاياهم، وأُجّل البتّ في قرار الحكمين إلى رمضان عام (٣٧ هـ) حيث كتبت الصحيفة في صفر من نفس العام.

---

١ . راجع الكامل في التاريخ ٣ : ٣١٧، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٦٢، ووقعة صفّين: ٤٩١.
٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٦٣، الكامل في التاريخ ٣ : ٣١٩، وقعة صفّين: ٤٩٩.
٣ . وقعة صفّين: ٥٠٨، وشرح نهج البلاغة ٢ : ٢٣٢.

والغريب أنّ مسألة الأخذ بثأر عثمان لم ترد ولو بإشارة بسيطة في كتاب الموادعة مع أنّها أُسّ الفتنة التي تحرّك فيها معاوية وحزبه من أبناء الطلقاء[١]، واتّفقوا على أن يكون موضع اجتماع الحكمين في «دومة الجندل».

وروي: أنّه طلب من الأشتر أن يشهد في الصحيفة، فقال: لاصبّحتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُط لي في هذه الصحيفة اسم أو لست على بيّنة من ربّي من خلال عدوّي؟ أو لستم قد رأيتم الظفر[٢].

وقيل لأمير المؤمنين(عليه السلام): إنّ الأشتر لايقرّ بما في الصحيفة ولا يرى إلاّ قتال القوم.

فقال(عليه السلام): «وأنا والله مارضيت ولا أحببت أن ترضوا»...

ثمّ قال(عليه السلام): «ياليت فيكم مثله اثنين، ياليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي مآرى، إذاً لخفّت عليّ مؤونتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتموني، والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت بعد قوّة وأسقطت منّة وأورثت وهناً وذلّة»[٣].

تخطيط معاوية لاستنزاف قُوى الإمام(عليه السلام) (٢)

رجع الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى الكوفة مثقلا بالهموم والآلام وهو يرى أنّ باطل معاوية قد استحكم، وأمره أوشك أن يتمّ، وينظر إلى جيشه وقد فتّته التمرّد لايستجيب لأمره.

ودخل الإمام(عليه السلام) الكوفة فرأى لوعةً وبكاءاً، قد سادت جميع أرجائها حزناً على من قتل في صفّين، واعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام(عليه السلام)ولم يدخلوا الكوفة فلحقوا بحروراء، وجعلوا أميرهم على القتال شبث بن ربعي، وعلى الصلاة عبدالله بن الكواء اليشكري، وخلعوا بيعة الإمام(عليه السلام) يدعون إلى جعل الأمر شورى بين المسلمين...وكان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة الموادعة، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا وقالوا: لانرضى، لاحكم إلاّ لله، واتّخذوه شعاراً لهم رغم أنّهم هم الذين أصرّوا على الإمام(عليه السلام) لقبول التحكيم.

وسعى أمير المؤمنين(عليه السلام) لمعالجة موقفهم بالحكمة والنصيحة، فأرسل إليهم عبدالله بن عباس وأمره أن لايعجل في الخوض معهم في جدال وخصومة، ولحقه

---

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٦٤.

٢ . وقعة صفّين: ٥١١، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٢١.

٣ . الكامل في التاريخ ٣ : ٣٢٢، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٧٢، ووقعة صفّين: ٥٢١.

الإمام(عليه السلام) فكلّمهم وحاججهم وفنّد كلّ دعاواهم، فاستجابوا له ودخلوا معه إلى الكوفة[١].

اجتماع الحكمين

حان الأجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين، فأرسل الإمام(عليه السلام) أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني، وبعث معهم عبدالله بن عباس ليصلّي بهم ويلي أُمورهم وأبو موسى الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجل من أهل الشام حتى توافوا في دومة الجندل.

وقد سارع عدد في أهل الرأي والحكمة ممّن أخلصوا للإمام(عليه السلام) بتقديم النصح والتحذير لأبي موسى، باذلين جهدهم في حمله على التبصرة والرويّة في اتّخاذ القرار، وخشيةً منهم من مكر عمرو وخداعه[٢].

قرار التحكيم

اجتمع الحكمان أبوموسى الأشعري وعمرو بن العاص، والأوّل يحمل الغباء السياسي وضعف الانتماء العقائدي وقلّة الولاء لإمامه عليّ(عليه السلام) والثاني هو الماكر المخادع ذو السجيّة الغادرُ والطامع إلى إقصاء خطّ أهل البيت(عليهم السلام) تماماً عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك وشركته مع الطليق ابن الطليق معاوية.

ولم يطل الاجتماع طويلا حتى تمكّن ابن العاص من معرفة نقاط الضعف في شخصية الأشعري والسيطرة عليه وتوجيهه نحو مايريد، واتفق الاثنان في اجتماع مغلق على خلع الإمام عليّ(عليه السلام) ومعاوية عن ولاية أمر المسلمين، واختيار عبدالله ابن عمر بن الخطاب ليكون الخليفة المقترح.

وبادر ابن عباس محذّراً الأشعري من أن ينساق في لعبة ابن العاص، فقال له: ويحك! والله إنّي لأظنّه قد خدعك إن إتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلّم بذلك الأمر قبلك ثمّ تكلّم أنت بعده، فإنّ عَمْراً رجل غادر لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

---

١ . الكامل في التاريخ ٣ : ٤٢٦، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٦٨.

٢ . شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٤٦. ط دار إحياء التراث العربي، ووقعة صفّين: ٥٣٤.

فقام الأشعري فخطب وخلع الإمام عليّاً(عليه السلام)، ثمّ انبرى عمرو فخطب وأكّد خلع الإمام وثبّت معاوية لولاية الأمر[١].

وبتلك الغدرة ظفر معاوية بالنصر، وعاد إليه أهل الشام يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، وأمّا أهل العراق فغرقوا في الفتنة وأيقنوا بضلال ماأقدموا عليه، وهرب أبوموسى إلى مكّة، ورجع ابن عباس وشريح إلى الإمام عليّ(عليه السلام).

إفرازات معركتي الجمل وصفّين وظهور الخوارج

يمكن أن نقول: إنّ ظهور الخوارج إفراز طبيعي للصراع الدموي في الجمل وصفّين، كما أنّنا لايمكننا أن ننظر الى انحرافهم بمعزل عن انحراف الخلافة عن خطّ أهل البيت(عليهم السلام)، لقد كان من أهمّ صفات الخوارج هو التحجّر والتمسّك بالظواهر والتعصّب والخشونة وعدم التمييز بين الحقّ والباطل، وأنّهم سريعو التأثّر بالشائعات، فيتردّدون عند أدنى شكّ.

ونجد أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر عن صفتهم، إذ روي عنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «يخرج في هذه الأُمّة ـ ولم يقل منها ـ قوم تحقّرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن ولايجاوز حلوقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[٢].

ولم يتمكّن الإمام(عليه السلام) من معالجة أمراضهم وانحرافاتهم،فقد عاجلته الحروب والتمرّدات في الجمل وصفّين في فترة قصيرة جدّاً، ويمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلى:

١ ـ الإحباط النفسي والفشل في تحقيق النصر، وخصوصاً أنّ معارك الإمام(عليه السلام) ضد متمرّدين هم مسلمون في الظاهر، فلم يتمكّن الخوارج من فهم معالجة الإمام(عليه السلام) للمتمرّدين، ولم يتمكّنوا من تحمّل نتيجة التحكيم، في حين هم الذين أجبروه على قبول التحكيم، ولم يواجهوا أنفسهم بمواقفهم المنحرفة، فسعوا إلى تعليق أخطائهم وتحميل أوزارها إلى طرف آخر غيرهم ولم يكن إلاّ الإمام عليّ(عليه السلام)[٣].

٢ ـ استغلالهم الحرية الفكرية التي فتحها الإمام(عليه السلام) لكي تمارس الأُمّة وعيها الرسالي، فقد روي أنّهم كانوا يعترضون على الإمام حتى أثناء خطبته بدعوى

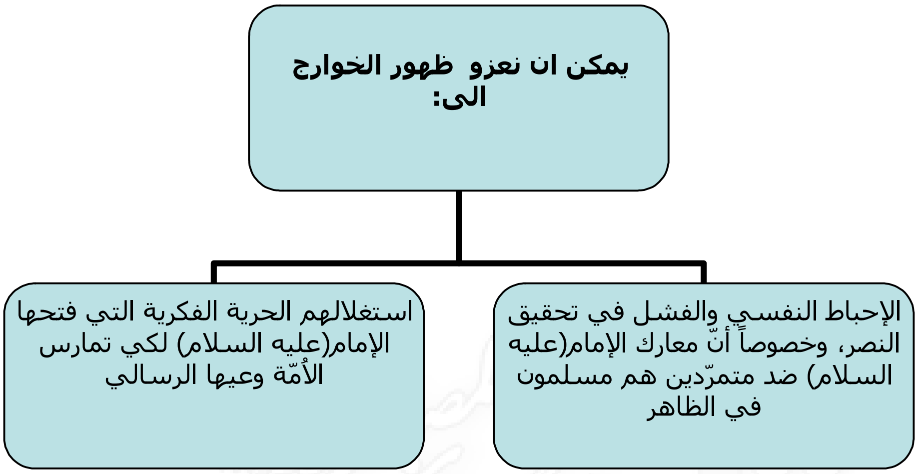
---

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٨٢، ومروج الذهب ٢ : ٤١١، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٢٢.

٢ . صحيح البخاري، نقلا عن الفصول المهمة: ١١١.

٣ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٨٦، ٧٠٠.

لاحكم إلاّ لله، وماكان الإمام يجيبهم إلاّ بـ«كلمة حقّ يراد بها باطل». وقال الإمام(عليه السلام) لهم: «لكم عندنا ثلاث خصال: لانمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ماكانت أيديكم في أيدينا، ولانبدؤكم للحرب حتى تبدؤونا»[1] فتحوّلت حركتهم من حالة فردية إلى حالة جماعية.



ردّ الإمام(عليه السلام) على قرار الحكمين

ولمّا بلغ خبر التحكيم إلى الإمام(عليه السلام) تألّم كثيراً، وخطب في الناس يحثّهم ويدلّهم على إصلاح الخطأ الذي تورّطوا فيه وذكّرهم بنصحه لهم، فقال(عليه السلام): «إنّ مخالفة الناصح الشفيق المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجفاة المنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضَنَّ الزند بقدحه، فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى *** فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد

ألا إنّ هذين الرجلين ـ أباموسى الأشعري وابن العاص ـ اللّذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ماأمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة ولاسنّة ماضية، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم

---

١ . مستدرك وسائل الشيعة ٢ : ٢٥٤، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٣٤، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٨٧.

يرشد، فبريء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، استعدوا وتأهبّوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله[١].

وكتب الإمام(عليه السلام) إلى عبدالله بن عباس أن يعبّيء أهل البصرة للالتحاق بالإمام(عليه السلام) لقتال معاوية، فالتحقت جموع البصرة بالكوفة، ولكن عبث الخوارج الذين تجمّعوا من البصرة والكوفة متّجهين نحو النهروان وفسادهم في الأرض أقلق أصحاب الإمام(عليه السلام) من تركهم خلفهم لو توجّهوا إلى الشام فطلبوا من الإمام أن يقضي على الخوارج أولا[٢].

وكان من عبث الخوارج أنّهم قبضوا على عبدالله بن خباب وزوجته فقتلوه، وبقروا بطن امرأته، وألقوا مافيها من دون مبرّر، وكذلك قتلوا الحارث بن مرّة العبدي رسول الإمام(عليه السلام) إليهم[٣].

المواجهة مع الخوارج

تجمّعت قوّات المارقين عن الدين قرب النهروان بعد أن التحقت بهم مجاميع من البصرة وغيرها، وحاول الإمام(عليه السلام) مراراً ردعهم عن فكرتهم وسعيهم للحرب، فلم يجد فيهم إلاّ الفساد والجهل والإصرار، بل تمردوا وتمادوا في غيهمّ فعبأ جيشه ونصحهم كما هو شأنه في كلّ معركة ولمّا انتهى الإمام(عليه السلام) إليهم بعث لهم رسولا يطلب منهم قتلة عبدالله بن خبّاب وقتلة رسوله الحارث بن مرّة، فردّوا عليه مجمعين: كلّنا قتلناهم وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم.

وبعث الإمام(عليه السلام) قيس بن سعد وأبا أيوب الأنصاري لينصحا القوم عساهم أن يفهموا واقع الأحداث، ويجتنّبوا الأمة مزيداً من الدماء، ثمّ أتاهم الإمام(عليه السلام) فقال لهم:

«أيّتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة! وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمع بها النزق، وأصبحت في الخطب العظيم، إنّي نذير لكم إن تصبحوا تلعنكم الأمّة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم ولا برهان مبين» ثمّ بيّن لهم(عليه السلام) أنّه كره التحكيم وعارضه، وشرح سبب معارضته بوضوح لهم،

---

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٩٢.
٢ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٩٣، والبداية والنهاية ٧ : ٢٨٦.
٣ . الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٠٨، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٩٦، والبداية والنهاية ٧ : ٢٨٦.

ولكنّهم أنفسهم أجبروا الإمام(عليه السلام) على قبول التحكيم، وأنّ الحكمين لم يحكما بالقرآن والسنّة، وهاهو الإمام يعدّ العدّة لملاقاة معاوية ثانيةً، فلا معنى لخروج المارقين، ولم يرعوي المارقون لقول الإمام(عليه السلام) وطالبوه بتكفير نفسه وإعلان توبته، فقال(عليه السلام):

«أصابكم حاصب ولابقي منكم وابر أبعد إيماني برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر؟! لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين» ثمّ انصرف عنهم، وتقدّم الخوارج فاصطفّوا للقتال...وعبّأ الإمام(عليه السلام) جيشه لملاقاتهم، وفي محاولة أخيرة أمر الإمام أباأيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: «من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن... إنّه لاحاجة لنا فيكم إلاّ فيمن قتل إخواننا».

فانصرفت منهم مجاميع كثيرة،وقال الإمام(عليه السلام) لأصحابه: كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم بقتال.

وهجم الخوارج وهم يتصايحون: لاحكم إلاّ لله...الرواح الرواح إلى الجنّة، ولم تمضِ إلاّ ساعة حتى أُبيدوا عن أجمعهم، ولم ينجُ منهم إلاّ أقلّ من عشرة، ولم يُقتل من أصحاب الإمام(عليه السلام) إلاّ أقلّ من عشرة أشخاص[١].

وبعد أن سكنت أُوار المعركة أمر الإمام(عليه السلام) في طلب «ذو الثدية» أحد قادة الخوارج

وألحَّ في ذلك لأنّ في ذلك مصداقاً لوصايا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بمقاتلة المارقين عن الدين الذين فيهم ذو الثدية[٢]. ولمّا وجدوه أخبروا الإمام(عليه السلام) فقال: «الله أكبر ماكذبت ولاكذّبت، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه(صلى الله عليه وآله وسلم) لمن قاتلهم مستبصراً في قتلهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه» وسجد(عليه السلام) شكراً لله[٣].

---

١ . تاريخ الطبري ٥ : ٦٩٩، والبداية والنهاية ٨ : ٢٨٨، ومروج الذهب ٢ : ٣٨٥.

٢ . صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتالهم.

٣ . تاريخ الطبري ٥ : ٧٠٣، والبداية والنهاية: ٢٩٧، وشرح نهج البلاغة ٢ : ٢٦٦.

احتلال مصر

بعد مقتل عثمان بن عفان ولّى أمير المؤمنين(عليه السلام) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ولاية مصر، ثمّ كلّف محمد بن أبي بكر ليقوم مقام قيس بن سعد لرأي رآه(عليه السلام)، وبقيت مصر الجناح الآخر الذي يقلق معاوية، فما أن ساد الاضطراب والتخاذل في المجتمع الإسلامي بعد المعارك ونتائجها تحرّك معاوية وعمرو بن العاص لاحتلال مصر التي كانت ثمناً لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومة الإمام وتهديم الدين، وحاول(عليه السلام) أن يمدّ محمد بن أبي بكر بالعِدّة والعُدّة عند سماعه بزحف معاوية نحو مصر، فلم يلبث إلاّ قليلا حتى أتت الأخبار باحتلال مصر واستشهاد محمد بن أبي بكر، وحزن الإمام(عليه السلام) على محمد[١]. ثمّ كلّف مالك الأشتر بالذهاب إلى ولاية مصر وكتب إليه العهد المشهور وهو يتضمن نظاماً إدارياً وسياسياً جامعاً.

لكنّ معاوية بمكره ودهائه تمكّن من دسّ السم إلى مالك والقضاء عليه قبل أن يباشر الإدارة في مصر[٢].

---

١ . شرح نهج البلاغة ٦ : ٨٨.

٢ . تاريخ الطبري ٦ : ٥.

الخلاصة:

١. لقد تخوّف معاوية من نقل الإمام(عليه السلام) عاصمته إلى الكوفة واستعان بعمرو بن العاص لايجاد الخلخلة والتفرقة بين قوات الإمام(عليه السلام) لما كان يعلم من إيمان وبسالة جند الإمام(عليه السلام) وخطا الإمام كل الخطوات السلميّة لتثبيت الأمن والاستقرار ويرجع معاوية عن غيّه. ولكنّ معاوية أصرّ على القتال.

٢. ورغم ذلك استطاعت قوّات الإمام أن تعصف بقوات معاوية حتى بان الوهن فيهم وهنا أشار عمرو بحيلة رفع المصاحف لخديعة البسطاء من جيش الإمام(عليه السلام).

٣. وعملت هذه الحيلة عملها فحصل الانشقاق في قوات الإمام(عليه السلام). وانتهى الأمر إلى إقرار صحيفة الموادعة المؤقتة بالرغم من عدم رضا الإمام(عليه السلام) بذلك.

٤. كان الإمام علي(عليه السلام) لا يدخل في معركةً إلاّ اذا اضطر إليها، ولم يأل جهداً في بذل النصح والتذكير بأيام الله آملا أن يستجيب المخالفون لطلب الإمام فيكف عن الحرب، ولكن الذين أعمى الله قلوبهم وأصم عن الحق أسماعهم لم ينصاعوا لأي نداء ولم يستجيبوا لأيّ طلب شاهدين على أنفسهم بالكفر، بل كانوا يدخلون ساحة الحرب ضدّ الإمام(عليه السلام) تحدوهم الأطماع والأهواء، معلنين عن كفرهم ونفاقهم وأحقادهم التي ورثوها عن أسلافهم، ساخطين على الله ورسوله ووصيّه من بعده.

٥. وقد لعبت سياسة المكر والخداع التي مارس، عمرو بن العاص أدوارها الشائنة في تحريض معاوية على الوقوف بوجه الإمام فتمخضت عن صرف الاِمّة عن مسار الرسالة الإسلامية الذي كان يمثّله الإمام(عليه السلام).

٦. وكانت هذهِ السياسة متحكمة في نفوس العابثين بمقررّات الشريعة وقدسيّتها، فهم قد تربوا على الكفر والعدوان من جانب جبهة الشرك ليقفوا بوجه الحق شاهرين سيف الباطل لمحاربته ولكن لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، فقد علت راية الحق في كل معركة، فانتصرت إرادة السماء في الأرض، وانكسرت شوكة الشرك، وخسر هنالك المبطلون.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الاسلامى

(تاريخ صدر الاسلام)

(الدرس ۴۰)

فزتُ وربّ الكعبة

المقدمة:

الهدف الدراسي: الاحاطة بالظروف التي جعلت الامام يتمنى الرحيل عن الدنيا

النتائج المتوخاة من الدرس

معرفة ما يلي:

١ـ النتائج التي خلفتها تلك المعارك الثلاث الفيصليةعلى واقع الأمّة.

٢ ـ الحزن العميق الذي بلغ مبلغاً عظيماً في نفس الإمام(عليه السلام) واخذ يعبر عنه خلال خطبه.

٣ ـ كيفية استمالة معاوية الناس الى صفه.

٤ ـ طريقة اغتيال الإمام والأطراف التي اشتركت في تلك العملية.

٥ ـ وصايا الإمام(عليه السلام) لأهل بيته، وارتباطها بسلوكنا وتصرفاتنا كمسلمين.

المحتوى العلمي :

الانهيار والتفكك

بدأت بوضوح ملامح وآثار الانحراف الذي حصل يوم السقيفة في نهاية أيّام حكم الإمام(عليه السلام) حيث بدأ معاوية ومن اقتفى أثره في محاربة الإسلام من داخل الإسلام بتفكيك مابقي من أواصر تماسك المجتمع الإسلامي وتخريبه وبناء مجتمع ينسجم وفق رغباتهم وأهوائهم، ويمكننا أن نلحظ حال الأمّة بعد خوض الإمام(عليه السلام) ثلاث معارك فيصلية لاجتثاث الفساد فيما يلي:

١ ـ مُني الإمام(عليه السلام) والأُمّة بفقد خيار الصحابة الواعين والفاعلين في المجتمع وحركة الدعوة الإسلامية الذين كان يمكن من خلالهم بناء الأُمّة الصالحة وفق نهج القرآن والسنّة بإشراف الإمام(عليه السلام)، وقد بلغ الحزن في نفس الإمام مبلغاً عظيماً نجده في نعيه لهم بقوله:

«ماضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفّين أن لايكونوا اليوم أحياءً يسيغون الغصص ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفّاهم أُجورهم وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم... أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على النية وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟».

ثمّ وضع(عليه السلام) يده على كريمته فأطال البكاء ثمّ قال: «أَوِّهِ على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه وتدابروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه»[١].

٢ ـ تمرّد الجيش وتفكّكه وظهور الضعف والسأم من الحرب لكثرة ماقتل من أهل العراق الذين يشكّلون العمود الفقري لفرق جيش الإمام(عليه السلام)، ولم يتمكن(عليه السلام) بما يملك من قدرة خطابية رائعة وحجّة بالغة أن يبعث الإندفاع والحزم في قاعدته الشعبية لمواصلة الحرب، وممّا زاد من تفتيت الجيش عدم توقّف معاوية من مخاطبة زعماء القبائل والعناصر التي يبدو منها حبّ الدنيا، فمنّاهم بالأموال والهبات والمناصب إذا قاموا بكلّ مايؤدي إلى إضعاف قوة الإمام(عليه السلام) وجماهيره

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ : ٩٩.

المؤيدة، حتى أنّ الإمام(عليه السلام) لم يستطع أن يعبّىء في معسكر النخيلة بعد معركة النهروان استعداداً لقتال معاوية، فقد تسلّل أغلب أفراد الجيش إلى داخل الكوفة ممّا أدى بالإمام(عليه السلام) أن يلغي المعسكر ويؤجّل الحرب[١].

٣ ـ لقد أتاح الظرف الذي مرّ به الإمام(عليه السلام) والأمّة الإسلامية لمعاوية أن يقوم بشنّ غارات على أطراف البلاد الإسلامية، فمارس القتل والسبي والإرهاب، فبدأ بالهجوم على أطراف العراق فأرسل النعمان بن بشير الإنصاري للإغارة على منطقة «عين التمر»، ووجّه سفيان بن عوف للإغارة على منطقة «هيت» ثم على «الأنبار والمدائن»، وإلى «واقصة» وجّه معاوية الضحّاك بن قيس الفهري...وفي كلّ مرّة يحاول الإمام(عليه السلام) دعوة الجماهير لمقاومة غارات معاوية فلم يلق الإستجابة السريعة، وأدرك معاوية ضعف قوة حكومة الإمام(عليه السلام) وتزايد قوته[٢].

وبعث معاوية بسر بن أرطاة للغارة على الحجاز واليمن، فعاث في الأرض فساداً وقتلا للأبرياء[٣] وبلغ الأسى والأسف في نفس الإمام(عليه السلام) مبلغاً عظيماً ممّا يفعل المجرمون ومن تخاذل الناس عنه، حتى كان يصرّح بالانزجار من تخاذلهم وتقاعسهم فيقول: «اللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً منّي»[٤].

وقد أنذر الإمام(عليه السلام) الأمّة الإسلامية بمستقبل مظلم وآلام كثيرة تحلّ بها نتيجة لما آلت إليها من تقاعس وتخاذل عن نصرة الحقّ، فقال(عليه السلام): «أما إنّكم ستلقون بعدي ذلا شاملا، وسيفاً قاطعاً، وأثرةً يتّخذها الظالمون فيكم سنّة، فيفرّق جماعتكم، ويبكي عيونكم، ويدخل الفقر بيوتكم، وتتمنّون عن قليل أنّكم رأيتموني فنصرتموني، فستعلمون حقّ ماأقول لكم»[٥].

---

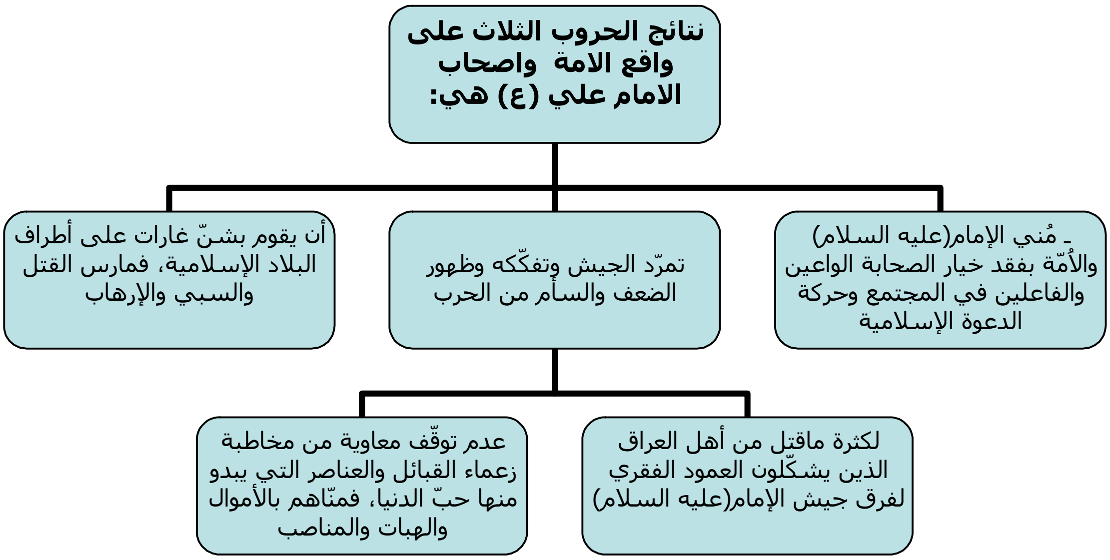
١ . تاريخ الطبري ٥ : ٧٠٥.

٢ . تاريخ الطبري ٦ : ٤٨، والغارات للثقفي: ٤٧٦.

٣ . تاريخ الطبري ٦ : ٥٤، والغارات للثقفي: ٤٧٦.

٤ . نهج البلاغة: الخطبة (٢٥).

٥ . أنساب الاشراف ١ : ٢٠٠، نهج البلاغة: الكلمة (٥٨).



آخر محاولات الإمام(عليه السلام)

بعد الاضطرابات المتعدّدة وتمكّن معاوية من نشر الرعب في أطراف الدولة الإسلامية عزم الإمام(عليه السلام) أن يقوم بحملة واسعة يستنهض فيها الأُمّة، فخاطب الجماهير وهدّدهم فقال(عليه السلام):

«أما إنّي قد سئمت من عتابكم وخطابكم، فبيّنوا لي ماأنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي فهو ماأطلب وما أُحب، وإن كنتم غير فاعلين فاكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوكم فتقاتلوه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين لأدعوّن الله عليكم ثمّ لأسيرنّ إلى عدوّكم ولو لم يكن معي إلاّ عشرة».

وأيقظ هذا التهديد الحازم نفوس الناس، وأيقنوا أنّ الإمام(عليه السلام) سيخرج بنفسه وأهله وخاصّته إلى معاوية وإن لم ينصروه، فسيلحق العار والذلّ بهم إلى يوم القيامة، فتحرّك وجهاء الناس للاستعداد لملاقاة معاوية والقضاء على الفساد، وخرج الناس إلى معسكراتهم في منطقة«النخيلة» خارج الكوفة، وتحركّت بعض قطعات الجيش تسبق البقية مع الإمام(عليه السلام)الذي بقي ينتظر انقضاء شهر رمضان.

علي(عليه السلام) شهيد المحراب[1]

لقد تواطأت زمر الشرّ على أن لاتبقي للحقّ رايةً تخفق أو يداً تصول فتصلح أو صوتاً يدوي فيكشف زيغ وفساد الظالمين والمنحرفين، فبالأمس كان أبوسفيان يمكر ويغدر ويفجر ويخطّط لقتل النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) ووأد الرسالة الإلهية في مهدها، ولكنّ الله أبى إلاّ أن يتمّ نوره.

وهاهو معاوية بن أبي سفيان يقبض على نتائج انحراف السقيفة، ويتمّم مابدأه أبوه سعياً للقضاء على الرسالة الإسلامية، تعينه في ذلك قوى الشرّ والعمى، فخطّطوا لقتل ضمير الأُمّة الحيّ وصوت الحقّ الهادر وحامل لواء العدل ومحيي الشريعة المحمديّة السمحاء.

واجتمعت ضلالتهم على أن يطفئوا نور الهدى ليبقى الظلام يلفّ انحرافهم وفسادهم، فامتدّت يد الشيطان لتصافح ابن ملجم في عتمة الليل وفي ختلة وغدرة هوت بالسيف على هامة طالما استدبرت الدنيا واستقبلت بيت الله وهي ساجدة، وغادرتها منها في تلك الحال.

لقد اغتالوا الحقّ يوم اغتالوا عليّاً(عليه السلام)، ولكنّه فاز إذ وفّى لربّه ودينه ونبيّه فدوى صوته الأبدي في الآفاق:«فزت وربّ الكعبة». فاز إذ أقام الدين وهدى للرشاد وسار على الحقّ في أُمور العباد والبلاد متّبعاً نبيّه مستقيماً على سنّته راعياً ذمّته في أُمّته ماحقاً الباطل والبدعة.

لقد روّى علي ابن أبي طالب(عليه السلام) شجرة الإسلام المحمّدي الباسقة والتي تعهّد إرواءها بدمه الطاهر الزكّي، وأوقف الانحراف عند حدّه بإيقاف حياته، لتواصل الأُمّة مسيرتها مع عَلَم آخر من أعلام آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) لتبدأ صفحة جديدة من البناء.

نعم روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «يا علي! أتدري من أشقى الأولين» فقال عليّ(عليه السلام): «الله ورسوله أعلم» قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «عاقر النّاقة (ناقة صالح)» ثمّ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «أتدري من أشقى الآخرين» فقال(عليه السلام): «الله ورسوله أعلم» قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «قاتلك»[2].

---

١ . استشهد أمير المؤمنين في شهر رمضان عام (٤٠) هـ .

٢ . الصواعق المحرقة: ٨٠، وبحار الانوار ٤٢ : ٢٣٠.

لقد إجتمعت عصابة ضالّة على قتل أمير المؤمنين(عليه السلام) ولا يبعد أن تكون اليد المحرّكة لهذه العصابة نفس معاوية، واتفقوا أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاة الفجر، إذما كان أحد يجرأ على مواجهة الإمام(عليه السلام).

ولمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان كان الإمام(عليه السلام) يكّثر التأمل في السماء وهو يردّد «ماكذبت ولاكذّبت إنّها الليلة التي وعدت بها»[١] وأمضى(عليه السلام) ليلته بالدعاء والمناجاة، ثمّ خرج إلى بيت الله لصلاة الصبح فجعل يوقظ الناس على عادته إلى عبادة الله فينادي: الصلاة... الصلاة.

ثمّ شرع (عليه السلام) في صلاته ، وبينما هو منشغل يناجي ربّه إذ هوى المجرم اللعين عبدالرحمن بن ملجم وهو يصرخ بشعار الخوارج «الحكم لله لا لك» ووقع السيف على جبهته الشريفة فقدتها فهتف الإمام(عليه السلام): «فزت ورب الكعبة»[٢].

ولما علت الضجة في المسجد أقبل الناس مسرعين فوجدوا الإمام(عليه السلام) طريحاً في محرابه. وحمل الإمام(عليه السلام) إلى داره وهو معصب الرأس والناس يضّجون بالبكاء والعويل. وأُلقي القبض على المجرم ابن ملجم.وأوصى الإمام(عليه السلام) ولده الحسن(عليه السلام) وبنيه وأهل بيته(عليهم السلام)أن يحسنوا بأسيرهم وقال(عليه السلام):

النفس بالنفس فإن أنا مُتّ فاقتلوه كما قتلني وإن أنا عشت رأيت فيه رأيي[٣].

وصية الإمام(عليه السلام)

ومضى سم السيف بأثره في جسد الإمام(عليه السلام) فأيقن برحيله إلى الرفيق الأعلى عهد عهده إلى أهل بيته وأمته وكان أول ماعهد بالإمامة إلى ولده الإمام الحسن(عليه السلام) لمواصلة المسيرة ورعاية شؤون الرسالة الإسلامية والأمّة وأشهد على ذلك الحسين(عليه السلام) ومحمداً وعدداً من الصحابة المخلصين ثمّ دفع إليه الكتب التي فيها العلم الذي توارثه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وسلاح رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له: يابني، أمرني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ

١ . وصية الإمام ص ٢٦٤.
٢ . تاريخ دمشق ٣ : ٢٠٣ ترجمة الإمام علي(عليه السلام)، الامامة والسياسة : ص ١٨٠.
٣ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ١١٨، مقاتل الطالبين: ٢٢، البحار ٤٢ : ٢٣١.

رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)...ثمَّ قال: يابني! أنت ولي الدم فإن عفوت فلك وإن قتلت فضربة مكان ضربة[١].

كما أوصى الإمام(عليه السلام) ولديه الحسن والحسين(عليهما السلام) وجميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال(عليه السلام):

أوصيكما بتقوى الله وأن لاتبغيا الدنيا وإن بغتكما ولاتأسفا على شيء مما زوي عنكما وقولا للحق واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً واعملا بمافي الكتاب ولاتأخذ كما في الله لومة لائم[٢].

ولم يطل الألم بأمير المؤمنين(عليه السلام) طويلا مع شدته وعظيم وقعته. فقد دنا الأجل المحتوم، وكان آخر مانطق به قوله تعالى: (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ)[٣].

ثمّ فاضت روحه الطاهرة إلى جنة المأوى.

ولمّا أُلحد أمير المؤمنين(عليه السلام) وقف صعصعة بن صوحان العبديّ(رضي الله عنه) على القبر ووضع إحدى يديه على فؤاده والأُخرى قد أخذ بها التراب ويضرب به رأسه ثم قال:

بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمنين، ثم قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن! فلقد طاب مولدك وقوي صبرك وعظم جهادك وظفرت برأيك وربحت تجارتك وقدمت على خالقك فتلقّاك الله ببشارته، وحفتّك ملائكته واستقررت في جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره ولحقتَ بدرجة أخيك المصطفى وشربت بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمنّ علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك والمولاة لأوليائك والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك فقد نلتَ ما لم ينله أحد، وأدركتَ مالم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده، وقمت بدين الله حقّ القيام، حتى أقمتَ السنن وأبرتَ الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك منّي أفضل الصّلاة والسّلام.

ثمّ قال: لقد شرّف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) نسباً، وأوّلهم إسلاماً، وأوفاهم يقيناً، وأشدّهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرمنا أجرك، ولا أذلّنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك

---

١ . اصول الكافي، للكليني ١ : ٢٩٧.
٢ . الطبري : ٦٢.
٣ . الصافات : ٦١.

مفاتح الخير ومغالق الشر، وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شر ومغلاق كلّ خير، ولو أنّ الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة[١].

---

١ . بحار الأنوار ٤٢ : ٢٩٥.

الخلاصة:

١- إن سياسة المكر والخداع التي مارس أدوارها الشائنة عمرو بن العاص في تحريض معاوية على الوقوف بوجه الإمام(عليه السلام) تمخضت عن حرف الأمة عن مسار الرسالة الإسلامية التي حملها الإمام ليؤديها بكل حزم واخلاص وتفاني من أجلها.

٢- وقد فشلت كل محاولات الإمام رغم كثرتها وصراحتها في صدّ هؤلاء المنحرفين والمتصدين للرسالة الإسلامية فبدلا من أن يفيق الناس من سباتهم ركنوا إلى العناد واللجاج والتلويح في إشعال نار الحرب وإن أكلت كل شيء وحولته إلى خراب.

٣- ونجحت سياسة معاوية وبمعاونة من يدورون في فلكه في إبعاد الناس عن الإمام علي(عليه السلام) وتركه لوحده خلا جماعة لا يعدّون بالأصابع وقفوا إلى جانبه يذبوّن عن قيمه ويزودون عن حياض الإسلام وشريعة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ومباديء اهل البيت(عليهم السلام).

٤- وانتهى الصراع بين الحق والباطل إلى قتل الإمام(عليه السلام)، واستقلال الأمويين بالسلطة التي ركضوا إليها، وباعوا آخرتهم بدنياهم.